

الجامع لأسماء الله الحسنى

ابن قيم الجوزية - القرطبي
ابن كثير - العلامة السعدي

دراسة وإعداد

حامد أحمد الطاهر

دار الفجر للتراث

خلف الجامع الأزهر - القاهرة

٥١٤٧٢٤٨ ٥١٤٧١٧٩

٠١٢٧٧٤١٨٣٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين نحمده حمد الشاكرين، ونشكره شكر الحامدين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد.

ليس للقلب أنفع ولا أفضل من ميدان التوحيد يتجول فيه بناظريه متعبداً لمولاه سبحانه بأسمائه وصفاته عز وجل، وقد اختص ذاته عز وجل بالأسماء الحسنى والصفات العلا فقال: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (١٨٠) ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. فهي أسماء حسنة في الأسماع والقلوب، تدل على توحيد الله تعالى ورحمته وأفضاله، بل تدل على معاني الخير جميعًا دون نقصان.

ولكن الناس قد ضلّ بعضهم في هذا المضمار، فراح بعضهم يتأول، والآخر يتقول، فوقف بعضهم على الساحل لم يتعده إلى غيره، وغرق بعضهم في بحار التأويل اللجية في ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها.

وبين هذا وذاك كان أهل السنة والجماعة الذين ارتضوا المنهج الأول للفهم، فاستعانوا بالله تعالى (فما عرف الله إلا بالله)، ثم ذهبوا إلى أعرف الناس بالله من خلقه وهو نبيه ﷺ فنهلوا من معينه الذي لن ولم ينضب، فوجدوا طوق النجاة في هذا المنهج الذي لا ترى فيه عوجًا ولا أمتًا، مستعينين بعد الله بالثقات الأثبات الذين نقلوا العلم بالتواتر دون تحريف أو تفريط، أو إفراط، فكان المنهج السلفي أفضل المناهج على الإطلاق في التعامل مع أسماء الحق عز وجل وصفاته بلا تيه في دروب الفلاسفة، أو ضلالة في نزهات المتكلمين، بل هو الاعتدال والتوسط.

ومن هنا جاءت تلك القواعد التى رتب عليها أهل السنة منهجهم فى فهم أسماء الحق سبحانه وتعالى وصفاته، نذكرها هنا وسط بين طرفين فلا تفريط ولا إفراط :

(١) اللّه سبحانه وتعالى ليس كمثله شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله، بل نؤمن به سبحانه على أنه عز وجل : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** (١١) ﴾ [الشورى]. ونؤمن أنه سبحانه قد وصف نفسه بما يجب أن نؤمن به كما فى قوله تعالى : ﴿ **أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ** ﴾ [البقرة : ١٤٠]. فلا مجال للنفى أو التشبيه، أو التعطيل، أو التأويل أو التمثيل، بل إن آيات الصفات ليست من المتشابه فى معانيها، وإنما جُمع ذلك كله فى قول السلف: « فالاستواء معلوم والكيف مجهول » أى نؤمن بالصفة مع تفويض الأمر إلى اللّه تعالى. فهو سبحانه - على سبيل المثال - رحمن رحيم ذو الرحمة التى اتصف بها بلا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل، فرحمته وسعت كل شىء سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

(٢) البحث إنما يكون فى كيفية التعبد بالأسماء، ونبتعد كثيراً عن محاولة التفكير فى ذاته سبحانه وفى الحديث : « **تفكروا فى آلاء اللّه ولا تفكروا فى ذاته** » لأنه سبحانه لا يشبه أحداً ولا أحد يشبهه ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** (١١) ﴾ [الشورى].

ونعتقد صفات الكمال للّه عز وجل فنثبت على وجه التفصيل للّه من الصفات ما ورد به النص وأما النفى فنجمل فيه القول : كل نقص أو عيب فاللّه منزه عنه؛ ولذلك يوصف اللّه تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله نفيًا وإثباتًا وهذا كله يشمل الأسماء والصفات جميعًا، وقد انحرف من أثبت الأسماء ونفى الصفات، أو أثبت صفات الذات ونفى صفات الفعل، وكلها ضلالات وبدع.

(٣) قد تتفق بعض الأسماء لفظًا، لكن هذا لا يقتضى التساوى فى المسميات، فمثلاً اللّه تعالى : ﴿ **رَّحِيمٌ** ﴾، وقد يوصف البشرى بأنه رحيم، ولكن ماذا لو افترضنا أننا نقول: الرجل السريع، والقطار سريع، والطيارة سريعة، لابد أننا سنقول : كل سرعة تناسب ما أضيفت إليه، فرحمته سبحانه وسعت كل شىء.

(٤) أسماء اللّه تعالى الحسنى لم يرد فى تعيينها حديث صحيح، فالحديث الشهير

فى هذا الأمر ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة - رضى اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ قال : « **للَّه تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر** »[١] . وإلى هنا انتهى الحديث، أما ما فى بقية الحديث من تعيين الأسماء وتحديدها، وهى رواية الترمذى، فهذه رواية ضعيفة فى سندها : « الوليد بن مسلم » وهو ضعيف، وكذا رواه من طرق أخرى كلها ضعيفة لا تقوى بل فى سندها ضعف شديد .

❋ وقد كان كلام ابن كثير فى هذا المضمار ذا قيمة حين قال :

« والذى عوّل عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء فى هذا الحديث مدرج - أى زائد - والحديث المدرج هو الحديث الذى زاد فيه الراوى شيئًا ليس منه أصلاً، وبذلك يكون حديثًا ضعيفًا - وإنما ذلك رواه الوليد بن مسلم، وعبد الملك بن محمد الصنعانى - وكلاهما متفق على ضعفه - عن زهير بن محمد، أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أى أنهم جمعوها من القرآن عن جعفر بن محمد، وسفيان بن عيينة، وأبو زيد اللغوى »[٢] .

وكلام ابن كثير ذا قيمة فى هذا المضمار لأنه مفسر لغوى محدث، فاستطاع الفصل فى هذه المسألة بأن رواة هذا الحديث نصوا فى كلامهم على أن هذه الأسماء من زياداتهم فى الحديث جمعوها من العلماء، وليست من قوله ﷺ . والقاعدة هنا أن أسماء اللَّه تعالى الحسنى إنما تستقى من الكتاب والسنة .

وإذا كان الحديث الصحيح قد نص أنه سبحانه له تسعة وتسعون اسمًا، فهذا ليس عددها وحصرها، ولو كان المراد الحق لقال ﷺ : « **إن أسماء اللَّه تسعة وتسعون اسمًا من أحصاها دخل الجنة** » أو نحو ذلك[٣] .

وقد أجمعت كلمة الأمة على أن أسماءه سبحانه وتعالى تفوق هذا العدد، خاصة إذا

---

(١) صحيح : متفق عليه : البخاري (٦٤١٠) في الدعوات، ومسلم (٢٦٧٧) في الذكر والدعاء .

(٢) ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٦٦) ط/ دار الفجر للتراث .

(٣) د/ عمر الأشقر : الأسماء والصفات (ص ٦٦) ، دار النفائس .

علمنا أنه جار فى سياق حديثه ﷺ : « **أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك** » وهذا يعنى أن من الأسماء مجهول لا يعرف، ومأثور فى الغيب، ومعلم للعباد من خواصه سبحانه، ومبسوط للخلق جميعاً، وقال ابن القيم : « الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر، ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها فى علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب ولا نبى مرسل »[١] .

وبعد نظر فى أقوال العلماء وجدنا أن الإحصاء المقصود فى الحديث إنما هو التعبد بهذه الأسماء لا حفظها وعدها فقط، فالبر والفاجر يحفظان هذه الأسماء، ولكن العمل هو الإحصاء وهو التعبد بهذه الأسماء لا مجرد تكرارها، فكم من قارئ للقرآن لا يجاوز حلقه، وكم من مصل لا شىء له من صلاته إلا التعب، وآخر لا شىء له من صيامه إلا الجوع والعطش، وهذه بتلك .

(٥) أسماؤه سبحانه وتعالى وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها، كما قال ابن القيم : « ما يطلق على الله فى باب الأسماء والصفات توقيفى »[٢] . فالصفات التى وردت فى الكتاب والسنة الصحيحة حق يجب الإيمان بها وإن لم نفقه معناها، أما مالم يرد وتنازع فيه الناس فلا نثبته ولا ننفيه حتى نتبين مراده منه سبحانه، فلا زيادة ولا نقص، ولا قياس ولا اجتهاد فى العقيدة، وإنما العقل مجاله الفقه فى الحوادث النازلة المتجددة بعد النظر فى الكتاب والسنة، أما العقيدة فإنها تتميز بالثبات والقطع، فلا مجال للاجتهاد أو الظنية فيها .

(٦) وأسماء الله تعالى لها أربعة أنواع من الدلالات :

أ - أنها تدل على الذات مطابقة .

ب- صفات ذاتية مثل : السمع والبصر والقدرة والعلم والحياة .

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٦٦) .

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦٢) لابن القيم .

جـ- صفات فعلية وهي ما تدل على صفة تتصل بفعله سبحانه كالخلق والرزق .

د - صفات تسمى «سلبية» وفيها معنى التنزيه وتنفى النقص عنه سبحانه وتعالى مثل الغنى فإنه يدل على نفى الفقر ، والأول والآخر ونحو هذه الصفات .

(٧) وهناك ما يعرف باسم «الصفات الخبرية» وهى المستفادة من النصوص التى ثبتت بظواهرها نزولاً ، ومجيئًا ، واستواءً ، ويدًا ، وعينًا ، وهى أمور لا تثبتها الأدلة العقلية ، ولكنها وردت فى النصوص الصحيحة ، ولا مجال للتأويل فيها ؛ لأنها أيضًا صفات كمال للَّه تعالى وهو سبحانه أعلم بمراده ، مع ترك تحديد الكيفية ، ونفى المشابهة الحسية ، وما أروع كلمة مالك الشهيرة : «الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة» وباب الصفات أوسع من الأسماء .

وقد بيّن البيهقى أن (الاسم) هو ما ورد به الخبر الصحيح فى الكتاب والسنة ، أما الصفة فهى التى قام الدليل العقلى على اتصافه سبحانه وتعالى به[1] ، ولا حاجة لنا بالخوض فى مثل هذه المسائل الكلامية .

(٨) وما يهمنا حقًا فى هذه النقطة قبل مغادرتها أن كل ما جاء فى الأحاديث والأخبار ليس كله من الأسماء الحسنى ، والأفضل فى مثل هذه الحالة اللجوء إلى أهل الذكر لتبيين القضية وأصولها .

وللحاجة نذكر مثالاً صغيرًا لا نتعداه إلى غيره ، فاللَّه تعالى يقول : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** ﴾ [النساء : ١٤٢] . فلا يصح أن تقول : اللَّه (خادع) وحاشا للَّه ، وإنما هو مذكور على سبيل العدل فى الجزاء والمقابلة ، ولا يصح الاشتقاق من مثل هذه الآيات ، وانظر فى قوله تعالى : ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ** ﴾ [الحشر : ١٩] ، وتدبر ما قلناه فى الآية السابقة .

(٩) ويبقى لنا أن اسم اللَّه الأعظم الذى إذا دُعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ، قد ورد فيه روايات صحيحة عديدة أو حسنة بشواهدها .

---

(١) البيهقى (ص ٨) فى الأسماء والصفات .

(١) فهو « اللَّه » .

(٢) وهو الرحمن الرحيم .

(٣) وقيل هو فى الفاتحة .

(٤) وهو فى قوله تعالى : ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

(٥) وهو دعـوة ذى النون فى بطن الحـوت ﴿ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء] .

(٦) وهو قوله : « لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السماوات والأرض ، ذو الجلال والإكرام الحى القيوم » .

(٧) وهو : « اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك اللَّه الذى لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

وهذه روايات صحيحة جميعًا ، وسيأتى تخريجها فى مواضعها إن شاء اللَّه .

ودون الغوص فى هذه المسألة ، وارتضاء حديث ورواية دون الأخرى ، اجعل نفسك ممن « أحصوا » كما طلب منك النبى ﷺ فى الحديث : « **من أحصاها دخل الجنة** » ، ثم إلى المرجحين لحديث صحيح على آخر صحيح ، والرجوع إلى أهل الذكر فى هذا الأمر تفصيلاً أفضل من مجرد القراءة والاطلاع . واللَّه الموفق .

* هذا الكتاب :

وقد وفقنا اللَّه تعالى إلى اختيار الكتابة فى هذا المجال ، فنحونا إلى فكرة تفيد القارىء المقتصد ، والعالم المجتهد ، فاخترنا « الجامع فى أسماء اللَّه الحسنى » فجمعنا فيه أقوال العلماء الأثبات الثقات ، كالقرطبى ، والبيهقى ، والزجاجى ، والإمام أبو سليمان الخطابى صاحب « معالم السنن » ، و(الغنية) وأحد علماء الإسلام الذين أمسكوا بسيف الحديث ، وتدرعوا بدرع العقيدة ، وكذا الإمام ابن كثير ، والإمام الراغب الأصفهانى السلفى السنى صاحب « المفردات فى غريب القرآن » و« الذريعة إلى مكارم الشريعة » .

ثم وجدنا أنه من الواجب الاستعانة بالإمام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، فما وجدناه لهما متصلاً بهذا المجال نقلناه وأثبتناه لهما .

وللشيخ عبد الرحمن السعدى، تفسير بديع وهو « تيسير الكريم الرحمن » يتميز بالسهولة، والحديث عن الأمور العقدية، فاستعنا به بعد اللّٰه تعالى، ثم علماء المسلمين، وله دراسة فى التوحيد وهى « الحق الواضح المبين فى شرح توحيد الأنبياء والمرسلين » فتمت الأستعانة بها أيضًا .

من ناحية أخرى فإن العسل لا يُعاف ولو كان فى محجمة الحجام، فما وجدناه خيرًا من كلام [الفخر الرازى] والإمام « الغزالى - أبو حامد » نقلناه، وما كان من خروج على قواعد أهل السنة والجماعة تركناه جانبًا، ولا داعى للتكاسل عن صيد ثمين وجدناه فى كتبهم .

وبعد ردّ الآيات إلى موضعها، والأحاديث إلى كتبها ومصادرها، والعبارات إلى قائليها، عنونا بعض الفقرات إتمامًا للفائدة، وذلك بعد التعريف بالصفة، وذكر ورودها فى القرآن والسنة، وقد نتطرق إلى بعض المعانى اللغوية، ولكن دون بعثرة لذهن القارئ الذى يجد بعض المشقة فى هذا الأمر .

ويبقى أننا ختمنا الفقرات بثمار التعرف على الاسم أو الصفة حتى يكون هذا من قبل التطبيق العملى لما ذكرناه من التعريفات النظرية ليتم العلم والعمل بمشيئته إلى اللّٰه تعالى .

وفى النهاية نسأل اللّٰه تعالى أن ينفعنا بما قد كتب، وأن يتقبله، ويعفو عن التقصير، ويجازى على الإحسان. اللهم إن كنت قد أخلصت فمنك الإخلاص وإليك التوجه، وإن كان غير ذلك، فرب نفع تحقق من غير مخلص، فاجعلنى مخلصًا، وانفع بما قد كتبت .

والله الموفق والهاد إلى الصواب .

كتبه

حامد أحمد الطاهر البسيونى

دمنهور - البحيرة

الثلاثاء ١٢ من محرم (١٤٢٣ هـ)

• اللـــه[*] •

❊ اسم اللَّه جل جلاله هو الجامع:

ولهذا تضاف الأسماء الحسنى كلها إليه فيقال : الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار من أسماء اللَّه، ولا يقال : اللَّه من أسماء الرحمن، قال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

فهذا المشهد تجتمع فى المشاهد كلها وكل مشهد سواه فإنما هو مشهد لصفة من صفاته، فمن اتسع قلبه لمشهد الإلهية وقام بحقه من التعبد الذى هو كمال الحب بكمال الذل والتعظيم والقيام بوظائف العبودية، فقد تم له غناه بالإله الحق، وصار من أغنى العباد[١]، ولسان حال مثل هذا يقول :

غنيت بلا مال عن الناس كلهم　　　وإن الغنى العالى عن الشيء لا به

فيا له من غنى ما أعظم خطره وأجل قدره، تضاءلت دونه الممالك فما دونها، وصارت بالنسبة إليه كالظل من الحامل له، والطيف الموافى فى المنام الذى يأتى به حديث النفس ويطرده الانتباه من النوم[٢] .

(*) ورد اسم (اللَّه) تعالى فى القرآن (٢٦٠٢) مرة منها (٩٨٠) مرفوعًا و (٥٩٢) منصوبًا (١١٢٥) مجروراً .

(١) قال الإمام الغزالي في المقصد الأسنى : ينبغى أن يكون حظ العبد من هذا الاسم التأله، وأعني به : أن يكون مستغرق القلب والهمة باللَّه تعالى لا يرى غيره ولا يلتفت إلى سواه ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه، وكيف لا يكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم أنه الموجود الحقيقى الحق، وكل ما سواه هالك وباطل إلا به فيرى أولاً نفسه أول هالك وباطل . المقصد الأسنى في شرح أسماء اللَّه الحسنى للإمام الغزالي (ص ٣٨) .

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم (ص ٨٠) .

* شمول اسم (اللَّه) على جميع الأسماء والصفات :

أسم اللَّه دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بالدلالات الثلاث، فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له، مع نفى أضدادها عنه[1].

وصفات الإلهية : هى صفات الكمال، المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص. ولهذا يضيف اللَّه تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٨٠]، ويقال : الرحمن والرحيم، والقدوس والسلام، والعزيز، والحكيم من أسماء اللَّه، ولا يقال : اللَّه من أسماء الرحمن ولا من أسماء العزيز ونحو ذلك .

فعلم أن اسمه اللَّه مستلزم لجميع معانى الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية، التى اشتق منها اسم اللَّه واسم اللَّه دال على كونه مألوهًا معبودًا، تألهه الخلائق محبة وتعظيمًا وخضوعًا، وفزعًا إليه فى الحوائج والنوائب .

وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد. وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مسلتزم لجميع صفات كماله؛ إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحى، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم فى أفعاله. وصفات الجلال والجمال : أخص باسم اللَّه .

وصفات الفعل والقدرة، والتفرد بالضر والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة وكمال القوة، وتدبير أمر الخليقة : أخص باسم الرب .

---

(١) قال ابن كثير فى تفسيره : (اللَّه) عَلَمٌ على الرب تبارك وتعالى، يقال : إنه الاسم الأعظم؛ لأنه يوصف بجميع الصفات كما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر] . . . وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى. انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٢) بتصرف يسير .

وصفات الإحسان، والجود والبر، والحنان والمنة، والرأفة واللطف : أخص باسم الرحمن وكرر إيذانًا بثبوت الوصف، وحصول أثره، وتعلقه بمتعلقاته .

فالرحمن : الذى الرحمة وصفه . والرحيم : الراحم لعباده .

ولهذا يقول تعالى : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) ﴾ [الأحزاب]، ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) ﴾ [التوبة]، ولم يجئ رحمن بعباده، ولا رحمن بالمؤمنين، مع ما فى اسم الرحمن الذى هو على وزن فعلان من سعة هذا الوصف، وثبوت جميع معناه الموصوف به[١]، [٢] .

* حول اشتقاق اسم (اللَّه) :

أظهر الألفاظ لفظ اللَّه، وقد اختلف الناس فيه أعظم اختلاف، هل هو مشتق أم لا ؟ وهل هو مشتق من التأله أو من الوله، أو من لاه إذا احتجب ؟[٣] .

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٢) .

(٢) قال الإمام الغزالي في المقصد (ص ٣٧):

اعلم أن هذا الاسم أعظم الأسماء التسعة والتسعين؛ لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها حتى لا يشذ منها شيء، وسائر الأسماء لا تدل آحادها إلا على آحاد المعانى من علم أو قدرة أو فعل أو غيره ولأنه أخص الأسماء إذ لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة ولا مجازاً، وسائر الأسماء قد يتسمى بها غيره كالقادر والعليم والرحيم وغيره، فلهذين الوجهين يشبه أن يكون هذا الاسم أعظم هذه الأسماء (ا . هـ) .

(٣) قال ابن كثير (١/ ٥٢ ، ٥٣) : لا يعرف لهذا الاسم من كلام العرب اشتقاق . نقله القرطبى عن جماعة من العلماء منهم الشافعي والخطابي، وإمام الحرمين والغزالي، وغيرهم ... قال الخطابى : ألا ترى أنك تقول : (يا اللَّه)، ولا تقول : « يا الرحمن » فلولا أنه من أصل الكلمة - أي الألف واللام - لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام، وقيل : إنه مشتق ... فقد يكون من :

أ - التأله من أله أله يأله إلاهًا وتألهًا كما روى عن ابن عباس أنه قرأ : (ويذرك وآلهتك) قال : عبادتك أي أنه كان يُعبد ولا يَعبُد .

ب- وقد يكون من (إلاه) مثل فعال فأدخلت الألف واللام للتعظيم وهذا قول الخليل .

جـ- وقد يكون من (الإله) وأدغمت اللام الأولى فى الثانية بعد حذف الهمزة .

إن جميع أهل الأرض، علمائهم وجهالهم، ومن يعرف الاشتقاق ومن لا يعرفه، وعربهم وعجمهم، يعلمون أن (اللَّه) اسم لرب العالمين، خالق السموات والأرض الذى يحيى ويميت، وهو رب كل شىء ومليكه، فهم لا يختلفون فى أن هذا الاسم يراد به هذا المسمى، وهو أظهر عندهم وأعرف وأشهر من كل اسم وضع لكل مسمى، وإن كان الناس متنازعين فى اشتقاقه فليس ذلك بنزاع منهم فى معناه.

إنما هو نزاع فى وجه دلالة اللفظ على ذلك المعنى مع اتفاقهم على أن المعنى واحد، وهذا القدر لا يخرج اللفظ عن إفادته للسامع اليقين بمسماه[1].

* اسم اللَّه غير مشتق وبيان المراد بالاشتقاق :

زعم السهيلى وشيخه أبو بكر بن العربى أن اسم اللَّه غير مشتق؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه تعالى قديم. والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق، ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى وإنه مستمد من أصل آخر فهو باطل، ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا ألم بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهى الإلهية كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهى قديمة والقديم لا مادة له. فما كان جوابكم عن هذه الأسماء؟ فهو جواب القائلين باشتقاق اسم اللَّه.

ثم الجواب عن الجميع أننا لا نعنى بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها فى اللفظ والمعنى لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله.

وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلاً وفرعًا ليس معناه، أن أحدهما تولد من الآخر وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة. وقول سيبويه: إن الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء هو بهذا الاعتبار لا أن العرب تكلموا بالأسماء أولاً

د- وقيل: هو من (وله) وهو ذهاب العقل والحيرة، فاللَّه تعالى يحيرهم في حقائق صفاته.

هـ- وقال الرازي: إنه مشتق من (ألهت إلى فلان) أي (سكنت إليه). ا. هـ (بتصرف).

(١) الصواعق المرسلة (ص ٧٤٩) لابن القيم.

ثم اشتقوا منها الأفعال، فإن التخاطب بالأفعال ضرورى كالتخاطب بالأسماء لا فرق بينهما .

فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مادى، وإنما هو اشتقاق تلازم سمى المتضمن بالكسر مشتقًا، والمتضمن بالفتح مشتقًا منه ولا محذور فى اشتقاق أسماء اللَّه تعالى بهذا المعنى[١]، [٢] .

* بيان معنى اللهم :

لا خلاف أن لفظة : «اللهم» معناها يا ألله[٣]؛ ولهذا لا تستعمل إلا فى الطلب، فلا يقال : اللهم غفور رحيم، بل يقال : اغفر لى وارحمنى . واختلف النحاة فى الميم المشددة من آخر الاسم : فقال سيبويه : زيدت عوضًا من حرف النداء؛ ولذلك لا يجوز عنده الجمع بينهما فى اختيار الكلام، فلا يقال : يا اللهم إلا فيما ندر، كقول الشاعر :

إنى إذا ما حَدَثٌ ألمَّا   أقول يا اللهم يا اللهما

ويسمى ما كان من هذا الضرب عوضًا، إذ هو فى غير محل المحذوف، فإن كان فى محله سمى بدلاً، كالألف فى قام وباع فإنها بدل عن الواو والياء، ولا يجوز عنده أن

---

(١) بدائع الفوائد (ص ١٩) .

(٢) ومن بديع ما ذكر في معنى اسم (اللَّه) تعالى ما ذكره ابن كثير (١/ ٥٣) : وحكى الرازي فقال : واعلم أن الخلائق قسمان : واصلون إلى ساحل بحر المعرفة، ومحرومون قد بقوا في ظلمات الحيرة وتيه الجهالة، فكأنهم قد فقدوا عقولهم وأرواحهم، وأما الواجدون فقد وصلوا إلى عرصة النور - والعرصة المكان المتسع - وفسحة الكبرياء والجلال، فتاهوا في ميادين الصمدية وبادوا في عرصة الفردانية، فثبت أن الخلائق كلهم والهون في معرفتهم . ا . هـ .

(٣) يقول الفخر الرازي : اعلم أن هذا الأسم - اللَّه - مختص بخواص لم توجد في سائر أسماء اللَّه تعالى . . . إن كلمة الشهادة وهي الكلمة التي بسببها ينتقل الكافر من الكفر إلى الإسلام لم يحصل فيها إلا هذا الأسم، فلو أن الكافر قال : أشهد أن لا إله إلا اللَّه الرحمن، أو إلا الرحيم، أو إلا الملك، أو إلا القدوس لم يخرج من الكفر ولم يدخل في الإسلام، أما إذا قال : أشهد أن لا إله إلا اللَّه فإنه يخرج من الكفر ويدخل في الإسلام، وذلك يدل على اختصاص هذا الاسم بهذه الخاصية الشريفة . واللَّه الهادي إلى الصواب . انظر : تفسير الفخر الرازي (١/ ٢٠٩) .

يوصف هذا الاسم أيضًا، فلا يقال : يا اللهم الرحيم ارحمنى ولا يبدل منه . والضمة التى على الهاء ضمة الاسم المنادى المفرد، وفتحت الميم لسكونها وسكون الميم التى قبلها، وهذا من خصائص هذا الاسم، كما اختص بالتاء فى القسم، وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف، وبقطع همزة وصله فى النداء، وتفخيم لامه وجوبًا غير مسبوقة بحرف إطباق . هذا ملخص مذهب الخليل وسيبويه .

وقيل : الميم عوض عن جملة محذوفة، والتقدير : يا ألله أمنا بخير، أى : اقصدنا، ثم حذف الجار والمجرور، وحذف المفعول، فتبقى فى التقدير : « يا ألله أم » ثم حذفت الهمزة لكثرة دوران هذا الاسم فى الدعاء على ألسنتهم، فبقى « يا اللهم » وهذا قول الفرّاء .

وصاحب هذا القول يجوّز دخول « يا » عليه، ويحتجّ بقول الشاعر :

. . . . يا اللهمَّ   ارْدُدْ علينا شيخًا مُسلَّما

وبالبيت المتقدم وغيرهما .

*** ورد البصريون هذا بوجوه :**

أحدها : أنَّ هذه تقادير لا دليل عليها، ولا يقتضيها القياس، فلا يصارُ إليها بغير دليل .

الثانى : أن الأصلَ عدم الحذف، فتقدير هذه المحذوفات الكثيرة خلاف الأصل .

الثالث : أن الداعى بهذا قد يدعو بالشرّ على نفسه وعلى غيره، فلا يصحُّ هذا التقدير فيه .

الرابع : أن الاستعمال الشائع الفصيح يدل على أن العرب لم تجمع بين « يا » و« اللهم » ولو كان أصله ما ذكره الفراء لم يمتنع الجمع، بل كان استعماله فصيحًا شائعًا، والأمر بخلافه .

الخامس : أنه لا يمتنع أن يقول الدّاعى : « اللهم أمَّنا بخير »، ولو كان التقدير كما ذكره، لم يجز الجمع بينهما لما فيه من الجمع بين العِوض والمعوّض عنه .

السادس : أنَّ الداعى بهذا الاسم لا يخطر ذلك بباله، وإنما تكون عنايته مجردة إلى المطلوب بعد ذكر الاسم .

السابع : أنه لو كان التقدير ذلك لكان : « اللهم » جملة تامة يحسن السكوت عليها لاشتمالها على الاسم المنادى وفعل الطلب، وذلك باطل .

الثامن : أنه لو كان التقدير ما ذكره لكتب فعل الأمر وحده، ولم يوصل الاسم المنادى، كما يقال : « يا اللّه قه » و«يازيد عه» و« يا عمرو فه » ؛ لأن الفعل لا يوصلُ بالاسم الذى قبله حتى يجعلا فى الخط كلمة واحدة، هذا لا نظير له فى الخط . وفى الاتفاق على وصل الميم باسم اللّه دليلٌ على أنها ليست بفعل مستقل .

التاسع : أنه لا يسوغ ولا يحسن فى الدعاء أن يقول العبد : اللهم أمَّنى بكذا، بل هذا مستكرهُ اللفظ والمعنى، فإنه لا يقال : اقصدنى بكذا إلا لمن كان يعرض له الغلط والنسيان فيقول له : اقصدنى، وأما من كان لا يفعلُ إلا بإرادته، ولا يضل، ولا ينسى، فلا يقال له : اقصد كذا .

العاشر : أنه يسوغ استعمال هذا اللفظ فى موضع لا يكون بعده دعاء، كقوله ﷺ فى الدعاء : « اللَّهُم لَكَ الحَمْدُ، وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَبِكَ الْمُسْتَغَاثُ، وَعَلَيْكَ التُّكلاَنُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ »[1] .

وقوله : « اللَّهُم إنِّى أصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلاَئِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ وَحْدَكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ »[2] .

---

(١) ضعيف : الهيثمي (١٠/ ١٨٣) في المجمع، وعزاه للطبراني في الأوسط والصغير . وقال : فيه من لم أعرفهم .

(٢) صحيح بشواهده : جزء من حديث الترمذي (٣٤٩٥) في الدعوات، وأبو داود (٥٠٦٩) في الأدب .

وقوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقوله: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) ﴾ [الزمر].

وقول النبي ﷺ في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»[1]. فهذا كله لا يسوغ فيه التقدير الذي ذكروه، والله أعلم.

وقيل: زيدت الميم للتعظيم والتفخيم كزيادتها في «زُرْقم» لشديد الزرقة، «وابنُم» في الابن، وهذا القولُ صحيحٌ، ممكن، يحتاجُ إلى تتمّة. وقائله لحظ معنىً صحيحًا لابُدَّ من بيانه، وهو: أنَّ الميمَ تدلُّ على الجمع وتقتضيه، ومخرجها يقتضي ذلك، وهذا مطّرد على أصل مَن أثبت المناسبة بين اللفظ والمعنى، كما هو مذهب أساطين العربية، وعقد له أبو الفتح ابن جني بابًا في «الخصائص»، وذكره عن سيبويه، واستدل عليه بأنواع من تناسب اللفظ والمعنى، ثم قال: «ولقد مكثت برهةً يرد عليَّ اللفظ لا أعلم موضوعه، وآخذ معناه من قوة لفظه، ومناسبة تلك الحروف لذلك المعنى، ثم أكشف فأجده كما فهمته أو قريبًا منه». فحكيتُ لشيخ الإسلام هذا عن ابن جني، فقال: أنا كثيرًا ما يجري لي ذلك، ثم ذكر لي فصلاً عظيم النفع في التناسب بين اللفظ والمعنى، ومناسبة الحركات لمعنى اللفظ، وأنهم في الغالب يجعلون الضمة التي هي أقوى الحركات للمعنى الأقوى، والفتحة خفيفة للمعنى الخفيف، والمتوسط للمتوسط، فيقولون: «عز يعز» بفتح العين إذا صلب، «وأرض عزاز» صلبة، ويقولون «عزَّ يعزِّ» بكسرها، إذا امتنع، والممتنع فوق الصلب، فقد يكون الشيء صلبًا ولا يمتنع على كاسره، ثم يقولون: «عزّه يعزُّه» إذا غلبه، قال الله تعالى في قصة داود: ﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) ﴾ [ص]، والغلبة أقوى من الامتناع؛ إذ قد يكون الشيءُ ممتنعًا في نفسه، متحصنًا عن عدوه ولا يغلب غيره، فالغالبُ أقوى من الممتنع، فأعطوه أقوى الحركات، والصلب أضعفُ من الممتنع، فأعطوه أضعف الحركات، والممتنع المتوسط بين المرتبتين فأعطوه حركة الوسط.

---

(١) صحيح: متفق عليه: البخاري (٨١٧) في الأذان، ومسلم (٤٨٤) في الصلاة.

ونظيرُ هذا قولهم: « ذِبح » بكسر أوله للمحل المذبوح، و« ذَبح » بفتحه لنفس الفعل، ولا ريب أنَّ الجسمَ أقوى من العَرَض، فأعطوا الحركة القوية للقوى، والضعيفة للضعيف.

وهو مثل قولهم: (نِهب) و(نَهب) بالكسر للمنهوب، وبالفتح للفعل.

وكقولهم: (مِلء) و(مَلء) بالكسر لما يملأ الشيء، وبالفتح للمصدر الذى هو الفعل.

وكقولهم: (حمل) و(حَمل) فبالكسر لما كان قويًا مثقلاً لحامله على ظهره، أو رأسه، أو غيرهما من أعضائه، والحمل بالفتح لما كان خفيفًا غير مثقل لحامله كحمل الحيوان، وحمل الشجرة به أشبه ففتحوه.

وتأمَّل هذا فى الحِبّ والحُبّ، فجعلوا المكسور الأول لنفس المحبوب، ومضمومه للمصدر إيذانًا بخفّة المحبوب على قلوبهم، ولطف موقعه من أنفسهم وحلاوته عندهم، وثقل حمل الحب ولزومه كما يلزم الغريم غريمه؛ ولهذا يسمى (غرامًا)؛ ولهذا كثر وصفهم لتحمّله بالشدة والصعوبة، وإخبارهم بأن أعظم المخلوقات، وأشدّها من الصخر والحديد، ونحوهما لو حمله لذاب من حمله، ولم يستقل به، كما هو كثير فى أشعار المتقدمين والمتأخرين وكلامهم.

وقوله تعالى فى الآيات المحكمات: ﴿ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [آل عمران: ٧]، والأمة: الجماعة المتساوية فى الخلقة أو الزمان. قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال النبى ﷺ: « لَوْلاَ أنَّ الكلاَبَ أُمّةٌ مِنَ الأُمَمِ لأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا » [1].

ومنه: (الإمام) الذى يجتمع المقتدون به على اتباعه، ومنه أمّ الشيء بأنه إذا جمع قصده وهمه إليه، ومنه: « رمّ الشيء يرمُّه » إذا أصلحه، وجمع متفرقة. قيل: ومنه سُمّى الرمّان لاجتماع حبّه وتضامّه.

---

(١) صحيح: الترمذي (١٤٨٦) في الصيد، أبو داود (٢٨٤٥) في الصيد.

ومنه : « ضمَّ الشيء يضمُّه » إذا جمعه، ومنه : « همّ الإنسان وهمومه » وهي إرادته وعزائمه التي تجتمعُ في قلبه .

ومنه قولهم للأسود : « أحم » والفحمة السوداء « حممة » و« حمم رأسه » إذا اسودّ بعد حلقه كله، هذا لأنَّ السواد لون جامع للبصر لا يدعه يتفرق؛ ولهذا يُجعل على عيني الضعيف البصر لوجع أو غيره شيء أسود من شعر أو خرقة؛ ليجمع عليه بصره فتقوى الباصرة، وهذا بابٌ طويل، فلنقتصرْ منه على هذا القدر .

وإذا عُلِمَ هذا من شأن الميم، فهم ألحقوها في آخر هذا الاسم الذي يُسأل به الله سبحانه في كل حاجة وكل حال إيذانًا بجميع أسمائه وصفاته، فإذا قال السائل : « اللهم إني أسألك » كأنه قال : أدعو الله الذي له الأسماء الحسنة والصفات العلى بأسمائه وصفاته، فأتى بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم إيذانًا بسؤاله تعالى بأسمائه كلها .

كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « مَا أَصَابَ عَبْدًا قَطُّ هَمٌّ وَلاَ حَزَنٌ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ القُرآنَ العَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلاَءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي وغَمِّي، إِلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وغَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَه فَرَحًا »، قالوا : يا رسول الله، أفلا نتعلمهن ؟ قال : « بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ »[1] .

فالداعي مندوبٌ إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته، كما في الاسم الأعظم : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الحَنَّانُ المَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ، يَاذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَام، يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ »[2] .

---

(١) صحيح : أحمد (١/ ٣٩١ ، ٤٥٢) في المسند. وقال الألباني : صحيح، وانظر السلسلة الصحيحة رقم (١٩٩) .

(٢) صحيح : رواه الحاكم (١/ ٥٠٣ ، ٥٠٤) وصححه ووافقه الذهبي، وانظر : جلاء الأفهام (ص١٠٩) .

• الأكــــرمُ الكَــــريمُ •

قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) ﴾ [العلق] .

وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) ﴾ [الانفطار] .

وقال جلّ ثناؤه : ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) ﴾ [النمل] .

* معنى (الأكرم) :

قال ابن تيمية في معنى قوله اللَّه تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) ﴾ [العلق : ٣] .

ولفظ : « الكرم لفظ جامع للمحاسن والمجاهد لا يراد به مجرد الإعطاء ، بل الإعطاء من تمام معناه ، فإن الإحسان إلى الغير تمام ، والمحاسن والكرم كثرة الخير ويسرته . . . واللَّه تعالى أخبر أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف لها ، فدل على أنه الأكرم وحده ، بخلاف ما لو قال : ﴿ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾ فإنه لا يدل على الحصر ، وقوله : ﴿ الأَكْرَمُ ﴾ يدل على الحصر ، ولم يقل : (الأكرم من كذا) بل أطلق الاسم ليبين أنه الأكرم مطلقًا من غير تقييد ، فدلّ على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص منه »[١] .

واللَّه تعالى أكرم الأكرمين ، وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم كما جاء الأعزّ والأطول بمعنى العزيز والطويل[٢] .

وذكر البيهقي في الأسماء والصفات نقلاً عن الخطابي : « هو أكرم الأكرمين ، لا يوازيه كريم ، ولا يعاديه فيه نظير »[٣] .

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١٦/ ٢٩٣ - ٢٩٦) بتصرف يسير .

(٢) شرح الأسماء الحسنى للرازي (ص ٢٦٤) .

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٥٤) .

* معنى (الكريم) :

الكريم هو من يعطى من غير منة، وقد قال الجُنيد : الكريم الذى يحوجك إلى وسيلة .

وقيل : الكريم الذى لم يؤيس العصاة من قبول توبتهم، ويتوب عليهم من غير مسألتهم .

وقيل : هو سبحانه الذى لا يبالى من أعطى، ولا يضيع من توسل إليه، ولا يترك من التجأ إليه، وهو الذى إذا أبصر خللاً جبره وما أظهره، وإذا أولى فضلاً أجزل ثم ستره[1] .

وقال الحليمى فى معنى (الكريم) : إنه النّفاع، من قولهم شاة كريمة إذا كانت غزيرة اللبن تدر الحالب ولا تقلص بأخلافها، ولا تحبس لبنها، ولا شك فى كثرة المنافع من اللّه عز وجل منّ بها على عباده أبتداءً منه وتفضلاً فهو باسمه الكريم أحق[2] .

* بين الأكرم والكريم :

وقد حاول الإمام القرطبى التوفيق بين الاسمين فقال :

إن الأكرم هو الوصف الذاتى، والكريم الوصف الفعلى، وهما مشتقان من الكرم، وإن اختلفا فى الصيغة، ومهما نظرت فى صفة الجود والكرم، وجعلتهما متعددين، كان الجود وصفًا راجعًا للّه تعالى وللقدرة المنشئة للتكوين الأول، وهو خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام، وكان الكرم ما يصدر بعد هذه الأيام على الدوام، وهذا هو المعبر عنه بقوله تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن] فالنعم الصادرة من قدرته على عباده فى كل يوم ووقت، والمنن الدرّارة عليهم شيئًا بعد شىء هو من وصف كرمه كما كان الخير الأول من وصف جوده[3] .

---

(١) الرازى (ص ٢٦٥) . (٢) البيهقى (ص ٥٣) .
(٣) الأسنى فى شرح أسماء اللّه الحسنى للقرطبى (١/ ١٣١ ، ١٣٢) .

وبهذا يتضح لنا أن الكريم والأكرم يؤديان معنى واحداً وهو : كرم اللَّه تعالى وجوده .

❊ من مظاهر كرم اللَّه عز وجل :

❊ أن يبتدئ بالنعمة من غير استحقاق ، ويتبرع بالإحسان من غير سؤال ، ويقول الداعي في دعائه : يا كريم العفو ، فقيل : إن من كرم عفوه أن العبد إذا تاب عن السيئة محاها عنه ، وكتب له مكانها حسنة ، وذلك في كتاب اللَّه تعالى : ﴿ **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** (٧٠) ﴾ [الفرقان] .

وقد ثبت عن النبي ﷺ عن أبي ذر عنه ﷺ قال : « **إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجًا منها، رجل يُؤتى به، فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه - يعني وارفعوا عنه كبارها - فيعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال : عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا ؟ فيقول : نعم. لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، قال : فيقال : فإن لك مكان كل سيئة حسنة، قال : فيقول : ربِّ قد عملت أشياءً ما أراها هنا** » .

قال : فلقد رأيت رسول اللَّه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه[1] .

❊ ومن كرمه سبحانه أنه يخفي ذنوبهم ، ويستر عيوبهم ، ويتغافل عمّا قد فعلوا .

❊ ومن كرمه أنهم إذا أتوا بالطاعات اليسيرة أعطاهم الثواب الجزيل ، وشرفهم بالثناء الجميل .

ومن كرمه أنه جعلهم أهلاً لمعاهدته ، فقال : ﴿ **أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ** ﴾ [البقرة : ٤٠] . بل أهلاً لمحبته فقال : ﴿ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ [المائدة : ٥٤] .

---

(١) صحيح مسلم (١٩٠) في الإيمان .

* ومن كرمه أنه جعل الدنيا ملكًا للعبد، فقال: ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩]. والآخرة أيضًا ملكًا لهم فقال: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ﴾ [آل عمران].

* ومن كرمه أنه سخر للإنسان كل ما في السموات والأرض فقال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣][1].

فإنه هو الله تعالى أكرم الأكرمين لا يوازيه كرم، ولا يعادله فيه نظير.

وللمسلم أن يطمع في آثار جود الله تعالى وكرمه، وأن يجود هو بكل ما يقدر عليه من مالٍ وجاه، وعلم وحكمة، وبر ومساعدة[2].

* * *

---

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٥٤ ، ٥٥)، والرازي (٢٦٤ - ٢٦٥)، والقرطبي (١/ ٩٩ - ١٣٠).

(٢) شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام (ص ٩٣).

• الأَوَّلُ والآخِـرُ ، والظَّاهِـرُ والبَاطِنُ •

قال اللَّه جل ثناؤه : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ [الحديد : ٣] ، وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ، أنه كان يقول إذا آوى إلى فراشه : « اللَّـهُمَّ رَبَّ السَّمـوات وَرَبَّ الأَرْضِ، رَبَّنَا وربَّ كُلِ شَيءٍ، فَالِقَ الحَبِّ والنَّوَى، ومُنَزِّلَ التَّوْرَاة والإِنْجيلَ والقُرآن، أعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِ ذِي شَرٍ أنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِه، أنْتَ الأولُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وأنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيءٌ، وأنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وأغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ »[١] .

❊ معنى الأول والآخر :

قال الحليمي رحمه اللَّه : فالأول هو الذي لا قبل له ، والآخر هو الذي لا بعد له ، وهذا لأن قبل وبعد نهايتان ، فقبل نهاية الموجود من قبل ابتدائه ، وبعد غايته من قبل أنتهائه ، فإذا لم يكن له ابتداء ، ولا انتهاء لم يكن للوجود قبل ولا بعد ، فكان هو الأول والآخر[٢] .

❊ وقال الفخر الرازي في تعريف هذه الأسماء عدة معان منها :

(١) فهو سبحانه الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء ، والظاهر بلا احتداء ، والباطن بلا اختفاء .

(٢) وهو الأول قبل كل شيء ، والآخر بعد كل شيء ، والظاهر بالقدرة على كل شيء ، والباطن العالم بحقيقة كل شيء .

---

(١) صحيح : مسلم (٢٧١٣) في الذكر والدعاء .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ١٠) .

(٣) وهو الأول بالإيجاد والتخليق، والآخر بالهداية والتوفيق، والظاهر بالإعانة والترزيق، والباطن لأنه مكون الأكوان في التحقيق.

(٤) وهو الأول بعرفان القلوب، والآخر بستر العيوب، والظاهر بإزالة الكروب، والباطن بغفران الذنوب.

(٥) وهو الأول بلا تدبير أحد، الآخر بلا تأخير أحد، الظاهر بلا تقوية أحد، الباطن بلا خوف أحد[١].

فاللَّه تعالى منه المبدأ أولاً، وإليه المرجع والمصير آخراً[٢].

* وقال الإمام ابن القيم:

« وهذه الأسماء الأربعة وهي الأول والآخر والظاهر والباطن هي أركان العلم والمعرفة، فحقيق بالعبد أن يبلغ في معرفتها إلى حيث ينتهي به قواه وفهمه، واعلم أن لك أنت أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، بل كل شيء فله أول وآخر وظاهر وباطن، حتى الخطرة واللحظة والنفس، وأدنى من ذلك وأكثر، فأولية عز وجل سابقة على أولية كل ماسواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته سبقه لكل شيء، وآخريته بقاؤه بعد كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون، وهذا لون، فمدار الأسماء الأربعة على الإحاطة وهي إحاطتان زمانية ومكانيه، فإحاطته أوليته وآخريته بالقبل والبعد، فكل سابق انتهى إلى أوليته وكل آخر أنتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا واللَّه فوقه، وما من باطن إلا واللَّه دونه، وما من أول إلا واللَّه قبله، وما من آخر إلا واللَّه بعده، فالأول قدمه

---

(١) الرازي (ص ٣١١، ٣١٢).

(٢) المقصد الأسنى: الغزالي (ص ٩٨).

والآخر دوامه وبقاؤه ، والظاهر علوه وعظمته ، والباطن قربه ودنوه ، فسبق كل شيء بأوليته ، وبقي بعد كل بآخريته ، وعلا كل شيء بظهوره ، ودنا من كل شيء ببطونه ، فلا تُوارى منه سماء سماءً ، ولا أرض أرضًا ، ولا يحجب عنه ظاهر باطنًا ، بل الباطن له ظاهر ، والغيب عنده شهادة ، والبعيد منه قريب ، والسر عنده علانية ، فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد ، فهو الأول فى آخريته ، والآخر فى أوليته ، والظاهر فى بطونه ، والباطن فى ظهوره ، لم يزل أولاً وآخرًا ، وظاهرًا وباطنًا [(١)] ، [(٢)] .

* كيفية التعبد بهذه الأسماء :

(١) فعبوديته باسمه الأول تقتضى التجرد من مطالعة الأسباب والوقوف أو الالتفات إليها ، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته ، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد ، إذ لا وسيلة له فى العدم قبل وجوده ، أى وسيلة كانت هناك ، وإنما هو عدم محض ، وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا ، فمنه سبحانه الإعداد ومنه الإمداد وفضله سابق على الوسائل ، والوسائل من مجرد فضله وجوده لم تكن بوسائل أخرى . فمن نزل اسمه الأول على هذا المعنى أوجب له فقرًا خاصًا وعبودية خاصة .

(٢) وعبوديته باسمه الآخر تقتضى أيضًا عدم ركونه ووثوقه بالأسباب والوقوف معها ، فإنها تنعدم لا محالة وتنقضى بالآخرية ويبقى الدائم الباقى بعدها ، فالتعلق بها تعلق بعدم وينقضى ، والتعلق بالآخر سبحانه تعلق بالحى الذى لا يموت ولا يزول فالمتعلق به حقيق ألا يزول ولا ينقطع ، بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يفنى به .

كذا نظر العارف إليه بسبق الأولية حيث كان قبل الأسباب كلها ، وكذلك نظره إليه ببقاء الآخرية حيث يبقى بعد الأسباب كلها ، فكان اللَّه ولم يكن شيء غيره ، وكل شيء هالك إلا وجهه .

---

(١) طريق الهجرتين (ص ٤٧) .

(٢) وقال الرازي : فإذا قيل متى كان ؟ أجاب بقوله : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ [الحديد : ٣] ، وانظر الرازي (ص ٣١٥) .

فتأمل عبوديته بهذين الاسمين وما يوجبانه من صحة الاضطرار إلى اللّه وحده ودوام الفقر إليه دون كل شيء سواه، وأن الأمر ابتداء منه وإليه يرجع، فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة، وإليه تنتهي الأسباب والوسائل فهو أول كل شيء وآخره، وكما أنه رب كل شيء وفاعله وخالقه وبارئه، فهو إلهه وغايته التي لا صلاح له ولا فلاح ولا كمال إلا بأن يكون وحده غايته ونهايته ومقصوده .

فهو الأول الذي ابتدأت منه المخلوقات، والآخر الذي انتهت إليه عبوديتها وإرادتها ومحبتها، فليس وراء اللّه شيء يقصد ويعبد ويتأله، كما أنه ليس قبله شيء يخلق ويبرأ، فكما كان واحداً في إيجادك فاجعله واحداً في تأليهك إله ليصح عبوديتك، وكما ابتدأ وجودك وخلقك منه فاجعله نهاية حبك وإرادتك وتأليهك له لتصح لك عبوديته باسمه الأول والآخر. وأكثر الخلق تعبدوا له باسمه الأول، وإنما الشأن في التعبد له باسمه الآخر فهذه عبودية الرسل وأتباعهم، فهو رب العالمين وإله المرسلين سبحانه وبحمده[1] .

(٣) وأما التعبد باسمه (الباطن) فهو التعبد بخالص المحبة وصفوة الوداد، وأن يكون الإله أقرب إليه من كل شيء وأقرب إليه من نفسه[2] ، مع كونه ظاهراً ليس

---

(١) طريق الهجرتين (ص ٤٠).

(٢) ذكر ابن القيم في معنى القرب ثلاثة أوجه من القرآن والسنة :

أ- قُرب خاص من عابديه سبحانه وسائليه وداعيه، وهو من ثمرة التعبد باسمه الباطن، وهو في قوله تعالى : ﴿ إذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيبُ دعوة الداع إذا دعان ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

ب- قرب خاص غير قرب الإحاطة والبطون، كما في قوله تعالى : ﴿ إنَّ رحمت الله قريبٌ من المحسنين (٥٦) ﴾ [الأعراف] . وفي الصحيح عن النبي ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد »، والحديث صحيح : مسلم (٤٨٢) في الصلاة .

جـ- وقرب من الداعين والذاكرين، كما في حديث أبي موسى أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر، فارتفعت أصواتهم بالتكبير فقال : « أيها الناس أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم غائباً، إن الذي تدعون سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » . والحديث متفق عليه البخاري (٢٩٩٢) في الجهاد والسير، مسلم (٢٧٠٤) في الذكر والدعاء.

فوقه شيء ، ومن كثف ذهنه وغلظ طبعه عن فهم هذا فليضرب عنه صفحًا إلى ما هو أولى[١] .

(٤) وأما التعبد باسمه (الظاهر) يجمع القلب على المعبود ، ويجعل له ربًا يقصده ، وصمدًا يصمد إليه[٢] في حوائجه ، وملجأ يلجأ إليه ، فإذا استقر ذلك في قلبه وعرف ربه باسمه الظاهر استقامت له عبوديته وصار له معقل وموئل يلجأ إليه ويهرب إليه ، ويفر كل وقت إليه[٣] .

❁ ❁ ❁

---

(١) طريق الهجرتين (ص ٤٤) .

(٢) يصمد إليه : يستند إليه ويرتكن .

(٣) طريق الهجرتين (ص ٤٤) .

• البـــــارئ •

قال سبحان وتعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ ﴾ [الحشر : ٢٤] .

(والبـــارئ) : هو المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود، والبرء هو الفرْى : وهو التنفيذ، وإبراز ما قدّره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئًا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى اللَّه عز وجل [١] .

وقال القرطبي : « البارئ : المنشيء المخترع » [٢] .

وقال الحليمي : وهذا الاسم يحتمل معنيين :

أحدهما : الموجد لما كان في معلومه من أصناف الخلائق وهو الذي يشير إليه قوله عز وجل : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** (٢٢) ﴾ [الحديد] . ولا شك أن إثبات الإبداع والاعتراف به للبارى عز وجل ليس على أنه أبدع بغتة [٣] من غير علم سبق له بما هو مبدعة لكن على أنه كان عالمًا قبل أن يبدع فكما وجب له عند الإبداع اسم (البديع) ، وجب له أسم (البارئ) .

والآخـــر : أن المراد بالبارئ : قالب الأعيان أي : أنه أبدع الماء والتراب والنار والهواء لا من شيء ثم خلق منها الأجسام المختلفة كما قال عز وجل : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** ﴾ [الأنبياء : ٣٠] ، وقال : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ** ﴾ [الروم : ٢٠] ، وقال : ﴿ **إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ** (٧١) ﴾ [ص] ، وقوله : ﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ** (١٤) **وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ** (١٥) ﴾ [الرحمن] ، وقوله : ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ**

---

[١] معارج القبول (١/ ٨٢) ، للحافظ الركمي ، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٣) .

[٢] تفسير القرطبي (١٠/ ٦٧٧١) .

[٣] بغتة : فجأة .

مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾ [المؤمنون][١] .

وبهذا يكون معنى (البارئ) : الموجد والمبدع ، فاللَّه تعالى برأ الخلق يبرأهم ، والبرية الخلق ، وهو (بارئ) لأنه أبدع تلك الأجسام وأخرجها من العدم إلى الوجود .

وقال أبو سليمان الخطابي : وللفظه البارئ اختصاص بالحيوان أزيد مما لسائر المخلوقات ، فيقال : برأ اللَّه الإنسان ، وبرأ النَّسم ، ولا يقل : برأ اللَّه السماء والأرض ، وكانت يمين على بن أبى طالب - كرّم اللَّه وجهه - التى يحلف بها : (والذى فلق الحبة وبرأ النسمة)[٢] .

❋ ثمرة معرفة هذا الاسم :

(١) قال الحليمى : والاعتراف للَّه عز وجل بالإبداع يقيض له الاعتراف بالبُرء إذا كان المعترف يعلم من نفسه أنه منقول من حال إلى حال إلى قدر على الاعتقاد والاعتراف[٣] . ويعنى هذا تمام التسليم للَّه تعالى الذى أوجد من العدم وأعطى للإنسان الوجود .

(٢) ومن ثمار معرفة هذا الاسم أيضًا أنه من عرف أن اللَّه هو البارئ لم يكن للحوادث فى قلبه أثر ، ولا للشواهد على سره خطر ، وتبرأ من حَوْل[٤] نفسه وسطوته ، ومن عرف أن ربه هو البارئ تبرأ عن المحظور ، والتجأ إلى الملك الغفور[٥] .

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٢٤) .

(٢) الأسماء الحسنى للرازى (ص ٢٠٢ ، ٢٠٣) .

(٣) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٢٤) .

(٤) الحول : القوة .

(٥) الرازى (ص ٢٠٥) .

(٣) ومن عرف هذا الاسم عرف أنه للّٰه تعالى، فلا بارئ سواه، فكان ممن أتموا للّٰه العبودية، والعبودية هي الطاعة على غاية الذل والخضوع، وذلك مختص بخالق الأعيان، ومكوِّن الأكوان، ومدبر الأزمان[1].

* * *

(١) العز بن عبد السلام: شجرة المعارف والأحوال (ص ٨٣).

• البَـاسِــطُ القَـابِـضُ •

لم يأتيا فى القرآن اسمين بهذه الصيغة وإنما وردا فعلين، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ ﴾ [البقرة : ٢٤٥]، وقال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤]، وقال : ﴿ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ﴾ [الشورى : ٢٧]، وقال : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ [نوح : ١٩]، وهذه أفعال تصرفت فى القرآن. وعن أنس بن مالك قال : غلا السعر على عهد رسول اللَّه ﷺ فقالوا : يا رسول اللَّه ، قد غلا السعر فسعر لنا، قال : « إن اللَّه الخالق الباسط الرازق المسَعِّرُ إنى لأرجو أن ألقى اللَّه ربى وليس أحد منكم يطلبنى بمظلمة فى دم ولا مال »[(١)] .

يقال : قبض يقبض قبضًا واسم الفاعل قابض، وبسط يبسط بسطًا واسم الفاعل باسط، وفى التنزيل : ﴿ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ ﴾ [الرعد : ١٤]، قال الجوهرى : والقبض خلاف البسط، ويقال : صار الشىء فى قَبْضتك وفى قُبْضَتكَ أى فى ملكك، ودخل مال فلان فى القبض بالتحريك وهو ما قبض من أموال الناس، والانقباض خلاف الانبساط . وانقبض الشىء صار مقبوضًا، وبسط الشىء نشره وبالصاد أيضًا، وبسط العذر قبوله والبَسْط السعة ويستعمل فى الأجسام والذوات المعقولة، ومنه قوله تعالى : ﴿ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ [البقرة : ٢٤٧]، وانبسط الشىء على الأرض، والانبساط ترك الاحتشام يقال : بسطت من فلان فانبسط ، وتبسط فى البلاد أى سار فيها طولاً وعرضًا، وفلان بسْط الجسم والباع ، والبِسْط بكسر الباء ، وضمها الناقة تخلى مع ولدها، لا يمنع منها والجمع بساط وأبساط مثل (ظئر وأظآر)، وقد أبسطت الناقة أى تركت مع ولدها، ويد بسيط أى مطلقة وفى قراءة عبد اللَّه : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤]، وقد يستعملان فى الجود والبخل يقال : فلان مبسوط اليد إذا كان واسع العطاء كثير

---

(١) صحيح : أبو داود (٣٤٥١) فى الإجارة، والترمذى (١٣١٤) فى البيوع .

الخير سخيًا، وفلان مقبوض اليد على الضد من ذلك، وقد يستعملان بمعنى الاقتدار والقهر ومنه قوله تعالى: ﴿ لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك ﴾ [المائدة: ٢٨].

ومنه قول العرب: يدك الباسطة علىّ يريدون بذلك الاقتدار على الغير، وفي نقيضه قبض اليد عن الغير فالله سبحانه يقبض ويبسط أي يعطي ويمنع ويغلب ويقهر فهمًا من أسماء الأفعال.

قال الحليمي: في معنى الباسط: أنه الناشر فضله على عباده يرزق من يشاء ويوسع ويجود ويفضل ويمكن ويخول ويعطي أكثر مما يُحتاج إليه.

وقال في معنى القابض: يطوى بره ومعروفه عمن يريد ويضيق ويقتّر أو يحرم فيفقر.

وقال الخطابي: وقيل: القابض هو الذى يقبض الأرواح بالموت الذى كتبه الله تعالى على العباد.

وقيل: يقبض الصدقات ويبسط الجزاء عليها قال: ولا ينبغي أن يدعى ربنا جل جلاله باسم القابض حتى يقال معه الباسط، قال ابن الحصار: وهذان الاسمان يختصان بمصالح الدنيا والآخرة، قال الله العظيم: ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء ﴾ [الشورى: ٢٧]، وذلك يتضمن قوام الخلق باللطف والخبرة وحسن التدبير والتقدير والعلم بمصالح العباد في الجملة والتفاصيل، وبحسب ذلك يرسل الرياح ويسخر السحاب فيمطر بلدًا ويمنع غيره ويُقلّ ويُكثر وكذلك يُصرف الأسباب إلى آحاد العباد كما يصرف جملة العوالم لجملة العالمين[١].

---

(١) وقال الغزالي في المقصد الأسنى: هو الذى يقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة، ويقبض الصدقات من الأغنياء، ويبسط الأرزاق للضعفاء ويبسط الرزق على الأغنياء حتى لا يبقى فاقة - فقر وحاجة - ويقبضه عن الفقراء حتى لا يبقى طاقة، ويقبض القلوب فيضيقها بما يكشف لها من قلة مُبالاته وتعاليه وجلاله ويبسط بما يتقرب إليها من برّه ولطفه وجماله (ص ٥٩).

وقال بعض العلماء: إن أعظم البسط بسط الرحمة على القلوب حتى تستضيء ونَخْرُجَ من وضر الذنوب(١).

فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن لا قابض ولا باسط إلا سبحانه هو الذى يقبض الجميع ويبسطه(٢)، وهو الذى يبسط القلوب والألسنة والأيدى وسائر الأسباب.

* ثمرة معرفة هذين الاسمين:

(١) وثمرة معرفتهما الخوف من قبض منافع الدنيا والآخرة، ورجاء بسط الخيرات العاجلة والآجلة، وأن تبسط برَّك ومعروفك على كل محتاج حتى على الدواب والكلاب والذَّر، كما قال - عليه السلام -: « فِى كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ »(٣). وأن تقبض عن كل أحد ما ليس له أهلاً، من مال وعلم وحكمة، فلا تؤتوا السفهاء أموالكم فيتلفوها(٤).

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٣٦٠، ٣٦١)، والوضر: الوسخ والقَذَر.

(٢) وذكر الرازى أن الله تعالى قابض باسط فى أمور أخرى هى:

أ- الرزق: فقال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد: ٢٦]، وذلك البسط ليس الإسراف والقبض لا البخل، ولكن له سبحانه فيهما أسرار خفية، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ﴾ [الشورى: ٢٧]، وقال: ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ..... الآية ﴾ [الزخرف: ٣٣].

ب- القبض والبسط فى السحاب، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [الروم: ٤٨].

جـ- فى الظلال والأنوار: ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦) ﴾ [الفرقان].

د- قبض الأرواح وبسطها، فعند قبضها يحصل الموت، وعند بسطها تحصل الحياة.

هـ- قبض الأرض: قال تعالى: ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الزمر: ٦٧]. وبسطها إنما جُعل فى الدنيا، قال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) ﴾ [النبأ]. أى: باسطًا.

و- قبض الصدقات. قال تعالى: ﴿ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ [التوبة: ١٠٤].

ى- قبض القلوب وبسطها.

(٣) صحيح: متفق عليه: البخارى (٢٣٦٣) فى المساقاة، ومسلم (٢٢٤٤) فى السلام.

(٤) شجرة المعارف (ص ٩٢). والذر: صغار النمل.

(٢) وإذا كنت مبسوط القلب بالمعارف والحقيقة والعلوم الدينية فابسط بساطك، وابسط وجهك، واجلس للناس حتى يقتبسوا من ذلك النبراس، وإن كنت ذا بسط فى الجسم فابسطه فى العبادة التى تقضى بك إلى السعادة، وفى الصولة على الأعداء بما خُوِّلْت من المنّة والشدة، وإن كنت ذا بسط فى المال فابسط يدك بالعطاء، وأزل ما على مالك من الغطاء، ولا تُوكِ فيوكى اللّه عليك، ولا تحصى فيحصى اللّه عليك، وإن كنت لم تنل حظًا من هذه البسطات فابسط قلبك لأحكام ربك، ولسانك لذكره وشكره، ويدك لبذل الواجبات عليك، ووجهك للخلق[(١)] ، كما قال - عليه السلام - فى بذل المعروف : « فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَالْقَ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ »[(٢)] .

(٣) والقابض الباسط من العباد من أُلهم بدائع الحكم، وأوتى جوامع الكلم، فتارة يبسط قلوب العباد بما يذكرهم من آلاء اللّه ونعمائه، وتارة يقبضها بما ينذرهم به من جلال اللّه وكبريائه، وفنون عذابه، وبلائه وانتقامه من أعدائه[(٣)] .

❊ ❊ ❊

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٣٦٢ ، ٣٦٣) . ومعنى النبراس : المصباح والسراج . وقوله توك : من ربط القربة بالوكاء، ومعناها : أمسك ماله .

(٢) صحيح : الترمذى (٢٧٢٢) فى الاستئذان، وعنده (بوجه منطلق) .

(٣) المقصد الأسنى للغزالى (ص ٥٩) .

• البَـاعِـــثُ •

ورد في القرآن فعلاً فقال : ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى ﴾ [الأنعام : ٦٠]، وقال : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ [البقرة : ٥٦]، وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة : ٢] .

وهذا الاسم يختص ببعث الأرواح والأجساد والرسل والخواطر إلى غير ذلك، فمعناه قريب من معنى المرسل والمنشئ والخالق أيضًا فهو من صفات الأفعال .

وقال ابن العربي : حقيقة البعثة تحريك الشيء في إرعاج واستعجال فالبارئ تعالى هو الذي يحركُ الموتى ويظهرهم، وهو الذي حرك الرسل لدعاء الخلق وأظهرهم، وهو الذي حرّك الرسل عباده إلى الطاعة، وهو الذي بعث عبادًا له على بني إسرائيل، وهو الذي يبعث الكسير وينعشه، فعاد جميع ما بيناه إلى الإظهار والتحريك . لكن سبب ذلك يختلف[1] .

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن اللّه سبحانه باعث الموتى يوم النشور ومنشئهم وخالقهم ومعيدهم كما بدأهم . قال اللّه مخبرًا عن الكفار : ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [يس : ٥٢]، فقال لهم المحققون العابدون : ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يس]، فاللّه سبحانه يحيي الموتى يوم النشور، ويبعث ما في القبور، ويحصّل ما في الصدور .

---

(١) قال الرازي : والباعث في صفة اللّه تعالى يحتمل وجوهًا :

الأول : أنه تعالى باعث الخلق يوم القيامة كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج] .

والثاني : أنه تعالى باعث الرسل إلى الخلق : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ [النحل : ٣٦] .

والثالث : أنه تعالى يبعث عباده عند العجز بالمعونة والإغاثة، وعند الذنب بقبول التوبة . ا . هـ . شرح الأسماء الحسنى للرازي (ص ٢٧٦) .

* ثمرة معرفة هذا الاسم :

ثم يجب عليه أن يسعى فى أسباب البعث من الجهل لنفسه وأهله، وذلك بتحصيل العلم الذى عنه تكون الحياة الحقيقية؛ فيبعث قلبه على اليقين ولسانه على الذكر وجوارحه على العمل، وقد ذكر اللَّه العلم والجهل فى كتابه العزيز، وسماها حياة وموتًا. فقال وقوله الحق : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ** ﴾ [الأنعام : ١٢٢]، وقال : ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ** ﴾ [الأنعام : ٣٦]، فمن رقى غيره من الجهل إلى المعرفة فقد أنشأه نشأة أخرى، وأحياه حياة طيبة. وكل من كان له مدخل فى إفادة الخلق بالعلم، ودعائهم إلى اللَّه تعالى فله بذلك نوع من الإحياء وهى رتبة الأنبياء ومن ورثهم من العلماء. وهذا بين لا إشكال فيه. ثم يجب عليه أيضًا قبول باعث الحق، وردُّ باعث الباطل، ولا خلاف فى ذلك فاعلمه[1].

* * *

---

(١) هذا الكلام منقول عن القرطبى فى الأسنى (١/ ٤٧٨)، ونقله القرطبى عن الغزالى فى المقصد الأسنى (ص ٨٩ ، ٩٠). وفى هذا يقول الرازى : إن العبد إذا سعى إلى التعلم بعث روحه بعد الموت، وإذا سعى فى تعليم الجهلاء فكأنه يبعث أرواحهم بعد موتها. الرازى (ص٢٧٧).

• البَـاقـى •

قال الله عز وجل : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) ﴾ [الرحمن] .

وقال جلّ ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (٧٣) ﴾ [طه] .

قال الحليمى - رحمه الله - : وهذا أيضًا من لوازم قوله : (القديم)[1] ؛ لأنه إذا كان موجودًا لا عن أول ، ولا بسبب لم يجز عليه الانقضاء والعدم ، فإن كل منقض بعد وجوده فإنما يكون انقضاؤه لانقطاع سبب وجوده فلما لم يكن لوجود القديم سبب ، فيتوهم أن ذلك السبب إن ارتفع عدم ، علمنا أنه لا انقضاء له[2] .

ويفسر الغزالى هذه العبارة بقوله : (أن لنا ماض ومستقبل . . .) ومعنى هذا إنما يكون ماض لنا إذا مضى علينا وفينا أمور ، والمستقبل حينما تتجدد هذه الأمور ، وتحدث شيئًا ، فتقسم الحياة إلى ماض قد انقطع ، وزمان حاضر ، وما يتوقع تجدده .

أما الحق تعالى فلا زمان ، وكيف لا والحق عز وجل قبل الزمان ، وحيث خلق الزمان لم يتغير من ذاته شىء ، وقبل خلق الزمان لم يكن عليه للزمان جريان ، وبقى بعد خلق الزمان على ما عليه كان[3] .

* ومن معانى بقاء الله تعالى :

(١) أنه عز وجل غير قابل للعدم بأى وجه من الوجوه .

(٢) هو سبحانه الباقى الذى لا ابتداء لوجوده ، ولا نهاية لجوده .

---

(١) قصد البيهقى هنا أن الله تعالى من صفاته عز وجل (القدم) ولابد للقديم عز وجل من (البقاء) بلا تغيير يطرأ عليه سبحانه ، فصار البقاء صفة ملازمة للقديم الذى لا أول له .

(٢) البيهقى فى الأسماء والصفات (ص ١١ ، ١٢) .

(٣) المقصد الأسنى (ص ١٠٧) .

(٣) أن الحق باق ببقائه، والخلق باق بإبقائه[١] .

(٤) ومن معاني بقائه سبحانه أنه الحي الذي لا يموت أبداً[٢] .

(٥) وهو سبحانه الموصوف بالبقاء عند تعرض الخلق للفناء[٣] .

* * *

(١) الرازي (ص ٣٣٦) .

(٢) ابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٧٨) .

(٣) تفسير القرطبي (٩/ ٦٥٦٥) .

• البَـــديـعُ •

قال اللَّه - جل ثناؤه - : ﴿ بَدِيعُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ١١٧ ، والأنعام : ١٠١] ، وعن أنس - رضى اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ سمع رجلاً يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، المَنَّانُ، بَدِيع السَّموات والأَرْضِ، ذُو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ » فقال النبى ﷺ : « لَقَدْ كَادَ يَدْعُو اللَّهَ بِاسْمِهِ الذِى إِذَا دُعِىَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى »[١] .

وقال ابن كثير : (بديع السموات والأرض) أى : مبدعهما وخالقهما ومنشئهما، ومحدثهما على غير مثال سبق[٢] .

وقال القرطبى : وهو سبحانه منشئهما ومخترعهما على غير حد ولا مثال[٣] .

قال الحليمى فى معنى البديع : إنه المبدع، وهو محدث مالم يكن مثله قط ، قال اللَّه- عز وجل - : ﴿ بَدِيعُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ١١٧ ، والأنعام : ١٠١] ، أى : مبدعهما، والمبدع من له إبداع، فلما ثبت وجود الإبداع من اللَّه - عز وجل - لعامة الجواهر والأعراض ، استحق أن يسمى بديعًا ومبدعًا[٤] .

وقال الغزالى : هو الذى لا عهد بمثله، لا فى ذاته، ولا صفاته، ولا أفعاله، ولا فى كل أمر راجع إليه، فهو البديع المطلق سبحانه[٥] .

---

(١) صحيح : الترمذى (٣٥٤٤) فى الدعوات، وأبو داود (١٤٩٥) فى الصلاة .

(٢) ابن كثير (٣/ ٢٢٣) .

(٣) القرطبى فى التفسير (١/ ٥٨٠) .

(٤) البيهقى فى الأسماء والصفات (ص ٢٣ ، ٢٤) .

(٥) الغزالى : المقصد (ص ١٠٦) .

وهو سبحانه الذي لا مثل له ولا شبيه، فالبديع : عديم المثل، وهو الذي فطر الخلق إبتداءً، وهو الذي أظهر عجائب صنعته، وغرائب حكمته[1] .

❁ ❁ ❁

---

(١) الرازي (ص ٣٣٥ ، ٣٣٦) .

• البَـــرُّ •

قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨) ﴾ [الطور].

وجاء في حديث أبي هريرة وأجمعت عليه الأمة، ويجوز إجراؤه على العبد، وفي التنزيل: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ [مريم: ٣٢]، ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ﴾ [مريم: ١٤] [(١)].

والبر: هو المحسن، والبر المطلق: هو الذي منه كل مبرة وإحسان [(٢)].

* **وقد تعددت معاني البر عند العلماء ومنها:**

(١) البر هو الذي لا يقطع الإحسان بسبب العصيان.

(٢) وهو الذي منّ على السائلين بحسن عطائه، وعلى العابدين بجميل جزائه [(٣)].

(٣) وهو الذي يحسن إلى من أساء، ويعفو عمن ظلم، ويغفر لمن أذنب، ويتوب على من تاب إليه، ويقبل عذر من اعتذر إليه وقد تاب عباده إلى هذه الشيم الفاضلة والأفعال الحميدة وهو أولى بها منهم وأحق، وكان له تقدير أسبابها من الحكم والعواقب الحميدة ما يبهر العقول فسبحان الله وبحمده.

وهو سبحانه يتفضل على عباده، ويتم نعمته عليهم، ويريهم مواقع بره وكرمه، فلمحبته الأفضال والأنعام ينوعه عليهم أعظم الأنواع، وأكثرها في سائر الوجوه الظاهرة والباطنة [(٤)].

(٤) والبر هو اللطيف سبحانه، وقال الحليمي: الرفيق بعباده يريد بهم اليسر ولا

---

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٣٣٣).

(٢) المقصد الأسنى للغزالي (ص ١٠٠).

(٣) الرازي (ص ٣٢٢).

(٤) ابن القيم: مفتاح دار السعادة (ص ٤٩٧).

يريد بهم العسر، ويعفو عن كثير من سيئاتهم، ولا يؤاخذهم بجميع جناياتهم، ويجزيهم بالحسنة عشر أمثالها، ولا يجزيهم بالسيئة إلا مثلها، ولا يكتب لهم الهمّ بالسيئة. . . وهو سبحانه البر بعباده العطوف عليهم، والمحسن إليهم بوسعهم خيراً وكرماً وفضلاً وشكراً وإجابة، والعبد بر بربه يشكره، ويسارع في مرضاته، ويجانب ما يكرهه، ولقد عم بره عز وجل في قوله: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠](١).

* بيان ما اختص الله به الإنسان من أنواع البر وصنوف الكرامات:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) ﴾ [الإسراء]، فسبحان من ألبسه خلع الكرامة كلها من العقل والعلم والبيان والنطق والشكل والصورة الحسنة والهيئة الشريفة والقد المعتدل واكتساب العلوم بالاستدلال والفكر، واقتناص الأخلاق الشريفة الفاضلة من البر والطاعة والانقياد فكم بين حاله وهو نطفة في داخل الرحم مستودع هناك، وبين حاله والملك يدخل عليه في جنات عدن ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾ [المؤمنون]، فالدنيا قرية والمؤمن رئيسها والكل مشغول به ساع في مصالحه، والكل قد أقيم في خدمته وحوائجه فالملائكة الذين هم حملة عرش الرحمن ومن حوله يستغفرون له، والملائكة الموكلون به يحفظونه والموكلون بالقطر والنبات يسعون في رزقه ويعملون فيه، والأفلاك سخرت منقادة دائرة بما فيه مصالحه، والشمس والقمر والنجوم مسخرات جاريات بحساب أزمنته وأوقاته وإصلاح رواتب أقواته، والعالم الجوي مسخر له برياحه وهوائه وسحابه وطيره وما أودع فيه، والعالم السفلي كله مسخر له مخلوق لمصالحه أرضه وجباله وبحاره وأنهاره وأشجاره وثماره ونباته وحيوانه وكل ما فيه كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٢، ١٣].

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

---

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٣٣٣) بتصرف.

الثمرات رزقًا لكم ﴾ إلى قوله : ﴿ كفّار ﴾ [إبراهيم ٣٢ - ٣٤] ، فالسائر فى معرفة آلاء الله وتأمل حكمته وبديع صفاته أطول باعًا وأملأ صواعًا من اللصيق بمكانه المقيم فى بلد عادته وطبعه راضيًا بعيش بنى جنسه لا يرضى لنفسه ، إلا أن يكون واحدًا منهم يقول لى أسوة بهم :

* وهل أنا إلا ربيعة أو مضر *

وليس نفائس البضائع إلا لمن امتطى غارب الاغتراب ، وطوف فى الآفاق حتى رضى من الغنيمة بالإياب فاستلان ما استوعره البطالون وأنس بما استوحش منه الجاهلون(١) .

* ثمرة معرفة هذا الاسم :

(١) أن يعرف العبد بره سبحانه فى ستره عليه حال ارتكاب المعصية ، مع كمال رؤيته له ، ولو شاء لفضحه بين خلقه فحذروه ، وهذا من كمال بره ، ومن كمال فقر العبد أن يشتغل بمطالعة هذه المنة ، ومشاهدة هذا البر والإحسان والكرم ، فيذهل عن ذكر الخطيئة فيبقى مع الله سبحانه ، وذلك أنفع له من الاشتغال بجنايته ، وشهود ذل معصيته فإن الاشتغال بالله والغفلة عما سواه : هو المطلب الأعلى والمقصد الأسنى ولا يوجب هذا نسيان الخطيئة مطلقًا ، بل فى هذه الحال . فإذا فقدها فليرجع إلى مطالعة الخطيئة ، وذكر الجناية ، ولكل وقت ومقام عبودية تليق به(٢) .

(٢) ويجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه هو البر الرحيم بالوجوه المذكورة سابقًا فيجب عليه مبرته ، ومبرة كتبه ، ورسله ، وأوليائه والعلماء ، وأهل طاعته ، وبر والديه ، وإذا وجبت مبرة والديه لتربيته ، فمبرة الرب الأعلى لربوبيته أحرى وأولى ، فيتضاءل لعظمته ، ويتصاغر لكبريائه ، ويؤدى حقه إليه ، ويقف نفسه عند حظها ، ويراقب حتى يتوجه منه إليه أمر يقوم به ويعمل عليه ، ويبر ولاة الأمر بالسمع والطاعة ، وعامة المسلمين بالنصح لهم(٣) .

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (ص ٤٥٩) .
(٢) مدارج السالكين (ص ٢٠٥) .
(٣) الأسنى للقرطبى (١/ ٣٣٥) .

(٣) ولك أن ترجو برّه سبحانه بكل أنواعه، وأن تبرّ كل من تقدر على بره بأحب أموالك إليك، وأنفسها لديك، فإن مولاك يقول: ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ [آل عمران: ٩٢] (١).

❋ ❋ ❋

---

(١) شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام (ص ٩١).

• البَصِــــير •

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١) ﴾ [الحج] .

وقال : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤) ﴾ [النساء] .

وقال : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] .

فالبصير : هو الذى لكمال بصره، يرى تفاصيل خلق الذرة[١] الصغيرة وأعضائها ولحمها ودمها ومخها وعروقها، ويرى دبيبها على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء، ويرى ما تحت الأرضين السبع كما يرى ما فوق السموات السبع[٢] .

وهو سبحانه الذى أحاط بصره بجميع المبصرات فى أقطار الأرض والسموات، حتى أخفى ما يكون فيها . . . ويرى سريان المياه من أغصان الأشجار وعروقها، وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك، فسبحان من تحيرت العقول فى عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته، ولطفه، وخبرته بالغيب، والشهادة، والحاضر والغائب، ويرى خيانات الأعين، وتقلبات الأجفان، وحركات الجنان، قال تعالى : ﴿ الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠) ﴾ [الشعراء]، وقال : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ (١٩) ﴾ [غافر]، وقال : ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٩) ﴾ [البروج] .

أى مطلع ومحيط علمه وبصره وسمعه بجميع الكائنات[٣] .

---

(١) يقصد بذلك النملة الصغيرة، والذَّر : هو صغار النمل .

(٢) طريق الهجرتين (ص ٢١١) لابن القيم .

(٣) الحق الواضح المبين (٣٤ - ٣٦) .

*** بين البصر والبصيرة :**

وقد فرّق الإمام ابن القيم بين البصر، وقد عرفه أولاً - كما ذكرنا - وبين البصيرة .

والبصيرة : نور يقذفه اللَّه في القلب يرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل، كأنه يشاهده رأى عين، فيتحقق مع ذلك انتفاع العبد بما دعت إليه الرسل، وتضرره بمخالفتهم، وهذا معنى قول بعض العارفين : البصيرة تحقق الانتفاع بالشيء والتضرر به، وقال بعضهم : البصيرة ما خلصك من الحيرة إما بإيمان وإما بعيان .

*** درجات البصيرة :**

من استكملها فقد استكمل البصيرة وهى :

- بصيرة فى الأسماء والصفات .
- وبصيرة فى الأمر والنهى .
- وبصيرة فى الوعد والوعيد .

المرتبة الأولى : البصيرة فى الأسماء والصفات :

ألا يتأثر إيمانك بشبهة تعارض ما وصف اللَّه به نفسه، ووصفه به رسوله، بل تكون الشُّبه العارضة لذلك عندك بمنزلة الشبه والشكوك فى وجود اللَّه، فكلاهما سواء فى البلاد عند أهل البصائر .

وعقد هذا : أن يشهد قلبك بأن الرب تبارك وتعالى مستويًا على عرشه، متكلمًا بأمره ونهيه، بصيراً بحركات العالم عُلْوِيه وسُفْلِيه، وأشخاصه وذواته، سميعًا لأصواتهم، رقيبًا على ضمائرهم وأسرارهم، وأمر الممالك تحت تدبيره، نازل من عنده، وصاعد إليه، وأملاكه[1] بين يديه تنفذ أوامره فى أقطار الممالك، موصوفًا بصفات الكمال، منعوتًا بنعوت الجلال، منزهًا عن العيوب والنقائص والمثال .

---

(١) أملاكه : جمع للمَلَك ويجمع على (ملائك - وملائكة - وأملاك) .

وهو كما وصف نفسه فى كتابه، وفوق ما يصفه به خلقه : حى لا يموت، قيوم لا ينام عليم لا يخفى عليه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض، بصير يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمّاء فى الليلة الظلماء، سميع يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، تمت كلماته صدقًا وعدلاً، وجلت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شبهًا ومثلاً، وتعالت ذاته أن تشبه شيئًا من الذوات أصلاً، ووسعت الخليقة أفعاله عدلاً، وحكمة ورحمة وإحسانًا وفضلاً. له الخلق والأمر، وله النعمة والفضل، وله الملك والحمد، وله الثناء والمجد. أول ليس قبله شىء، وآخر ليس بعده شىء، ظاهر ليس فوقه شىء، باطن ليس دونه شىء. أسماؤه كلها أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد؛ ولذلك كانت حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، ونعوته كلها نعوت جلال، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل .

كل شىء من مخلوقاته دال عليه، ومرشد لمن رآه بعين البصيرة إليه. لم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، ولا ترك الإنسان سدًى عطلاً. بل خلق الخلق لقيام توحيده وعبادته، وأسبغ عليهم نعمه ليتوسلوا بشكرها إلى زيادة كرامته .

وتفاوت الناس فى إدراك هذه البصيرة بحسب تفاوتهم فى معرفة النصوص النبوية وفهمها، والعلم بفساد الشبه المخالفة لحقائقها .

وتجد أضعف الناس بصيرة أهل الكلام الباطل المذموم الذى ذمه السلف، لجهلهم بالنصوص ومعانيها، وتمكن الشبه الباطلة من قلوبهم. وإذا تأملت حال العامة - الذين ليسوا مؤمنين عند أكثرهم - رأيتهم أتم بصيرة منهم، وأقوى إيمانًا، وأعظم تسليمًا للوحى، وانقيادًا للحق .

المرتبة الثانية : البصيرة فى الأمر والنهى :

وهى تجريده عن المعارضة بتأويل، أو تقليد، أو هوى. فلا يقوم بقلبه شبهة تعارض العلم بأمر اللّٰه ونهيه، ولا شهوة تمنع من تنفيذه وامتثاله، والأخذ به. ولا تقليد يريحه عن بذل الجهد فى تلقى الأحكام من مشكاة النصوص. وقد علمت بهذا أصل البصائر من العلماء من غيرهم .

المرتبة الثالثة : البصيرة فى الوعد والوعيد :

وهى أن تشهد قيام اللَّه على كل نفس بما كسبت فى الخير والشر، عاجلاً وآجلاً، فى دار العمل ودار الجزاء، وأن ذلك هو موجب إلهيته وربوبيته، وعدله وحكمته. فإن الشك فى ذلك شك فى إلهيته وربوبيته. بل شك فى وجوده. فإنه يستحيل عليه خلاف ذلك. ولا يليق أن ينسب إليه تعطيل الخليقة، وإرسالها هملاً، وتركها سدى. تعالى اللَّه عن هذا الحسبان علوًا كبيرًا.

فشهادة العقل بالجزاء كشهادته بالوحدانية؛ ولهذا كان الصحيح: أن المعاد[1] معلوم بالعقل، وإنما اهتدى إلى تفاصيله بالوحى، ولهذا يجعل اللَّه سبحانه إنكار المعاد كفرًا به سبحانه؛ لأنه إنكار لقدرته ولإلهيته، وكلاهما مستلزم للكفر به[2] وعلى حسب قوة البصيرة تكون الفراسة وهى نوعان:

(١) فراسة الصادقين العارفين باللَّه وأمره: وهى متصلة باللَّه، ذلك أن همتهم لما تعلقت بمحبة اللَّه ومعرفته وعبوديته، ودعوة الخلق إليه على بصيرة، كانت فراستهم متعلقة بنور الوحى مع نور الإيمان، فميزت بين ما يحبه اللَّه ويبغضه من الأعيان، والأقوال، والأعمال، وميزت بين الخبيث والطيب، والمحق والمبطل، والصادق والكاذب، وعرفت مقادير استعداد السالكين إلى اللَّه فحملت كل إنسان على قدر استعداده، علمًا وإرادة وعملاً.

(٢) وفراسة سفلية دنيئة: وهى التى لا يتضمن كشفها والإخبار بها كمالاً للنفس ولا زكاة ولا إيمانًا ولا معرفة؛ لأن أصحابها محجوبون عن الحق تعالى، فلا تصعد فراستهم إلى التمييز بين أوليائه وأعدائه، وطريق هؤلاء وهؤلاء[3].

---

(١) يعنى: البعث والنشور.

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٢٤).

(٣) السابق (١/ ١٢٧) بشىء من التصرف.

* ثمرة معرفة اسم اللَّه (البصير) :

(١) من عرف أن اللَّه بصير زيّن باطنه بالمراقبة، وظاهره بالمحاسبة، وصار خائفًا من اللَّه، حييًا منه، يهابه أن يراه حيث نهاه، أو يفتقده حيث اقتضاه، ويعلم أنه بمرأى من اللَّه تعالى ومسمع فلا يستهين بنظره إليه، واطلاعه عليه، ومن أخفى عن غير اللَّه ما لا يخفيه عن اللَّه تعالى فقد استهان بنظر اللَّه تعالى، ولهذا تثمر معرفة هذا الاسم (المراقبة)[١] ومعناها : أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك[٢] .

(٢) النظر إلى الآيات وعجائب الملكوت والسموات، فلا يكون نظر العبد إلا عبرة فينظر في مصنوعات اللَّه الدالة على كمال قدرته، وتمام حكمته، وشمول علمه، ونفوذ إرادته[٣] . كما قال تعالى : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس : ١٠١] .

وقال : ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ [الأنعام : ٩٩] .

وقال : ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

* * *

---

(١) المقصد الأسنى للغزالي (ص ٦١)، والرازي (ص ٣٣٤)، والعز بن عبد السلام (ص ٧٦) .

(٢) صحيح : متفق عليه : البخاري (٥٠) في الإيمان، ومسلم (٩) في الإيمان .

(٣) انظر : المصادر السابقة .

• التـــــواب •

قال تعالى : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) ﴾ [البقرة] .

وقال : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء : ٢٧] .

وقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [الشورى : ٢٥] .

ويقال : تاب يتوب توبة فهو تائب ، والتوبة : الرجوع عن الذنب ، وفى الحديث : « النَّدَمُ تَوْبَةٌ »(١) ، وكذلك التوب مثله ، وفى التنزيل : ﴿ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ [غافر : ٣] .

وقال الأخفش : التوب جمع توبة مثل عزم وعزمة ، وتاب إلى اللَّه توبًا ومتابًا ، وقد تاب اللَّه عليه : وفقه للتوبة ، وفى كتاب سيبويه : استتابه : أى سأله التوبة ، فمعنى توبة العبد : رجوعه من المخالفة إلى الموافقة ، ومن المعصية إلى الطاعة ، تقول : آب ، وتاب ، وثاب ، وناب ، كل ذلك رجع (٢) .

وقال الحليمى : وهو المعيد إلى عبده فضل رحمته إذا هو رجع إلى طاعته ، وندم على معصيته ، فلا يحبط ما قدم من خير ولا يمنعه ما وعد المطيعين من الإحسان .

وقال الخطابى : التواب هو الذى يتوب على عباده فيقبل توبتهم كلما تكررت التوبة تكرر القبول ، وهو يكون لازمًا ويكون متعديًا بحرف ، يقال : تاب اللَّه على العبد بمعنى وفقه للتوبة فتاب العبد ، كقوله : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ [التوبة : ١١٨] .

ومعنى التوبة : عود العبد إلى الطاعة بعد المعصية (٣) .

وقيل فى معنى التواب : هو الذى يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى

---

(١) صحيح : ابن ماجة (٤٢٥٢) فى الزهد .

(٢) الأسنى للقرطبى (١/ ٤٠٧) .

(٣) البيهقى (ص ٧٨) فى الأسماء والصفات .

بما يظهر لهم من آياته، ويسوق إليهم من تنبيهاته، ويطلعهم عليه من تخوفاته وتحذيراته حتى إذا اطلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب، استشعروا الخوف بتخويفه فرجعوا إلى التوبة، فرجع إليهم فضل اللَّه تعالى بالقبول(١).

فهو سبحانه التائب على التائبين:

أولاً: بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه.

ثانيًا: بعد توبتهم قبولاً لها، وعفواً عن خطاياهم(٢).

وبذلك تكون توبة اللَّه تعالى على عبده، أما توبة العبد إلى ربه فهي العودة إلى الخدمة والعبودية، «والتوبة النصوح تجب ما قبلها - أي تمحوه»(٣).

ومن لطائف اسم (التواب) قال الرازي:

هو قابل الدعاء بالعطاء، والاعتذار بالاغتفار، والإنابة بالإجابة، والتوبة بغفران الحوبة، وإذا تاب العبد إلى اللَّه بسؤاله، تاب اللَّه عليه بنواله.

فيجب على كل مسلم أن يعلم ألاَّ تواب على الإطلاق إلا اللَّه تعالى، وأن التوبة الواقعة من العبد ليست بمجرد كسبه دون فعل اللَّه، بل العبد في ذلك تابع لقضاء الرّب وفعله الجاري عليه بقدرة ربه؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨] فجعل سبب توبة العبد توبة اللَّه عليه أولاً، فالذي يرجعه اللَّه من طريق المعصية إلى الطاعة لا يستبد هو بالرجوع ولا يقدر عليه(٤).

❁ ثمرة معرفة هذا الاسم:

(١) رجاء توبة اللَّه عليك، وأن تحث المسيء على التوبة وتحرضه على الأوبة(٥).

---

(١) المقصد الأسنى للغزالي (ص ١٠٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للشيخ / عبد الرحمن ناصر السعدي (٥/ ٦٢٣).

(٣) الحق الواضح المبين (ص ٧٤).

(٤) الأسنى للقرطبي (١/ ٤١٣).

(٥) شجرة المعارف (ص ٩١).

(٢) وإذا كان اللَّه تعالى يقبل التوبة عن عباده بعد اجترائهم عليه، فحرى بالعبد أن يقبل معاذير المجرمين ممن أساء إليه، وندم من جرأته عليه، ولو مرة بعد أخرى[١].

* فى معنى التوبة والحث عليها :

قال الإمام القرطبى :والتوبة فرض على كل مسلم من غير خلاف بين المسلمين فى كل حين، كالإيمان، قال اللَّه العظيم : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾ [النور] وإذا كان سيد البشر يتوب إلى اللَّه فى اليوم مائة مرة، فكيف بأهل الغفلة ؟! وإذا قيل له ولصحبه الذين هم خيار خلقه [تعالى] : ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ﴾ [التوبة : ١١٧]، فَجَرت عليهم هذه الصفة، وهم أهل الصفوة والمعرفة، فكيف بغيرهم الذين لا يشابهونهم فى خيرهم ؟! فكل عبد مفتقر إلى التوبة، لأنه لا يخلو من هفوة ما وحوبة ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) ﴾ [الحجرات]، وكما أن الإيمان يجُبُّ[٢] ما قبله من الآثام فكذلك التوبة تجُبُّ ما قبلها من الذنوب، وفى التائبين قال اللَّه تعالى : ﴿ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ [الفرقان : ٧٠]، وكلاهما - عمل القلب، فكما أن الإيمان لا يتم إلا بالإسلام، فكذلك التوبة؛ لأن التوبة إيمان، فلابد لها من عمل الظاهر والباطن كما قال : ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ [التوبة : ١١]، وإنما ذكر الصلاة والزكاة لأنهما أعظم أركان الدين، وإنما الواجب عليهم امتثال جميع الأوامر واجتناب جميع النواهى، وهذا حكم الكافر إذا تاب، وأما المؤمن إذا تاب فعليه أن يتلافى ما كان فرط منه من عمل بظاهره وباطنه، فعمل الباطن الندم والخوف والعزم على ألا يعود، وعمل الظاهر يختلف باختلاف الذنوب، وذلك معتبر بالأوامر والنواهى وما يمكن تلافيه فعلاً أو قولاً، وما لا يمكن ذلك فيه إلا بالعزم. وسواء صدر ذلك منه جهلاً أو عمداً أو سهواً.

والتوبة لازمة فعليه فى السهو رد ما أتلف وقضاء ما فرط، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَإِذَا

---

[١] الرازى (ص ٣٢٤)، والغزالى (ص ١٠٠).

[٢] يَجُبُّ : يمحو ويطمس.

جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم (٥٤) ﴾ [الأنعام] ، وقال في سورة النحل : ﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم (١١٩) ﴾ [النحل] ، وكلاهما مكيٌّ وتكرر هذا في سورة النساء فقال سبحانه : ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ﴾ [النساء : ١٧] ، وهذه الآية مدنية باتفاق ، ودخلت كلمة إنما في أولها للحصر ودخلت الألف واللام للحصر فيما تقدم ذكره بمكة ، فضمن الله في الآيات كلها توبة من عمل السوء بجهالة ، ولا سيما إذا وقعت بشروطها ، فإنها تعقب المغفرة بطريق الفضل من الله لا بطريق الوجوب عليه ، إذ لا يجب للمخلوق على الخالق شيء ، ثم تعلم أن من كل ذنب تصح التوبة ويرجع العبد المذنب كمن لا ذنب له . ووقع التعريض بإبليس ومن كفر كفره ، وسلك مثل سبيله من أحبار اليهود والنصارى ؛ الذين تعمدوا التكذيب ، واستمروا عليه بما أتوه من ذلك . وبقي من تعمد ولم يكذب في المشيئة ، ونصّ في النساء[1] على أن آخر أمد قبول التوبة : الموت ، وهو عند المعاينة وحضور اليقين للمحتضر بأنه يموت وقد بيّن ذلك بقوله الحق : ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين (٨٤) فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ [غافر] والقرب في حق كل مكلف مالم يحتضر ، وفي حق الجميع ظهور الآيات التي أخبر رسول الله ﷺ بظهورها ، وعرض القرآن بها ، ومنها ما خرّجه مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ »[2]، [3] .

❊ ❊ ❊

---

(١) هي الآية رقم (١٨) من سورة النساء : ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ﴾ .

(٢) صحيح : مسلم (٢٧٠٣) في الذكر والدعاء .

(٣) انظر : الأسنى للقرطبي (١/ ٤١٥ - ٤١٧) ، والتذكرة بتحقيقنا من مطبوعات - دار الفجر للتراث

• الجـــامـــعُ •

نطق به القرآن مضافًا فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران : ٩] ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) ﴾ [النساء]، وقال : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾ [التغابن : ٩]، وجاء فى حديث أبى هريرة وأجمعت عليه الأمة .

ويجوز إجراؤه على المخلوق، قال اللَّه العظيم : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) ﴾ [يونس]، ولا خلاف فى ذلك .

والجمع فى اللغة عبارة عن ضم الشيء إلى الشيء، وهو التأليف . وقد يكون فى الأجسام ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران : ٩]، و﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) ﴾ [النساء]، ويكون فى المعانى إلا أن العرب فرقت بينهما . فإذا استعملته فى الأجسام كان الثلاثى وحده، وإن أستعملته فى المعانى كان الفعل الثلاثى وغيره . يقال : أجمعت الأمر، وعلى الأمر . والأمر مجمع . ويقال أيضًا : أجمع أمرك ولا تدعه منتشرًا . فأما قوله : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ [يونس : ٧١]، معطوف بفعل مضمر وليس بمعطوف التقدير وادعوا شركاءكم؛ لأنه لا يقال : أجمعت شركائى، إنما يقال : جمعت .

ومن هذا قول الشاعر :

يا ليت زوجك فى الوغى ... متقلـــداً سيفًـــا ورمحًـــا

أى وحاملاً رمحًا؛ لأن الرمح لا يتقلد به . وأجمعت الشيء جعلته جميعًا وجمعت الشيء المتفرق فاجتمع، وتجمع القوم أى اجتمعوا من هنا وهناك . والجمع مصدر قولك : جمعت الشيء المتفرق، وقد يكون اسمًا لجماعة الناس . ويُجْمع على جموع . والموضع

مجمع ومجمع مثال مطلع ومطلع، جمع مجمع من الثلاثى، وأجمع يجمع على كذا إجماعًا ومنه : إجماع الأمة على كذا .

وجامع فى وصف اللَّه تعالى يكون ذاتيًا وفعليًا، أما الذاتى هو جمعه تعالى للفضائل كلها والصفات الجميلة أجمعها ؛ ولأن المعلومات محصورة فى علمه قبل إيجادها. وكيف لا يكون علمه جامعًا لها وفق علمه وإرادته أوجدها بقدرته . وإما إذا كان فعليًا فهو الذى دلَّ عليه القرآن فى غير ما آية . فهو الجامع حقًا جمع بين المتفرقات والمتماثلات والمتضادات[1] .

وهو سبحانه الذى جمّع الأجزاء وألفها تأليفًا مخصوصًا، وتركيبًا مخصوصًا .

وهو الذى جمّع بين قلوب الأحباب كما قال : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال:٦٣] .

وهو الذى جمّع بين أجزاء الخلق عند النشر والحشر بعد تفرقها، وبين الجسد والروح بعد انفصال كل منهما عن الآخر .

وهو سبحانه الذى يجمع الخلق يوم القيامة، ويجمع بين الظالم والمظلوم، كما قال: ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المرسلات]، ثم يرد من يشاء إلى دار النعيم، ومن شاء إلى الجحيم[2]، كما قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ ﴾ [النساء:٤٢] . وفسّر ابن كثير (الجامع) على أنه سبحانه يجمع خلقه يوم القيامة يوم معادهم، ويفصل بينهم، ويحكم فيهم فيما اختلفوا فيه، ويجزى كُلاً بعمله، وما كان عليه فى الدنيا من خير وشر[3] .

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٤٧٩ ، ٤٨٠) .

(٢) الرازى (ص ٣٢٩) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢) .

※ من مظاهر هذا الاسم فى الوجود :

فهو سبحانه الذى جمع وألفَّ بين المتماثلات والمتباينات [(١)] والمتضادات، وهو من أعظم الدلالات على وجوده، وهو جمعه بين السماء وكواكبها، والأرض وبحارها، والمعادن المختلفة وما فيها، إلى غير ذلك مما استودع الأرض من الحيوانات والنبات، مما هو متباين الأشكال والألوان والطُّعوم والأوصاف، ومن تأمّل الرُّمانة ولون قشرها، وشكله، وطعمه، وشكل حبّها، ولونه، وطعمه، ثم ما بين الحبات من دقيق قشره، وغلظ الرمانة رأى أشياء متباينة قد حواها جسم واحد .

وكذلك جمعه بين العظم والعصب، والعِرق والعضلة والمخ والبشرة والدم، وسائر الأخلاط فى بدن الحيوان .

وأما المتضادات فجمعه بين الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، فى أمزجه الحيوانات، وهى متنافرات متعاندات، وذلك أبلغ وجوه الجمع وتفصيل جمعه لا يعرفه إلا من يعرف تفصيل مجموعاته فى الدنيا والآخرة .

وهو سبحانه الذى جمع الخلق الكثير من الأنس على ظهر الأرض، ويحشرهم فى صعيد القيامة .

فيجب على كل مُكلف أن يعلم أن اللّه هو الجامع بكل اعتبار، ومن جهل أو شكَّ فقد كذّب بهذا الإخبار [(٢)] ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ﴾ [التغابن : ٩] .

※ ثمرة معرفة هذا الاسم :

(١) يجب على من عرف هذا الاسم أن يُجمع على عبادة ربه، ويجمع همومه فيه، ولا يفرقها فيما عداه، وأن يكون جامعًا بين الآداب الظاهرة فى الجوارح، وبين الحقائق الباطنة فى القلوب، فمن كملت معرفته وحسنت سريرته فهو الجامع .

---

(١) المتماثل : المتشابه، والمتباين المختلف، والمتضاد : الشيء ضد الآخر وهو العكس .

(٢) الأسنى للقرطبى (١/ ٤٨٠ ، ٤٨١) وقد نقله نصًا عن الغزالى فى المقصد الأسنى (ص ١٠٣ ، ١٠٤) .

ويقال : الجامع هو الذى جمع الفضائل وحوى المكارم والمآثر[١] .

(٢) والجامع من العباد أيضًا من جمع بين الصبر والبصيرة، والورع والزهد، وأن يشهد قلبه عظمة الحق سبحانه[٢] .

❁ ❁ ❁

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٤٨٠، ٤٨١).

(٢) الرازى (ص ٣٣٠) .

• الجَبَّــــار •

وأما الجبر فيرجع في اللغة إلى ثلاثة أصول :

الأصـــل الأول : أن يغنى الرجل من فقر، أو يجبر عظمه من كسر، وهذا من الإصلاح. وهذا الأصل يستعمل لازمًا ومتعديًا. يقال : جبرت العظم، وجبر. وقد جمع العَجّاج بينهما في قوله :

* قدْ جَبَر الدِّينَ الإلهُ فَجُبِرَ *

الأصل الثانى : الإكراه والقهر، وأكثر ما يستعمل هذا على أفعل. يقال : أجبرته على كذا، إذا أكرهته عليه، ولا يكاد يجيء جبرته عليه إلا قليلاً.

الأصل الثالث : من العز والامتناع، ومنه نخلة جبارة. قال الجوهرى : والجبار من النخل ما طال وفات اليد. قال الأعشى :

طَرِيقٌ وجَبَارٌ رواء أصوله   عَلَيه أبَابِيلٌ مِنَ الطَّيرِ تَنْعَبُ

وقال الأخفش : في قوله تعالى : ﴿ **إنَّ فِيها قوْمًا جَبَّارِين** ﴾ [المائدة : ٢٢]، قال : أراد الطول والقوة والعظم. ذهب في هذا إلى الجبار من النخل، وهو الطريق الذى فات الأيدى.

ويقال : رجل جبار، إذا كان طويلاً عظيمًا قويًا تشبيهًا بالجبار من النخل.

قال قتادة : كانت لهم أجسام وخلق عجيبة ليست لغيرهم.

وقيل : الجبار هنا : من جبره على الأمر، إذا أكرهه عليه. قال الأزهرى : وهى لغة معروفة، وكثير من الحجازيين يقولونها.

وكان الشافعى - رحمه الله - يقول : جبره السلطان، ويجوز أن يكون الجبارة من أجبره على الأمر، إذا أكرهه.

قال الفراء : لم أسمع فعالاً من أفعل إلا في حرفين وهما : جبار من أجبر ، ودراك من أدرك . وهذا اختيار الزجاج . قال : الجبار من الناس العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد .

وأما الجبار من أسماء الرب تعالى فقد فسره بأنه الذي يجبر الكسير ، ويغني الفقير ، والرب سبحانه كذلك .

ولكن ليس هذا معنى اسمه الجبار ؛ ولهذا قرنه باسمه المتكبر ، وإنما هو الجبروت .

وكان النبي ﷺ يقول : « **سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ** »[1] .

فالجبار : اسم من أسماء التعظيم كالمتكبر والملك والعظيم والقهار .

قال ابن عباس : في قوله تعالى : الجبار المتكبر هو : العظيم . وجبروت اللَّه : عظمته . والجبار من أسماء الملوك . والجبر الملك . والجبابرة الملوك .

قال الشاعر :

* وانْعَمْ صَبَاحًا أيها الجَبْرُ *

أي أيها الملك .

وقال السُّدي : هو الذي يجبر الناس ويقهرهم على ما يريد .

وعلى هذا فالجبار معناه القهار .

وقال محمد بن كعب : إنما سمي الجبار ؛ لأنه جبر الخلق على ما أراد ، والخلق أدق شأنًا من أن يعصوا ربهم طرفة عين إلا بمشيئته .

قال الزَّجاج : الجبار الذي جبر الخلق على ما أراد .

وقال ابن الأنباري : الجبار في صفة الرب سبحانه الذي لا يُنال ، ومنه قولهم : نخلة جبارة ، إذا فاتت يد المتناول .

---

(١) **صحيح** : أبو داود (٨٧٣) في الصلاة .

فالجبار في صفة الرب سبحانه يرجع إلى ثلاثة معان : المُلك ، والقهر ، والعلو[١] ، فإن النخلة إذا طالت وارتفعت وفاتت الأيدي سميت جبارة ؛ ولهذا جعل سبحانه اسمه الجبار مقرونًا بالعزيز والمتكبر . وكل واحد من هذه الأسماء الثلاثة تضمن الاسمين الآخرين .

وهذه الأسماء الثلاثة نظير الأسماء الثلاثة ، وهي : الخالق البارئ المصور . فالجبار المتكبر يجريان مجرى التفصيل لمعنى اسم العزيز ، كما أن البارئ المصور تفصيل لمعنى اسم الخالق ، فالجبار من أوصافه يرجع إلى كمال القدرة والعزة والملك ؛ ولهذا كان من أسمائه الحسنى[٢] .

* ذم اتصاف العبد بالجبروت :

ويذم العبد باتصافه بالجبروت ، ذلك أن الله تعالى قهر الجبابرة بجبروته ، وعلاهم بعظمته ، لا يجري عليه حكم حاكم ، فيجب عليه انقياده ، ولا يتوجه عليه أمر آمر ، فيلزم العبد امتثاله ، فهو سبحانه آمرٌ غير مأمور ، قاهر غير مقهور ﴿ **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)** ﴾ [الأنبياء] .

---

(١) وعلى هذا فتكون المعاني الثلاثة مفصلة كالآتي :

أ - هو سبحانه الذي يجبر الضعيف ، وكل قلب منكر لأجله ، فيجبر الكسير ويغني الفقير ، وييسر على المعسر كل عسير ، ويجبر المصاب بتوفيقه للثبات والصبر ويعوضه على مصابه أعظم الأجر إذا قام بواجبها ، ويجبر جبراً خاصًا قلوب الخاضعين لعظمته وجلاله ، وقلوب المحبين بما يفيض عليها من أنواع كراماته وأصناف المعارف والأحوال الإيمانية ، فقلوب المنكسرين لأجله جبرها دان قريب ، وإذا دعا الداعي فقال : اللهم اجبرني فإنه يريد هذا الجبر الذي حقيقته إصلاح العبد ودفع جميع المكاره عنه .

ب - وهو سبحانه القهار لكل شيء الذي دان له كل شيء ، وخضع له كل شيء .

جـ - وهو سبحان العلي على كل شيء فهو القهار العلي .

وقد يكون أيضًا هو المتكبر على كل سوء ونقص وعن مماثلة أحد ، وعن أن يكون له كفؤ أو ضدٌ أو سَميٌّ أو شريك في خصائصه وحقوقه .

انظر : الحق الواضح المبين (ص ٧٧) ، وشرح النونية للهراس (٢/ ١٠٢) .

(٢) شفاء العليل (ص ٢٣٠) لابن القيم .

وأما الخلق فهم موصوفون بصفات النقص، مقهورون محجوبون، تؤذيهم البقة، وتأكلهم الدودة، وتشوشهم الذبابة، أسير جوعة، وصريع شبعة، ومن تكون هذه صفته كيف يليق به التكبر والتجبر[1].

وقد ذم الله تعالى من عباده من اتصف بأنه جبار، فقال: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) ﴾ [غافر].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ [ق: ٤٥].

أي: مسلط تقهرهم وتكرههم على الإيمان.

وفي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ: «يُحْشَرُ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ يَطَؤُهُمُ النَّاسُ»[2]، [3].

* ثمرة معرفة هذا الاسم:

(١) من عرف اسم الجبار بمعنى الجبر والإصلاح عامل العباد بكل خير وإصلاح قدر عليه، أو وصل إليه، وتاب إلى ربه لعلمه أنه صبور بر رحيم، يجبر القلوب.

(٢) ومن عرفه بمعنى القهر، قهر نفسه وهواه وعدوه، وكل قاطع يقطعه عن إصلاح أخراه، وطاعة مولاه، ويثمر ذلك الخوف الشامل، والوجل الكامل.

(٣) وقال بعضهم: يا جبّار عجبت لمن يعرفك كيف يستعين على أمر بأحد غيرك، وعجبت لمن يعرفك كيف يرجو أحداً غيرك، وعجبت لمن يعرفك كيف يلتفت إلى أحد غيرك[4]؟!.

* * *

(١) الرازي (ص ١٩٤).

(٢) حسن: الترمذي (٢٤٩٢) في صفة القيامة. وقوله: يطؤهم: أي: يدوسهم.

(٣) شفاء العليل (ص ٢٣١).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٦٧٧١)، والشجرة للعز (ص ٨٢ - ٨٤)، والرازي (ص ١٩٥).

• الجَمِيــــلُ •

وقد ورد هذا الاسم في السنة النبوية ولم يرد في القرآن الكريم ، واللَّه هو سبحانه الجميل الذي لا أجمل منه بل لو كان جمال الخلق كلهم على رجل واحد منهم وكانوا جميعهم بذلك الجمال لما كان لجمالهم قط نسبة إلى جمال اللَّه ، بل كانت النسبة أقل من نسبة سراج ضعيف إلى حذاء جرم الشمس : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى ﴾ [النحل : ٦٠] .

وقد روى عن النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ »(١) عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ، وأبو سعيد الخدري ، وعبد اللَّه بن مسعود ، وعبد اللَّه بن عمر بن الخطاب ، وثابت بن قيس ، وأبو الدرداء ، وأبو هريرة ، وأبو ريحانة - رضي اللَّه عنهم .

ومن أسمائه الحسنى : الجميل ، ومن أحق بالجمال ممن كل جمال في الوجود فهو من آثار صنعه ، فله جمال الذات ، وجمال الأوصاف ، وجمال الأفعال ، وجمال الأسماء ، فأسماؤه كلها حسنى ، وصفاته كلها كمال ، وأفعاله كلها جميلة .

فلا يستطيع بشر النظر إلى جلاله وجماله في هذه الدار ، فإذا رأوه سبحانه في جنات عدن أنستهم رؤيته ما هم فيه من النعيم ، فلا يلتفتون حينئذ إلى شيء غيره ، ولولا حجاب النور على وجهه لأحرقت سبحات وجهه سبحانه وتعالى ما انتهى إليه بصره من خلقه .

كما هو في صحيح البخاري من حديث أبي موسى - رضي اللَّه عنه - قال : قام فينا رسول اللَّه ﷺ بخمس كلمات قال :

« إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنَامُ وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِه »(٢) .

---

(١) صحيح : مسلم (٩١) في الإيمان .

(٢) صحيح : مسلم (١٧٩) في الإيمان .

* معرفة الله سبحانه وتعالى بالجمال :

من أعز أنواع المعرفة معرفة الرب سبحانه بالجمال، وهى معرفة خواص الخلق، وكلهم عرفه بصفة من صفاته، وأتمهم معرفة من عرفه بكماله وجلاله وجماله سبحانه، ليس كمثله شيء فى سائر صفاته، ولو فرضت الخلق كلهم على أجملهم صورة وكلهم على تلك الصورة، ونسبت جمالهم الظاهر والباطن إلى جمال الرب سبحانه لكان أقل من نسبة سراج ضعيف إلى قرص الشمس .

ويكفى فى جماله أنه لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته ما انتهى إليه بصره من خلقه . ويكفى فى جماله أن كل جمال ظاهر وباطن فى الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته فما الظن بمن صدر عنه هذا الجمال .

ويكفى فى جماله أنه له العزة جميعًا والقوة جميعًا والجود كله والإحسان كله والعلم كله والفضل كله . ولنور وجهه أشرقت الظلمات كما قال النبى ﷺ فى دعاء الطائف : « **أعوذُ بنُورِ وَجْهِكَ الَّذِى أشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتِ وَصَلُحَ عَلَيهِ أمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** »[(١)] .

وقال عبد اللّه بن مسعود : ليس عند ربكم ليل ولا نهار نور السموات والأرض من نور وجهه، فهو سبحانه نور السموات والأرض، ويوم القيامة إذا جاء لفصل القضاء تشرق الأرض بنوره، ومن أسمائه الحسنى (الجميل) وفى الصحيح عنه ﷺ : « **إنَّ اللَّهَ جَميلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ** »[(٢)] .

وجماله سبحانه من أربع مراتب : جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء . فأسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة . وأما جمال الذات وما هو عليه فالأمر لا يدركه سواه، ولا يعلمه غيره، وليس عند المخلوقين منه إلا تعريفات تعرف بها إلى من أكرمه من عباده، فإن ذلك الجمال مصون عن الأغيار محجوب بستر الرداء والإزار، كما قال

---

(١) **ضعيف** : فيه محمد بن إسحاق صدوق يدلس وفيه عنعنه . وانظر : ابن هشام (١/ ٤٢٠) .

(٢) سبق تخريج الحديث، وانظر : روضة المحبين (١/ ٣٤٩) .

رسول الله ﷺ فيما حكى عنه : « **الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالعَظَمَةُ إِزَارِي** » [١]، ولما كانت الكبرياء أعظم وأوسع كانت أحق باسم الرداء، فإنه سبحانه الكبير المتعال، فهو سبحانه العلي العظيم .

قال ابن عباس : حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال، فما ظنك بجمال حجب بأوصاف الكمال . وستر بنعوت العظمة والجلال .

ومن هذا المعنى يفهم بعض معاني جمال ذاته، فإن العبد يترقى من معرفة الأفعال إلى معرفة الصفات ومن معرفة الصفات إلى معرفة الذات، فإذا شاهد شيئًا من جمال الأفعال استدل به على جمال الصفات، ثم استدل بجمال الصفات على جمال الذات . ومن هنا يتبين أنه سبحانه له الحمد كله، وأن أحدًا من خلقه لا يحصى ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وأنه يستحق أن يعبد لذاته . ويحب لذاته، ويشكر لذاته، وأنه سبحانه يحب نفسه ويثنى على نفسه ويحمد نفسه، وأن محبته لنفسه وحمده لنفسه وثناءه على نفسه وتوحيده لنفسه هو فى الحقيقة الحمد والثناء والحب والتوحيد، فهو سبحانه كما أثنى على نفسه وفوق ما يثنى به عليه خلقه، وهو سبحانه كما يحب ذاته يحب صفاته وأفعاله، فكل أفعاله حسن محبوب وإن كان فى مفعولاته ما يبغضه ويكرهه، فليس فى أفعاله ما هو مكروه مسخوط، وليس فى الوجود ما يحب لذاته ويحمد لذاته إلا هو سبحانه وكل ما يحب سواه، فإن كانت محبته تابعة لمحبته سبحانه بحيث يحب لأجله فمحبته صحيحة، وإلا فهى محبة باطلة .

وهذا هو حقيقة الإلهية، فإن الإله الحق هو الذى يحب لذاته ويحمد لذاته . فكيف إذا انضاف إلى ذلك إحسانه وإنعامه وحلمه وتجاوزه وعفوه وبره ورحمته، فعلى العبد أن يعلم أنه لا إله إلا الله فيحبه ويحمده لذاته وكماله، وأن يعلم أنه لا محسن على الحقيقة بأصناف النعم الظاهرة والباطنة إلا هو فيحبه لإحسانه وإنعامه . ويحمده على ذلك فيحبه من الوجهين جميعًا .

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٢٠) فى البر والصلة .

وكما أنه ليس كمثله شيء فليس كمحبته محبة، والمحبة مع الخضوع هى العبودية التى خلق الخلق لأجلها، فإنها غاية الحب بغاية الذل، ولا يصلح ذلك إلا له سبحانه والإشراك به فى هذا هو الشرك الذى لا يغفره اللَّه ولا يقبل لصاحبه عملاً .

وحمده يتضمن أصلين، الإخبار بمحامده وصفات كماله، والمحبة له عليها فمن أخبر بمحاسن غيره من غير محبة له لم يكن حامداً .

ومن أحبه من غير إخبار بمحاسنه لم يكن حامداً حتى يجمع الأمرين وهو سبحانه يحمد نفسه بنفسه، ويحمد نفسه بما يجريه على ألسنة الحامدين له من ملائكته وأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين، فهو الحامد لنفسه بهذا وهذا، فإن حمدهم له بمشيئته وإذنه وتكوينه، فإنه هو الذى جعل الحامد حامداً والمسلم مسلمًا، والمصلى مصليًا، والتائب تائبًا، فمنه ابتدأت النعم وإليه انتهت، فابتدأت بحمده وانتهت إلى حمده، وهو الذى ألهم عبده التوبة وفرح بها أعظم فرح، وهى من فضله وجوده، وألهم عبده الطاعة وأعانه عليها ثم أثابه عليها، وهى من فضله وجوده، وهو سبحانه غنى عن كل ما سواه بكل وجه، وما سواه فقير إليه بكل وجه .

والعبد مفتقر إليه لذاته فى الأسباب والغايات، فإن ما لا يكون به لا يكون وما لا يكون له لا ينفع[(١)] .

❊ إن اللَّه جميل يحب الجمال :

وقوله فى الحديث : « **إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ** »[(٢)] . يتناول جمال الثياب المسئول عنه فى نفس الحديث . ويدخل فيه بطريق العموم الجمال من كل شيء كما فى الحديث الآخر : « **إِنَّ اللَّهَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ** »[(٣)] ، وفى الصحيح : « **إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ**

(١) الفوائد (١/ ١٩٩) لابن القيم .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) ضعيف : الترمذى (٢٧٩٩) فى الاستئذان .

طَيِّبا »[١] ، وفى السنن : « **إنَّ اللَّهَ يُحبُّ أنْ يَرَى أثَرَ نعْمَته عَلَى عَبْده** »[٢] وفيها عن أبى الأحوص الجشمى قال : رآنى النبى ﷺ وعَلَىَّ أطْمَار[٣] فقال : « هل لك من مال ؟ » قلت : نعم. قال : « من أى المال ؟ » قلت : من كل ما آتى الله من الإبل والشاء ، قال : « **فَلْتُرِ نعْمتَهُ وكَرَامَتهُ عَلَيْكَ** »[٤] فهو سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده ، فإنه من الجمال الذى يحبه . وذلك من شكره على نعمه . وهو جمال باطن . فيجب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة . والجمال الباطن بالشكر عليها .

ولمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباساً وزينة تجمل ظواهرهم وتقوى تجمل بواطنهم فقال : ﴿ **يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير** ﴾ [الأعراف : ٢٦] ، وقال فى أهل الجنة ﴿ **ولقاهم نضرة وسرورا (١١) وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (١٢)** ﴾ [الإنسان] ، فجمل وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالسرور وأبدانهم بالحرير . وهو سبحانه كما يحب الجمال فى الأقوال والأفعال واللباس والهيئة . يبغض القبيح من الأقوال والأفعال والثياب والهيئة . فيبغض القبيح وأهله ويحب الجمال وأهله .

ولكن ضل فى هذا الموضوع فريقان : فريق قالوا كل ما خلقه جميل . فهو يحب كل ما خلقه ونحن نحب جميع ما خلقه فلا نبغض منه شيئاً . قالوا : ومن رأى الكائنات منه رآها كلها جميلة وأنشد منشدهم :

وإذا رأيت الكائنات بعينهم ... فجميع ما يحوى الوجود مليح

واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ **الذى أحسن كل شىء خلقه** ﴾ [السجدة : ٧] ، وقوله : ﴿ **صنع الله الذى أتقن كل شىء** ﴾ [النمل : ٨٨] ، وقوله : ﴿ **ما ترى فى خلق الرحمن من**

---

(١) **صحيح** : مسلم (١٠١٥) فى الزكاة .

(٢) **صحيح** : الترمذى (٢٨١٩) فى الاستئذان .

(٣) أطمار : جمع طمر وهو الثوب الخلق البالى .

(٤) **صحيح** : أبو داود (٤٠٦٣) فى اللباس .

تفاوت ﴾ [الملك : ٣]، والعارف عندهم هو الذي يصرح بإطلاق الجمال ولا يرى في الوجود قبيحًا . وهؤلاء قد عدمت الغيرة للَّه من قلوبهم والبغض في اللَّه والمعاداة فيه وإنكار المنكر والجهاد في سبيله وإقامة حدوده . ويرى جمال الصور من الذكور والإناث من الجمال الذي يحبه اللَّه فيتعبدون بفسقهم ، وربما غلا بعضهم حتى يزعم أن معبوده يظهر في تلك الصورة ويحل فيها، وإن كان اتحاديًا قال : هي مظهر من مظاهر الحق، ويسميها المظاهر الجمالية .

وقابلهم الفريق الثاني فقالوا : قد ذم اللَّه سبحانه جمال الصور وتمام القامة والخلقة فقال عن المنافقين : ﴿ **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم** ﴾ [المنافقون : ٤]، وقال : ﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا** (٧٤) ﴾ [مريم]، أي أموالاً ومناظر .

قال الحسن هو الصور وفي صحيح مسلم عنه ﷺ : « **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ** »[(١)] . قالوا : ومعلوم أنه لم ينف نظر الإدراك وإنما نفى نظر المحبة .

قالوا : وقد حرم علينا لباس الحرير والذهب وآنية الذهب والفضة وذلك من أعظم جمال الدنيا وقال : ﴿ **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه** ﴾ [طه : ١٣١]، وفي الحديث : « **البَذَاذَةُ مِنَ الإِيمَانِ** »[(٢)]، وقد ذم اللَّه المسرفين، والسرف كما يكون في الطعام والشراب يكون في اللباس .

وفصل النزاع أن يقال : الجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع : منه ما يحمد ومنه ما يذم ومنه لا يتعلق به مدح ولا ذم . فالمحمود منه ما كان للَّه وأعان على طاعة اللَّه وتنفيذ أوامره والاستجابة له، كما كان النبي ﷺ يتجمل للوفود، وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال، ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه، فإن ذلك محمود إذا تضمن إعلاء كلمة اللَّه ونصر دينه وغيظ عدوه . والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة

---

(١) **صحيح** : مسلم (٢٠٦٤) في البر والصلة .

(٢) **صحيح** : أبو داود (٤١٦١) في الترجل .

والفخر والخيلاء، والتوسل إلى الشهوات وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه، فإن كثيراً من النفوس ليس لها همة في سوى ذلك[١] .

وأما ما لا يحمد ولا يذم هو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين .

والمقصود أن هذا الحديث الشريف مشتمل على أصلين عظيمين فأوله معرفة وآخره سلوك، فيعرف الله سبحانه بالجمال الذى لا يماثله فيه شيء . ويعبد بالجمال الذى يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق، فيحب من عبده أن يجمل لسانه بالصدق وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل، وجوارحه بالطاعة وبدنه بإظهار نعمه عليه فى لباسه، وتطهيره له من الأنجاس والأحداث والأوساخ والشعور المكروهة، والختان وتقليم الأظفار، فيعرفه بصفات الجمال ويتعرف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة، فيعرفه بالجمال الذى هو وصفه : ويعبده بالجمال الذى هو شرعه ودينه، فجمع الحديث قاعدتين : المعرفة والسلوك[٢] .

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر : الجامع لأسباب النزول بتحقيقنا (سورة الحجرات) .

(٢) الفوائد (ص ٢٠١) بتحقيقنا من مطبوعات دار الفجر .

ومن جميل ما قيل فى هذا المعنى : « عليك بالصفح الجميل ، والهجر الجميل ، والصبر الجميل »

• الحافظ •

ورد به التنزيل فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ [الحجر]، ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ﴾ [يوسف : ٦٤]، وجاء ﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [النساء : ٣٤].

قال الحليمي : ومعناه الصائن عبده عن أسباب الهلكة فى أمور دينه ودنياه .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال : « **إذا آوى أحدكم إلى فراشه فلينزع داخله إزاره، فلينفض بها فراشه، ثم ليتوسد يمينه، ويقول : باسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، اللَّهُمَّ إِنْ أَمْسَكْتَهَا فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ** »[1]، [2].

وهذا الاسم يدل على من له حفظ وهو فعل الفاعل، ويتضمن العلم والحياة وسائر شروطها، ويختص برعاية الممكنات فى النفى والإثبات، وحفظ جميع الموجودات من أن يوجد فيها ما لا يريده وما لا يرضاه . ومنه قوله - عز وجل : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢) ﴾ [البروج]، أى : ممنوع من الغلط والنسيان والتبديل والتغيير، وقال : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) ﴾ إلى قوله : ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) ﴾ [الطارق]، فهذا الاسم يكون من أوصاف الذات، ومن أوصاف الفعل، فإن كان من صفات الذات فيرجع إلى معنى العليم؛ لأنه يحفظ بعلمه جميع المعلومات، فلا يغيب عنه شىء منها، كما يقال : فلان يحفظ القرآن، أى : هو حاضر فى قلبه . وفى مقابلة هذا الحفظ النسيان : وعلى هذا خرج قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) ﴾ [مريم]، وقوله : ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢) ﴾ [طه]، وإن كان من صفات الفعل فيرجع إلى حفظه للوجود .

---

(١) صحيح : متفق عليه : البخارى (٦٣٢٠) فى الدعوات، ومسلم (٢٧١٤) فى الذكر والدعاء .

(٢) البيهقى (ص ٦٩) فى الأسماء والصفات .

وضد هذا الحفظ الإهمال، وعلى هذا خرج قوله تعالى: ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ﴾ [يوسف: ٦٤]، فحفظ الله تعالى للجميع يكون بأقواله وأفعاله وبملائكته: قال الله العظيم: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ﴾ [الأنبياء: ٤٢]، وقال: ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام: ٦١]، أي: ملائكة تمنعهم وتصدهم[١].

* ثمرة معرفة هذا الاسم:

(١) يجب على من عرف هذا الاسم حفظ حدود الله، وحفظ ما وجب عليه من حقوقه، فتدخل في ذلك معرفة الإيمان والإسلام، وسائر ما يتعين عليه علمه، ويجب عليه حفظ ما استحفظه الله إياه بحسن الرعاية له والقيام عليه، ويقال: من حفظ لله جوارحه حفظ الله عليه قلبه، ومن حفظ لله حقه حفظ الله عليه حظه، وفي حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»[٢].

(٢) ومدح الله تعالى الحافظين لحدوده وبشرهم بإنجاز وعوده فقال: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) ﴾ [ق].

(٣) رجاء الله تعالى أن يحفظك في أولاك وأخراك[٣].

* * *

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٣٠٨، ٣٠٩).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) في صفة القيامة، وانظر: الأسنى للقرطبي (١/ ٣١٢).

(٣) الشجرة (ص ٨٨) للعز بن عبد السلام.

• الحَسِيب •

قال اللّه تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ [النساء] ، [الأحزاب : ٣٩] .

*** وورد فى تفسير هذا الاسم وجوه كثيرة منها :**

(١) **قال الحليمى** : ومعناه المدرك للأجزاء والمقادير التى يعلم العباد أمثالها بالحساب من غير أن يحسب ؛ لأن الحاسب يدرك الأجزاء شيئًا فشيئًا ، ويعلم الجملة عند انتهاء حسابه ، واللّه تعالى لا يتوقف علمه بشيء على أمر يكون ، وحال يحدث .

وقيل : الحسيب هو : الكافى فعيل بمعنى مفعل ، تقول العرب : نزلت بفلان فأكرمنى وأحسبنى أى : أعطانى ما كفانى حتى قلت : حسبى [١] .

(٢) والحسيب بمعنى الشريف ، والحسب الشرف ، والحسيب : الشريف ، الذى له خصال الشرف ، فعلى هذا الحسب للّه بمعنى أن صفات المجد والشرف ونعوت الكمال والجلال ليست إلا له تعالى .

(٣) والحسيب : هو المحاسب خلقه يوم القيامة ، وهو الذى يرجى خيره ، ويؤمن شره .

(٤) وهو الذى يكفى بفضله ، ويصرف الآفات بطَوْله ، وهو الذى إذا رُفعت إليه

(٦) وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) ﴾ [الأنفال] . أي : كافيك ، وكافي أتباعك ، فكفاية الله لعبده بحسب ما قام به من متابعة الرسول ظاهراً وباطناً ، وقيامه بعبودية الله تعالى[1] .

* ثمرة معرفة هذا الاسم :

(١) يجب على كل عبد مكلف أن يعلم أن الله سريع الحساب ، وأسرع الحاسبين ، وأن كل حاسب وحساب فمن عنده ، وأنه يحاسب خلقه ويجازيهم ، وروى عن عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، وتجهزوا للعرض الأكبر ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) ﴾ [الحاقة : ١٨] ، فأرباب القلوب المحسون بأوجاع الذنوب العالمون يقيناً بمحاسبة علاّم الغيوب ، وإحصاء حسابه جميع العيوب ، أقاموا في الدنيا موازين القسط على أنفسهم وأحصوا عليها بالحساب المحرر كل ما برز عنها وصدد ، ثم حاسبوها محاسبة الشريك النحرير القائم بما له شريكه الذي انفصل عن شركته بعداوة وقعت بينهما وبينه ، فانظر هل يسمح له بترك حبه ، أو يسقيه من مائه عند ظمئه عبّة[2] ، فلذلك أنتثرت ذنوب هؤلاء من الصحائف كما ينتثر ورق الشجر اليابس بالريح العاصفة ، فإذا قدموا قضاء الموقف برزت لهم تلك الصحائف منيرة ، وقد استنارت فيها المعاني والأحرف لأنها ممحصة مخلصة بدقيق المحاسبة ، وشديد المطالبة ، فكان حسابهم عرضاً لا مناقشة ، فينبغي للإنسان أن يسعى في خلاص نفسه ونجاه مهجته ، وإنما يخف الحساب في الآخرة على من حاسب نفسه في الدنيا[3] .

(٢) الافتقار إلى الله تعالى فكل كفاية حصلت إنما كانت به تعالى ، أو بشيء من مخلوقاتها لأنه تعالى هو الذي خلق المخلوقات وأعدها لجهات الحاجات ، وإلا لما حصلت الكفاية ، وكان الكافي في الحقيقة هو الله تعالى[4] .

---

(١) الحق الواضح المبين (ص ٧٨) ، وشرح النونية (٢/ ١٠٣) للهراس .

(٢) المقصود ولن يسقيه ولو شربة ماء قليلة عند عطش .

(٣) الأسنى للقرطبي (١/ ٢٠٩ ، ٢١٠) (٤) الرازي (ص ٢٦١)

(٣) وأن يكون اللَّه تعالى هو حسب العبد بعد همته وإرادته، فلا يريد إلا اللَّه، ولا يشغل قلبه بما سواه، ولكن يستغرق الهم باللَّه وحده عز وجل [١].

والتحسب باللَّه تعالى هو استكفاء القلب به، فيما يدفعه من المحن والبلايا، والفتن والرزايا ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقد يكون التحسب بالقلب، وبقول الجنان، ونطق اللسان.

❁ ❁ ❁

(١) المقصد الأسنى للغزالي (ص ٨٢).

• الحَفِـــــيُّ(*) •

نطق به التنزيل فقال مخبراً عن الخليل : ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) ﴾ [مريم] ، أى : كثير المبرة .

وقال ابن العربي : إنَّ هذا الاسم لم يذكره أحد من العلماء من سلف منهم ومن خلف ، ولكنا استخرجناه من كتاب اللَّه تعالى ، قلت : هذه دعوى وقد ذكره قبله غيره واحد من العلماء كالحليمى والبيهقى وغيرهما .

وذكر الهروى فى غريبيه : أخبرنا ابن عمار عن أبى عمر قال : سأل ابن كيسان ثعلبًا عن قوله – عز وجل – : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا** (٤٧) ﴾ [مريم] ، فقال : قال ابن العربى : كان بى باراً وصولاً قال : فقوله : ﴿ **كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا** ﴾ [الأعراف : ١٨٧] ، قال : معنى هذا غير معنى ذلك . والأعرب تقول : فلان حفى بخبر فلان كان معنيًا بالسؤال عنه . وروى عن مجاهد أنه قال : أراد كأنك استحفيت عنها السؤال حتى علمتها أى أكثرت المسألة عنها . يقال : أحفى فى السؤال وألحف ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا** ﴾ [محمد : ٣٧] ، أى : يبالغ فى مسألتكم ، وفى الحديث : « **إن عجوزاً دخلت عليه فسأل بها فأحفى** » ، يقال : أحفى بصاحبه وتحفى به وحفى به أى : بالغ فى بره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا** (٤٧) ﴾ [مريم] ، أى : باراً .

وقال الأزهرى فى قوله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا** ﴾ [الأعراف : ١٨٧] ، أى : عالم بها ، والمعنى : يسألونك عنها كأنك حفى . وقيل : معناه كأنك فرح بسؤالهم عنها ، يقال : تحفيت بفلان فى المسألة إذا سألت به سؤالاً أظهرت فيه البر . وقال السدى : كأنك حفى عنها كأنك حفى بهم أى : صديق لهم . وفى حديث عمر – رضى اللَّه عنه –

(*) قال ابن كثير : (٥/ ١٧٦) فى تفسير هذه الآية : قال ابن عباس : حفيًا : لطيفًا يهدى إلى العبادة له والإخلاص .

قال : فأنزل أويسا القرنى فاحتفاه وأكرمه . قوله : فاحتفاه أى : بالغ فى إلطافة ومسألته وقد حفى به حفاء وتحفى به أيضًا . ومنه الحديث عن على - رضى الله عنه - أن الأشعث سلّم عليه فرد عليه بغير تحف ، فهذا كله من كتاب الهروى .

وقال الجوهرى : والحفاوة بالفتح : المبالغة فى السؤال عن الرجل ، والعناية فى أمره ، وفى المثل : مأربة لا حفاوة . وتقول منه : حفيت به بالكسر حفاوة وحفوة وتحفيت به أى : بالغت فى إكرامه وإلطافه . وحفى الفرس انسحج حافره ، وأحفى الرجل إذا حفيت دابته ، والحفى : العالم الذى يتعلم الأشياء باستقصاء ، والحفى أيضًا المستقصى فى السؤال .

قال الأعشى :

فإن تسألنى عنى فيا رُبّ سائل ... حفى عن الأعشى به حيث أصعدا

وحكى ابن العربى عن ثعلب بأنه المعتنى بالأمر يقال : أحفى المسألة عن الشىء : علمه . أى : الحف فى السؤال من قوله تعالى : ﴿ فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ﴾ [محمد : ٣٧] ، وقيل : الحفى الحاكم تقول العرب للحاكم : الحافى . تحافينا إلى فلان أى : تحاكمنا إليه . وقيل : الحفى المانع والحفو المنع . يقال : حفا فلان فلانًا من كل خير إذا منعه منه ، وأتانى يسألنى فحفوته أى : منعته . ويقال : حفاه : أعطاه . فهذا الاسم مشترك يقع على معان متعددة وأكثر رجوعه إلى الاسم الذى قبله ، إلا أن فيه مبالغة فى البر والإلطاف والإكرام والإسعاف ، قال الفراء : ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ [مريم] ، أى : عالمًا لطيفًا يجيبنى إذا دعوته وإذا كان الحفى هو المعتنى بالسؤال فهو سبحانه الذى يسأل عن عباده على العموم والخصوص سؤال تقرير ومباهاة لا سؤال استفهام واستعلام وذلك كثير كقوله ﷺ : « يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائكة بِاللَّيل » . . . الحديث . وفيه فيقول : « كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِى » . . . الحديث[١] . وكقوله ﷺ : « لله مَلائكةٌ سَيَّاحُونَ . . . » الحديث . وفيه : « فَيَسْألهُمْ ربهم وَهُو أعْلَمُ بِهِمْ : مَا يَقُولُ عِبَادِى » . . . الحديث[٢] . وإذا قلنا : إن الحفى هو العالم فقد

(١ ، ٢) صحيح : متفق عليه : البخارى (٥٥٥) فى مواقيت الصلاة ، ومسلم (٦٣٢) فى المساجد .

تقدم وتسميته به مجاز ووجهه أن السؤال يفتح باب العلم فسمى به، وإذا قلنا : إن الحفى هو المانع أو الحاكم فيأى الكلام فى ذلك عند اسمه المانع والحكم .

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه الحفى على الإطلاق، المبالغ فى البر والإفضال، الذى وعد على الحسنة عشراً، ثم تفضل بأن ضاعفها إلى سبعمائة ضعف، قال رسول الله ﷺ : « **إذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُم إسْلاَمَهُ فَكُل حَسَنَة يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمَائَة ضِعْف، وَكُلُّ سَيِّئَة يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَى يَلْقَى اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ** »(١). رواه أبو هريرة أخرجه مسلم. فتفضل سبحانه بالإسلام بداء، ثم تفضل عوداً وعوداً من غير استحقاق يجب عليه، بل كل ذلك فضل منه ورحمة. وسيأتى لهذا مزيد بيان فى الاسم بعد هذا، ثم ينبغى له أن يكون كثير السؤال عن العلم بالطلب له والبحث عنه حتى يلحق بالعلماء ويكون تلو الملائكة الكرماء(٢).

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح متفق عليه : البخارى (٤٢) فى الإيمان، ومسلم (١٢٩) فى الإيمان .

(٢) انظر القرطبى (١/ ٣٣٦ - ٣٣٩) فى الأسنى . وقد قال القرطبى بهذا الاسم ولذلك ذكرناه، وكلامه منقول كله من كتاب الأسماء والصفات للبيهقى .

• الحَفِيظُ •

قال اللَّه - عز وجل - : ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) ﴾ [سبأ]، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [الشورى : ٦] .

وقال الحليمي : ومعناه الموثوق منه بترك التضييع .

وقال أبو سليمان فيما أخبرت عنه : الحفيظ هو الحافظ ، فعيل بمعنى فاعل كالقدير والعليم ، يحفظ السموات والأرض وما فيهما لتبقى مدة بقائها فلا تزول ولا تدثر ، قال اللَّه - عز وجل - : ﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ [البقرة : ٢٥٥]، وقال - جل وعلا - : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) ﴾ [الصافات] ، أي : حفظناها حفظًا ، وهو الذي يحفظ عباده من المهالك والمعاطب ، ويقيهم مصارع الشر . قال اللَّه - عز وجل - : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد : ١١]. أي : بأمره ، ويحفظ على الخلق أعمالهم ، ويحصي عليهم أقوالهم ، ويعلم نياتهم ، وما تكن صدورهم ، فلا تغيب عنه غائبة ، ولا تخفى عليه خافية ، ويحفظ أولياءه فيعصمهم عن مواقعة الذنوب ، ويحرسهم من مكائد الشيطان ، ليسلموا من شره وفتنته .

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن اللَّه سبحانه هو الحافظ لجميع الممكنات والحفيظ[1] .

فهو سبحانه وتعالى حفيظ الأشياء يعلم جملها وتفاصيلها علمًا لا زوال فيه ، ولا سهو ، ولا نسيان .

وهو عز وجل حافظ للقرآن الكريم عن التحريف والتبديل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٦٩ ، ٧٠) ، والأسنى للقرطبي (١/ ٣١١) .

وإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر] [١]، ومن بديع ما قيل فى اسمه (الحفيظ) سبحانه : «وهو الذى صانك فى المحنة عن الشكوى، وفى حال النعمة عن البلوى » .

* من مظاهر اسم اللَّه (الحفيظ) فى الخلق :

(١) حفظ الحق سبحانه وتعالى مخلوقاته، ولولاه عز وجل لما بقى شىء من الممكنات، فقد حفظها من العود إلى العدم، وهو سبحانه الذى يحفظ السموات عن الهَوِىِّ والسقوط، كما قال عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا ﴾ [فاطر : ٤١] وهو الذى خلق الأرض على وجه البحر، ثم إنه بقدرته يحفظها عن الغوص بكليتها فى البحر، مع أن طبع الأرض الغوص فى الماء، وهو الذى مزج بين العناصر المتضادة بعضها عن بعض بالطبع، فهو سبحانه وتعالى ركّب أبدان الحيوانات منها، وأمسك كل واحدٍ منها مع ضده على خلاف مقتضى طبعه [٢] .

(٢) وهو سبحانه الذى حفظ عباده بأقواله وأفعاله، وبملائكته، قال اللَّه العظيم : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ [الأنبياء : ٤٢]، وقال : ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام : ٦١]. أى : ملائكة تمنعهم وتكلؤهم، وحفظ سبحانه المولود الذى لا يملك لنفسه دفع المضار، ولا اجتلاب المنافع، واللَّه سبحانه يتولى حفظه بنفسه وملائكته [٣] .

* ثمرة معرفة هذا الاسم :

(١) **أعظم الحفظ** : حفظ القلوب وحراسة الدين عن الكفر والنفاق، وأنواع الفتن، وفنون الأهواء والبدع، حتى لا يَزِلَّ عن الطريقة المثلى، قال اللَّه العظيم : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧]، لا الحفظ من بلايا

---

(١) الرازى (ص ٢٥٧) .

(٢) الرازى (ص ٢٥٨) .

(٣) الأسنى للقرطبى (١/ ٣١٠) .

الأمراض والأوصاب، والبلايا النازلة، بالمال والولد، فإن هذا يؤدى إلى الجنة، والأول يؤدى إلى النار، ولقد أحسن القائل :

في كل بلوى تصيب العبد عافية   إلا البلاء الذى يؤدى إلى النار

ذاك البلاء الذى ما فيه عافية   من البلاء ولا ستر من العار [١]

(٢)ومن عرف هذا الاسم حفظ جوارحه وقلبه ودينه عن سطوة الغضب، والشهوة، وخداع النفس، وغرور الشيطان .

(٣)وفى الحديث : « **احفظ الله يحفظك** » [٢]. أى : احفظ أوامره بالامتثال، ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعديها، يحفظك فى نفسك ودينك، ومالك، وولدك، وفى جميع ما آتاك الله من فضله [٣].

وحكى أن لصًا دخل دار رابعة العدوية، وكان النوم أخذها، فأخذ اللص الملاءة فخفى عليه باب الحجرة فوضع الملاءة فأبصر الباب، فرفع الملاءة ثانية فخفى عليه الباب، ولم يزل يفعل ذلك مرات فهتف هاتف : ضع الملاءة فإنا نحفظها لها ولا ندعها وإن كانت نائمة .. وهذا هو تحقيق الحفظ [٤].

---

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٣١٠) .

(٢) صحيح سبق تخريجه .

(٣) الحق الواضح المبين (ص ٦١) .

(٤) الأسنى للقرطبي (١/ ٣١٣) .

• الحَـــقُّ •

قال اللَّه تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) ﴾ [النور] .

وعن ابن عباس – رضى اللَّه عنه – قال : كان رسول اللَّه ﷺ إذا قام إلى الصلاة فى جوف الليل يقول : « اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِى مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ »(١) .

قال الحليمى : الحق ما لا يسع إنكاره، ويلزم إثباته، والاعتراف به، ووجود البارى عزَّ ذكره أولى ما يجب الاعتراف به؛ يعنى : عند ورود أمره بالاعتراف به ولا يسع جحوده، إذ لا مثبت يتظاهر عليه من الدلائل البينة الباهرة ما تظاهر على وجود البارى جلّ ثناؤه(٢) .

وهو سبحانه قوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له هى الحق، وكل شىء ينسب إليه فهو حق(٣) .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢) ﴾ [الحج : ٦٢] .

---

(١) صحيح : متفق عليه : البخارى (٣/ ٢ – ٤) فى قيام الليل، ومسلم (٧٦٩) فى صلاة المسافرين .

(٢) البيهقى (ص ١٢ ، ١٣) فى الأسماء والصفات .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن للسعدى (٥/ ٦٣١ ، ٦٣٢) .

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩] .

﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ ﴾ [يونس : ٣٢] .

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ [الإسراء : ٨١] .

وقال سبحانه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) ﴾ [النور] .

فأوصافه العظيمة حق ، وأفعاله هى الحق ، وعبادته هى الحق ، ووعده حق ، ووعيده وحسابه هو العدل الذى لا جور فيه [١] .

وقال ابن القيم : الحق الذى خلقت به السموات والأرض وما بينهما ، هو حق مقارن لوجود هذه المخلوقات سطورًا فى صفحاته يقرؤه كل موفق كاتب ، وغير كاتب كما قيل :

تأمل سطور الكائنات فإنها ... من الملأ الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيها لو تأملت خطها ... ألا كل شىء ما خلا اللَّه باطل

وأما الحق الذى هو غاية خلقها فهو غاية تراد من العباد وغاية تراد بهم فالتى تراد منهم أن يعرفوا اللَّه تعالى وصفات كماله عز وجل ، وأن يعبدوه لا يشركون به شيئًا فيكون هو وحده إلههم ومعبودهم ومطاعهم ومحبوبهم قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢) ﴾ [الطلاق] ، فأخبر أنه خلق العالم ليعرف عباده كمال قدرته وإحاطة علمه ، وذلك يستلزم معرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وتوحيده .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [الذاريات] ، فهذه الغاية هى المرادة من العباد وهى أن يعرفوا ربهم ويعبدوه وحده . وأما الغاية المرادة بهم فى الجزاء بالعدل والفضل والثواب والعقاب ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٤٠٥) ، وابن كثير (٣/ ٢٧٧) .

الأرض ليجزى الَّذين أساؤوا بما عملوا ويجزى الَّذين أحسنوا بالحسنى (٣١) ﴾ [النجم]، وقال تعالى : ﴿ إنَّ السَّاعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى (١٥) ﴾ [طه]، وقال تعالى : ﴿ ليبين لهم الَّذى يختلفون فيه وليعلم الَّذين كفروا أنَّهم كانوا كاذبين (٣٩) ﴾ [النحل]، وقال تعالى : ﴿ إنَّ ربَّكم اللَّه الَّذى خلق السَّموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلاَّ من بعد إذنه ذلكم اللَّه ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون (٣) إليه مرجعكم جميعا وعد اللَّه حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الَّذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والَّذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون (٤) ﴾ [يونس]، فتأمل الآن كيف اشتمل خلق السموات والأرض وما بينهما على الحق أولاً وآخرًا ووسطًا، وأنها خلقت بالحق وللحق وشاهدة بالحق[1].

* من مظاهر قدرة اللَّه تعالى، وأثر معرفة اسم (الحق) :

(١) فإذا تأمل العاقل البصير أحوال النطفة من مبدئها إلى منتهاها دلته على المعاد والنبوات. كما تدله على إثبات الصانع وتوحيده وصفات كماله، فكما تدل أحوال النطفة من مبدئها إلى غايتها على كمال قدرة فاطر الإنسان وبارئه، فكذلك تدل على كمال حكمته وعلمه وملكه.

وإنه الملك الحق المتعالى عن أن يخلقها عبثًا ويتركها سدى بعد كمال خلقها، وتأمل كيف لما زعم أعداؤه الكافرون أنه لم يأمرهم، ولم ينههم على ألسنة رسله، وأنه لا يبعثهم للثواب والعقاب كيف كان هذا الزعم منهم قولاً بأن خلق السموات والأرض باطل فقال تعالى : ﴿ وما خلقنا السَّماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الَّذين كفروا فويل للَّذين كفروا من النار (٢٧) ﴾ [ص]، فلما ظن أعداؤه أنه لم يرسل إليهم رسولاً، ولم يجعل لهم أجلاً للقائه كان ذلك ظنًا منهم أنه خلق خلقه باطلاً ؛ ولهذا أثنى تعالى على عباده المتفكرين فى مخلوقاته بأنهم أوصلهم فكرهم فيها إلى شهادتهم بأنه تعالى لم

---

(١) بدائع الفوائد (٤/ ٣٣٥).

يخلقها باطلاً، وأنهم لما علموا ذلك، وشهدوا به علموا أن خلقها يستلزم أمره ونهيه وثوابه وعقابه.

فذكروا في دعائهم هذين الأمرين فقالوا: ﴿ **رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢)** ﴾ [آل عمران]، فلما علموا أن خلق السموات والأرض يستلزم الثواب والعقاب تعوذوا بالله من عقابه، ثم ذكروا الإيمان الذي أوقعهم عليه فكرهم في خلق السموات والأرض فقالوا: ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا** ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فكانت ثمرة فكرهم في خلق السموات والأرض الإقرار به تعالى وبوحدانيته وبدينه وبرسله وبثوابه وعقابه، فتوسلوا إليه بإيمانهم الذي هو من أعظم فضله عليهم إلى مغفرة ذنوبهم وتكفير سيئاتهم وإدخالهم مع الأبرار إلى جنته التي وعدهموها، وذلك تمام نعمته عليهم فتوسلوا بإنعامه عليهم أولاً إلى إنعامه عليهم أخرًا، وتلك وسيلة بطاعته إلى كرامته وهي إحدى الوسائل إليه. وهي الوسيلة التي أمرهم بها في قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** ﴾ [المائدة: ٣٥]، وأخبر عن خاصة عباده أنهم يبتغون الوسيلة إليه إذ يقول تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ** ﴾ [الإسراء: ٥٧].

فأثم ذلك لهم الإيمان بالله ورسوله، ودينه وشرعه، وثوابه وعقابه، والتوسل إليه بطاعته والإيمان به، وهذا الذي ذكرناه قطرة من بحر لا ساحل له فلا تستطله فإنه كنز من كنوز العلم لا يلائم كل نفس ولا يقبله كل محروم والله يختص برحمته من يشاء[١].

(٢) ولما ثبت أنه سبحانه حق لذاته، كان اعتقاد وجوده، واعتقاد كونه موصوفًا بصفات التعالي والعظمة حق الاعتقادات؛ لأن المعتقد لما كان ممتنع التغيير امتنع تغير ذلك الاعتقاد من كونه حقًا إلى كونه باطلاً، وكذا الإقرار به، والإخبار عن وجوده، فهو سبحانه أحق الحقائق بأن يكون حقًا، ومعرفته أحق المعارف بالحقيقة، والإقرار به أحق الأقوال بالحقيقة[٢].

---

(١) ابن القيم في بدائع الفوائد (٤/ ٣٣٥، ٣٣٦).

(٢) الرازي (ص ٢٨١).

• الحَكَـــمُ •

لم يرد في القرآن بهذه الصيغة وصفًا للّه تعالى لكنه ورد مضمنًا في قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقال: ﴿ فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧) ﴾ [الأعراف].

وقال: ﴿ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) ﴾ [الزمر].

ويجوز إجراؤه على المخلوق وصفًا مذكرًا كما ورد في القرآن: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقوله: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٣٥].

ولا يجوز اسمًا معرفًا ولا كُنية، ففي الحديث عن هانئ بن يزيد أنه وفد إلى رسول اللّه ﷺ فسمعهم يكنونه بأبي الحكم، فقال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الحَكَمُ، لِمَ تُكَنَّى بأبي الحَكَمْ؟ قَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا حَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ الفَرِيقَانِ، قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ وَلَدٍ؟ قَالَ: شُرَيْحٌ، وَعَبدُ اللَّهِ، وَمُسْلِمٌ بَنُو هَانِئٍ. قَالَ: فَمَنْ أَكبَرُهُمْ؟ قَالَ: شُرَيْحٌ، قَالَ: أَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ، فَدَعَا لَهُ وَلِوَلَدِهِ» (١)، (٢).

وقال الزّجاج: الحاكم والحكم واحد، كالواسط والوسط، وأصل الحكم المنع، ومنه الحكمة لأنها تمنع الفرس من التمرد، وكذا الحكمة تمنع الرجل من السفاهة، ومنه الحكم

---

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٤٣٦).

(٢) جيد الإسناد: البخاري (٨١١) في الأدب المفرد.

لأنه يمنع الخصمين عن التعدى، ووصف اللَّه تعالى نفسه بأنه أحكم الحاكمين، ومنه قوله تعالى : ﴿ **أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ** ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنعام][1] .

وقال الحليمى : الحكَم هو الذى إليه الحكم، وأصل الحكم منع الفساد وشرائع اللَّه كلها استصلاح للعباد .

وقال الخطابى (أبو سليمان) : وقيل للحاكم : حاكم لمنعه الناس عن التظالم، وردعه إياهم .

وقال : حكمت الرجل عن الفساد إذ منعته منه، وكذلك أحكمته بالألف، ومن جهة هذا قيل : حكمة اللجام، وذلك لمنعها الدابة من التمرد والذهاب فى غير جهة القصد[2] .

* شمول هذا الاسم لمعانى جليلة :

وقد تضمن هذا الاسم جميع الصفات العُلى والأسماء الحسنى، إذا لا يكون حكمًا إلا سميع بصير، عالم خبير إلى غير ذلك، فهو سبحانه الحكَم بين العباد فى الدنيا والآخرة فى الظاهر والباطن، وفيما شرع من شرعه، وأمضى من حكمه، وقضاياه على خلقه قولاً وفعلاً، وليس ذلك لغير اللَّه تعالى ؛ ولذلك قال وقوله الحق : ﴿ **لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص]، وقال : ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴿١﴾ ﴾ [هود]، فلم يزل حكيمًا قبل أن يحكم، ولا ينبغى ذلك لغيره[3] .

* أنواع الحكم :

وقد ذكر ابن القيم أن أحكام اللَّه تعالى تجرى على ثلاثة أنواع فقال : بل الأحكام ثلاثة :

---

(١) البيهقى (ص ٨٠) فى الأسماء والصفات، والرازى (ص ٢٣٤)، والقرطبى (١/ ٤٣٦) .
(٢) الأسنى للقرطبى (١/ ٤٣٩)، والبيهقى (ص ٨٠) فى الأسماء والصفات .
(٣) الأسنى للقرطبى (١/ ٤٤٠) .

١- حكم شرعي ديني :

وهذا حقه أن يتلقى بالمسالمة والتسليم، وترك المنازعة، بل بالانقياد المحض، والتسليم والإذعان والقبول، فإذا تلقى هذا الحكم بالتسليم والمسالمة إقرارًا وتصديقًا بقى هناك انقياد آخر وتسليم آخر له إرادة وتنفيذ وعمل، فلا تكون له شهوة تنازع مراد الله من تنفيذ حكمه، كما لم تكن له شبهة تعارض إيمانه وإقراره، وهذا حقيقة القلب السليم الذى سلم من شبهة تعارض الحق، وشهوة تعارض الأمر، فلا استمتع بخلافه كما استمتع به الذين يتبعون الشهوات، ولا خاض فى الباطل خوض الذين يتبعون الشبهات، بل اندرج خلاقه تحت الأمر، واضمحلّ فى معرفته بالحق فاطمأن إلى الله معرفة به ومحبة له وعلمًا بأمره [١].

وعبّر ابن تيمية عن هذا الحكم فقال : إنها الحقيقة الدينية الآمرية، وهى الشرع المنزل، وهى الكتاب والسنة الذى لا ينبغى لأحد الخروج عليه، وهى حقيقة متعلقة برضا الله ومحبته [٢].

٢- حكم كونى :

وللعبد فيه كسب، فيدافع له وبه، كما قال شيخ العارفين فى وقته عبد القادر الجيلانى : الناس إذا دخلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا، وأنا انفتحت لى روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق، والعارف من يكون منازعًا للقدر لا واقفًا مع القدر إرادة لمرضاته، فهذا حق الحكم الدينى .

٣- الحكم الكونى القدرى :

وللعبد فيه كسب واختيار وإرادة، والذى إذا حكم به يسخطه ويبغضه ويذم عليه، فهذا حق أن ينازع ويدافع بكل ممكن ولا يسالم البتة، بل ينازع بالحكم الكونى أيضًا، فينازع حكم الحق بالحق للحق [٣].

---

(١) طريق الهجرتين (ص ٦٦) لابن القيم .

(٢) ابن تيمية : الفرقان بين أولياء الله والرحمن (ص ١١٧ ، ١١٨) .

(٣) طريق الهجرتين (ص ٦٦) .

وقد رأى ابن تيمية أن هذه هى الحقيقة الكونية القدرية المتعلقة بخلق اللَّه ومشيئته، ولكن فى النهاية تطبق قاعدة السلف، ما شاء اللَّه كان، ومالم يشأ لم يكن.

❊ ثمرة معرفة اسم اللَّه (الحكم):

(١) يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا حَكَمَ إلا اللَّه تعالى وحده، وأن كل أفعاله: أحكام وقضايا، وكل أقواله: حكم ووصايا، ويجب أن يعلم أن الرسل عليهم السلام هم معادن الحكمة، وأهل الحكم، ولم يفوض اللَّه تعالى الحكم إلا لهم، وكل من سواهم يجب عليهم الاقتداء بهم. وأن لا يحكموا إلا بما أنزل إليه، وتَعبَّدَ اللَّه كافة المؤمنين بنصب الحكام، وإقامة الأحكام، ولا خلاف فى ذلك فى الجملة.

(٢) ثم يجب على كل مسلم إذا دُعى إلى الحكم عليه أن يجيب إلى ذلك، وينقاد لحكم اللَّه تعالى عليه إذا توجه عليه، وإلا كان ظالمًا، قال اللَّه تعالى: ﴿ **وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠)** ﴾ [النور].

(٣) ويجب على الحكام أن لا يتعدوا حكم اللَّه الذى شرعه لهم، ونصبه فصلاً بين عباده، وأن يحكم الحكام بالحق وإن كان على نفسه كما قال: ﴿ **وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ** ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [ص: ٢٦]، وأحكام القضاة مبسوطة فى كتب الفقه[(١)].

ومن حاكم إلى غير اللَّه ورسوله فقد حاكم إلى الطاغوت، وقد أمر أن يكفر به، ولا يكفر العبد بالطاغوت حتى يجعل الحكم للَّه وحده، كما هو كذلك فى نفس الأمر[(٢)].

---

(١) القرطبى (١/ ٤٤٠، ٤٤١) فى الأسنى.

(٢) طريق الهجرتين (ص ١٠٦).

• الحَكِيمُ •

قال اللَّه تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) ﴾ [النساء] .

وقال سبحانه : ﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾ [البقرة] .

وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال : جاء إلى رسول اللَّه ﷺ أعرابي فقال : علمني كلامًا أقوله، قال : « **قل: لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، اللَّه أكبر كبيرًا، والحمد للَّه** كثيرًا، وسبحان **اللَّه رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العزيز الحكيم** »، قال : هذا لربي، فمالي ؟ قال رسول اللَّه ﷺ : « **قُل : اللَّهُمَّ اغْفِر لِي وارْحَمْنِي واهْدِنِي وعَافِنِي وارْزُقْنِي** »[1] .

قال الحليمي : الحكيم هو الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، وإنما ينبغي أن يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة، وصنعه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم، كما لا يظهر الفعل على وجه الاختيار إلا من حي عالم قدير .

قال الخطابي : الحكيم هو المُحكِم لخلق الأشياء، صُرِف عن مُفعل إلى فعيل، ومعنى الأحكام لخلق الأشياء إنما ينصرف إلى إتقان التدبير فيها وحسن التقدير لها، إذ ليس كل الخليقة موصوفًا بوثاقة البنية، وشدة الأسر كالبقة والنملة وما أشبههما من ضعاف الخلق، إلا أن التدبير فيهما والدلالة بهما على وجود الصانع وإثباته ليس بدون الدلالة عليه بخلق السماء والأرض والجبال وسائر مَعاظم الخليقة، وكذلك هذا في قوله عز وجل : ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** ﴾ [السجدة : ٧]، لم تقع الإشارة به إلى الحسن الرائق في المنظر، فإن هذا المعنى معدوم في القرد والخنزير والدواب وأشكالها من الحيوان، وإنما ينصرف المعنى فيه إلى حسن التدبير في إنشاء كل خلق من خلقه على ما أحبَّ أن ينشئه عليه، وإبرازه

---

(١) صحيح : مسلم (٢٦٩٧) في الذكر والدعاء .

على الهيئة التى أراد أن يهيئه عليها كقوله تعالى[(١)] : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢) ﴾ [الفرقان] .

والحكمة إنما تكون فى حق من يفعل شيئًا لشىء فيريد بما يفعله الحكمة الناشئة من فعله ، فأما من لا يفعل شيئًا لشىء البتة فلا يتصور فى حقه الحكمة [. . .][(٢)] ، ومن نفى الحكمة لم يثبت للَّه تعالى كمال الحمد ، أو كمال الملك ، وهو قول منكر عند السلف ومنكر عند جمهور الأمة[(٣)] .

* ورود الحكمة فى الكتاب والسنة والرد على نفاة هذه الصفة :

النوع الأول : التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منه ، كقوله : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾ [القمر : ٥] .

وقوله : ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [النساء : ١١٣] .

وقوله : ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

والحكمة هى : العلم النافع ، والعمل الصالح . وسمى حكمة ؛ لأن العلم والعمل قد تعلقا بمتعلقهما وأوصلا إلى غايتهما . وكذلك لا يكون الكلام حكمة حتى يكون موصلاً إلى الغايات المحمودة والمطالبة النافعة ، فيكون مرشدًا إلى العلم النافع والعمل الصالح ، فتحصل الغاية المطلوبة .

فإذا كان المتكلم به لم يقصد مصلحة المخاطبين ، ولا هداهم ، ولا إيصالهم إلى سعادتهم ودلالتهم على أسبابها وموانعها ، ولا كان ذلك هو الغاية المقصودة المطلوبة ، ولا تكلم لأجلها ، ولا أرسل الرسل وأنزل الكتب لأجلها ، ولا نصب الثواب والعقاب لأجلها ، لم يكن حكيمًا ولا كلامه حكمة ، فضلاً عن أن يكون بالغة .

النوع الثانى : إخباره أنه فعل كذا لكذا ، وأنه أمر بكذا لكذا ، كقوله : ﴿ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٢١ ، ٢٢) .

(٢ ، ٣) طريق الهجرتين (ص ١٩٦) .

أنَّ اللهَ يعلمُ ما في السَّموات وما في الأرض ﴾ [المائدة : ٩٧] ، وقوله : ﴿ اللهُ الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما (١٢) ﴾ [الطلاق] ، وقوله تعالى : ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله ﴾ [الحديد : ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (٢٧) ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا (٢٨) ﴾ [الجن] .

أي : ليتماسكوا بهذا الحفظ والرصد من تبليغ رسالته فيعلم اللَّه ذلك واقعًا .

وقوله تعالى : ﴿ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به ﴾ [آل عمران : ١٢٦] .

فإن قيل : اللام في هذا كله لام العاقبة ، كقوله : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ﴾ [القصص : ٨] .

فإن ما بعد اللام في هذا ليس هو الغاية المطلوبة ، ولكن لما كان الفعل منتهيًا إليه ، وكان عاقبة الفعل دخلت عليه لام التعليل وهي في الحقيقة لام العاقبة .

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أن لام العاقبة إنما تكون في حق من هو جاهل أو عاجز عن دفعها . كقوله تعالى : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ﴾ [القصص : ٨] .

أما من هو بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير فيستحيل في حقه دخول هذه اللام ، وإنما اللام الواردة في أفعاله وأحكامه لام الحكمة والغاية المطلوبة .

والجواب الثاني : إفراد كل موضع من تلك المواضع بالجواب . أما قوله : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ﴾ [القصص : ٨] . فهو تعليل لقضاء اللَّه سبحانه بالتقاطه وتقديره له ، فإن التقاطهم له إنما كان بقضائه وقدره . . . وإنما ذكر فعلهم دون قضائه ؛ لأنه أبلغ في كونه حزنًا لهم وحسرة عليهم . . وقد ظهر لفرعون وغيره كمال اللَّه

وقدرته، وعلمه وحكمته الباهرة وأن هذا الذي يذبح فرعون الأبناء في طلبه الذي يتولى تربيته في حجره وبيته باختياره وإرادته[١].

* صور الابتلاء في خلقه رحمة منه وحكمة فيها له:

(١) واعلم أن لله تعالى خصائص في خلقه ورحمة وفضلاً يختص به من يشاء، وذلك موجب ربوبيته وإلهيته وحمده وحكمه ... واعلم أن الأمر قسمة بين فضله وعدله، فيختص برحمته من يشاء، ويقصد بعذابه من يشاء وهو المحمود على هذا، فالطيبون من خلقه مخصوصون بفضله ورحمته، والخبيثون مقصودون بعذابه، ولكل واحد قسطه من الحكمة والابتلاء والامتحان، وكل مستعمل فيما هو له مخلوق، وكل ذلك خير ونفع ورحمة للمؤمنين، فإنه تعالى خلقهم للخيرات فهم لها عاملون، واستعملهم فيها فلم يدركوا ذلك إلا به ولا استحقوه إلا بما سبق لهم من مشيئته وقسمته، فكذلك لا تضرهم الأدواء ولا السموم، بل متى وسوس لهم العدو واغتالهم بشيء من كيده أو مسهم بشيء من طيفه تذكروا فإذا هم مبصرون، وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون، وإذا وقعوا في معصية صغيرة أو كبيرة عاد ذلك عليهم رحمة وانقلب في حقهم دواء وبدل حسنة بالتوبة النصوح والحسنات الماحية؛ لأنه سبحانه عرفهم بنفسه وبفضله وبأن قلوبهم بيده وعصمتهم إليه حيث نقض عزماتهم وقد عزموا ألا يعصوه، وأراهم عزته في قضائه، وبره وإحسانه في عفوه ومغفرته، وأشهدهم نفوسهم وما فيها من النقص والظلم والجهل، وأشهدهم حاجتهم إليه وافتقارهم وذلهم، وأنه إن لم يعف عنهم ويغفر لهم فليس لهم سبيل إلى النجاة أبداً، فإنهم لما أعطوا من أنفسهم العزم ألا يعصوه وعقدوا عليهم قلوبهم ثم عصوه بمشيئته وقدرته وعرفوا بذلك عظيم اقتداره وجميل ستره إياهم وكريم حلمه عنهم، وسعة مغفرته لهم برد عفوه وحنانه وعطفه ورأفته، وأنه حليم ذو أناة ورحيم سبقت رحمته غضبه، وأنهم متى رجعوا إليه بالتوبة وجدوه غفوراً رحيماً حليماً كريماً يغفر لهم السيئات ويقيلهم العثرات ويودهم بعد التوبة ويحبهم، فتضرعوا إليه حينئذ بالدعاء وتوسلوا إليه بحسن إجابته وجميل عطفه وحسن

---

(١) شفاء العليل (ص ٣٣٦).

امتنانه فى أن ألهمهم دعاءه ويسرهم للتوبة والإنابة وأقبلوا بقلوبهم إليه إعراضًا عنه، ولم تمنعه معاصيهم وجناياتهم من عطفه عليهم وبره لهم وإحسانه إليهم فتاب عليهم قبل أن يتوبوا إليه، وأعطاهم قبل أن يسألوه فلما تابوا إليه استغفروه وأنابوا إليه تعرف إليهم تعرفا آخر: فعرفهم رحمته وحسن عائدته وسعة مغفرته وكريم عفوه وجميل صفحه وبره وامتنانه وكرمه وشرعه، ومبادرته قبولهم بعد أن كان منهم ما كان من طول الشرور وشدة النفور والإيضاع فى طريق معاصيه، وأشهدهم مع ذلك حمده العظيم وبره العميم، وكرمه فى أن خلى بينهم وبين المعصية فنالوها بنعمه وإعانته، ثم لم يخل بينهم وبين ما توجبه من الهلاك والفساد الذى لا يرجى معه فلاح، بل تداركهم بالدواء الثاني الشافي فاستخرج منهم داء لو استمر معهم لأفضى إلى الهلاك، ثم تداركهم بروح الرجاء فقذفه فى قلوبهم وأخبر أنه عند ظنونهم به، ولو أشهدهم عظم الجناية وقبح المعصية وغضبه ومقته على من عصاه فقط لأورثهم ذلك المرض القاتل أو الداء العضال من اليأس من روحه والقنوط من رحمته وكان ذلك عين هلاكهم، ولكن رحمهم قبل البلاء، وجعل تلك الآثار التى توجبها المعصية من المحن والبلاء والشدائد رحمة لهم وسببًا إلى علو درجاتهم ونيل الزلفى والكرامة عنده، فأشهدهم بالجناية عز الربوبية وذل العبودية، ورقاهم بآثارهم إلى منازل قربه ونيل كرامته، فهم على كل حال يربحون عليه، ويتقلبون فى كرمه وإحسانه، وكل قضاء يقضيه للمؤمن فهو خير به، يسوقه إلى كرامته وثوابه[1] .

(٢) واقتضت حكمته سبحانه التفاوت بين العباد أعظم تفاوت وأبينه ليشكره منهم من ظهرت عليه نعمته وفضله، ويعرف أنه قد حُبى بالإنعام وخُصَّ دون غيره بالإكرام، ولو تساووا جميعهم فى النعمة والعافية لم يعرف صاحب النعمة قدرها ولم يبذل شكرها. . وأيضًا فإنه سبحانه لا شىء أحب إليه من العبد من تذلله وخضوعه بين يديه، وأفتقاره وانكساره وتضرعه إليه .

(٣) واقتضت حكمته سبحانه استخراج آدم وذريته إلى دار تجرى عليهم فيها أحكام دينه وأمره؛ ليظهر فيها مقتضى الأمر ولوازمه فإن اللَّه سبحانه كما أن أفعاله وخلقه من

---

(١) طريق الهجرتين (ص ٢٢٥) .

لوازم كمال أسمائه الحسنى وصفاته العُلى. فكذلك أمره وشرعه وما يترتب عليه من الثواب والعقاب[١]، ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) ﴾ [المؤمنون]، وبالجملة فالحكيم متعلقاته المخلوقات والشرائع، وكلها في غاية الإحكام، فهو الحكيم في أحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية[٢].

❊ وثمرة معرفة هذه الصفة: إجلال اللَّه تعالى الذى عمت الأشياء حكمته، وحيّرت الألبّاء صنعته.

❊ ❊ ❊

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢٥، ٢٦) بتصرف.

(٢) الحق الواضح المبين (ص ٤٨)، وتفسير السعدى (٥/ ٦٢١).

• الحَلِيــــمُ •

قال جلّ ثناؤه : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥) ﴾ [البقرة] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩) ﴾ [الحج] .

قال الحليمى : فى معنى الحليم : إنه الذى لا يحبس إنعامه وإفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم ، ولكنه يرزق العاصى كما يرزق المطيع ، ويبقيه وهو منهمك فى معاصيه كما يبقى البر التقى ، وقد يقيه الآفات والبلايا ، وهو غافل لا يذكره فضلاً عن أن يدعوه كما يقيها الناسك الذى يسأله ، وربما شغلته العبادة عن المسألة[(١)] .

وقال أبو سليمان الخطابى : الحليم : هو ذو الصفح والأناة الذى لا يستفزه غضب ، ولا يستخفه جهل جاهل ، ولا عصيان عاصٍ ، ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم ، إنما الحليم هو الصفوح مع القدرة ، المتأنى الذى لا يعجل بالعقوبة[(٢)] .

وقال الأقليشى : أما اتصاف اللَّه سبحانه بالحلم بمعنى البراءة عن الطيش فمعلوم بالبرهان المؤدى إلى معرفة كمال اللَّه تعالى ، وأما اتصافه بالحلم بمعنى تأخير العقوبة أو رفعها ، فأحدهما : معلوم بالمشاهدة ، والثانى : بالموارد النقلية وإجماع أهل الملة الحنيفية .

أما تأخير العقوبة فى الدنيا عن الكفرة والفجرة من أهل العصيان فمشاهد بالعيان ، أنا نراهم يكفرون ويعصون ، وهم معافون وفى نعم اللَّه يتقلبون .

وأما رفع العقوبة فى الأخرى فلا يكون مرفوعًا إلا عن بعض من استوجبها من عصاة

---

(١) البيهقى : (ص ٥٣) فى الأسماء والصفات .

(٢) الأسنى للقرطبى (١/ ٩٤) .

الموحدين، وأما الكفار فلا مدخل لهم فى هذا القسم ولا لهم فى الآخرة حظ من هذا الاسم، وهذا معروف بقواطع الآثار، ومجمع عليه عند أولى الاستبصار، فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الحليم على الإطلاق هو اللَّه سبحانه، وجريان هذا الاسم على غيره مجاز لا حقيقة.

واللَّه عز وجل له الحلم الكامل الذى وسع أهل الكفر والفسوق والعصيان، حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم، فإن الذنوب تقتضى ترتب آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة. ولكن حلمه سبحانه هو الذى اقتضى أمهالهم[1]. كما قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا** (٤٥) ﴾ [فاطر].

※ ثمرة معرفة هذا الاسم:

(١) فمن الواجب على من عرف أن ربه حليم على من عصاه، أن يحلم هو على من خالف أمره، فذاك به أولى، حتى يكون حليماً فينال من هذا الوصف بمقدار يكسر سَوْرَة غضبه، ويرفع الانتقام عمن أساء إليه، بل يتعود الصفح حتى يعود الحلم له سَجيَّة، وكما تحب أن يحلم عنك مالكك، فاحلم أنت عمن تملك، لأنك متعبد بالحلم، فتاب عليه.
قال اللَّه تعالى: ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [الشورى: ٤٠]
والصبر داخل تحت الحلم، إذ كل حليم صابر، وقد وصف - عز وجل - نفسه بالصبر، كما فى حديث أبى موسى عن النبى ﷺ: « **لَيسَ أَحَدٌ أو: لَيس شَيءٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذىً سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَداً وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ** »[2]. فوصف اللَّه تعالى

---

(١) شرح النونية للهراس (٢/ ٨٦).
(٢) صحيح: متفق عليه: البخارى (٦٠٩٩) فى الأدب، ومسلم (٢٨٠٤) فى صفة القيامة.

بالصبر، إنما هو بمعنى الحلم، ومعنى وصفه بالحلم هو تأخير العقوبة عن المستحقين لها[١].

(٢) ومن عرف هذا الاسم حفظ الود، وأحسن العهد، وأنجز الوعد، وستر العيوب التي رآها، ولم يستحقه الخلق بطغيانهم وعصيانهم[٢].

❊❊❊

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٩٧، ٩٨).

(٢) الرازي (ص ٢٤٤).

• الحَمِيدُ •

قال اللَّه جلّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان] .

قال الحليمي : هو المستحق لأن يحمد لأنه جلّ ثناؤه بدأ فأوجد، ثم جمع بين النعمتين الجليلتين الحياة والعقل، ووالى بعد منحه، وتابع آلاءه ومننه، حتى فاتت العد، وإن استفرغ فيها الجهد، فمن ذا الذي يستحق الحمد سواه، بل له الحمد كله لا لغيره، كما أن المن منه لا من غيره .

قال الخطابي : هو المحمود الذي استحق الحمد بفعاله، وهو فعيل بمعنى مفعول، وهو الذي يحمد في السّراء والضرّاء وفي الشدة والرخاء؛ لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط ولا يعترضه الخطأ فهو محمود على كل حال[١] .

والحميد صفة ثابتة للَّه تعالى وهي راجعة إلى معنى كلامه طوراً، وإلى ذاته أخرى وفيه معنى الإضافة الخاصة في كلا القسمين، أما رجوعه إلى كلامه فهو أن يكون (حميد) بمعنى حامد، فتارة يكون حمده لنفسه وثناؤه على ذاته لاستحقاقه ذلك، إذ هو أهل الثناء والحمد الخالص لتقدس ذاته وصفاته وأفعاله من النقائص، وتارة يكون حمده راجعًا إلى من جعله أهلاً للحمد من خلقه لقيامهم بواجب حمده . وهذا الحمد مندرج في طي حمده لنفسه؛ إذا الحمد الذي حمدهم عليه هو من صنعه، وأما رجوع هذه الصفة لذاته فهو أن يكون (حميد) بمعنى محمود، فيكون الحامد لذاته بحمده الذي هو راجع إلى كلامه، ويكون أيضًا المحمود من عباده بثنائهم عليه ومدحهم له، وحمدهم إياه وفي كل قسم من هذه الأقسام معنى الإضافة الخاصة، إذ لا يحمد اللَّه، ولا يحمد اللَّه من عباده إلا قوم خاصة، فالممقوت بمعزل عن حمد اللَّه له وعن حمده له وسيحمده على رغم أنفه عند القيام[٢] من لحده ﴿ **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده** ﴾ [الإسراء : ٥٢] .

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٥٩ ، ٦٠) . (٢) الأسنى للقرطبي (١/ ١٨٨ ، ١٨٩)

وقال ابن القيم : فالحميد : هو الذى له من الصفات وأسباب الحمد ما يقتضى أن يكون محموداً وإن لم يحمده غيره، فهو حميد فى نفسه، والمحمود من تعلق به حمد الحامدين، وهكذا المجيد والممجد، والكبير والمكبر، والعظيم والمعظم، والحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كله، فإن الحمد يستلزم الثناء والمحبة للمحمود، فمن أحببته ولم تثن عليه، لم تكن حامداً له، وكذا من أثنيت عليه لغرض ما، ولم تحبه لم تكن حامداً له حتى تكون مثنيًا عليه محبًا له، وهذا الثناء والحب تبع للأسباب المقتضية له، وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال ونعوت الجلال والإحسان إلى الغير، فإن هذه هى أسباب المحبة، وكلما كانت هذه الصفات أجمع وأكمل كان الحمد والحب أتم وأعظم، والله سبحانه له الكمال المطلق الذى لا نقص فيه بوجه ما والإحسان كله له ومنه، فهو أحق بكل حمد، وبكل حب من كل جهة، فهو أهل أن يحب لذاته ولصفاته ولأفعاله ولأسمائه ولإحسانه ولكل ما صدر منه سبحانه وتعالى [٢].

* حمد الله تعالى لذاته، وحمد العباد له :

والرب سبحانه حَمْدُهُ قد ملأ السموات والأرض وما بينهما وما بعد ذلك فملأ العالم العلوى والسفلى، والدنيا والآخرة، ووسع حمده ما وسع علمه، فله الحمد التام على جميع خلقه، ولا حكم إلا بحمده، ولا قامت السموات والأرض إلا بحمده، ولا دخل أهل الجنة الجنة إلا بحمده، ولا دخل أهل النار النار إلا بحمده. كما قال الحسن - رحمه الله - : لقد دخل أهل النار النار وإن حمده لفى قلوبهم . . .

ولقد حمد نفسه على ربوبيته الشاملة لذلك عنه : قـ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) ﴾ [الفاتحة] .

وحمد نفسه على إنزال كتبه : قـ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) ﴾ [الكهف] .

(٢) جلاء الأفهام (ص ٢٤٣) لابن القيم .

وحمد نفسه على خلق السموات والأرض : فـ﴿ الْحَمْدُ للّهِ الّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١] .

وحمد نفسه على كمال ملكه : فـ﴿ الْحَمْدُ للّهِ الّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١) ﴾ [سبأ] .

فحمده ملأ الزمان والمكان ، والأعيان وعمّ الأقوال كلها : ﴿ فَسُبْحَانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) ﴾ [الروم] .

وكيف لا يحمد على خلقه كله وهو : ﴿ الّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ [السجدة : ٧] وعلى صنعه وقد أتقنه ﴿ صُنْعَ اللّهِ الّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [النمل : ٨٨] ، وعلى أمره ، وكله حكمة ورحمة ، وعدل ومصلحة ، وعلى نهيه وكل ما نهى عنه شر كله ، وله الملك كله ، وبيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله ، والمقصود أنه كلما كان الفاعل أعظم حكمة كان أعظم حمدًا ، وإذا عدم الحكمة ولم يقصدها بفعله وأمره عدم الحمد[(١)] .

وجملة الأمر أن اللّه تعالى له الحمد على نعمه الظاهرة والباطنة ، الدينية والدنيوية ، وصرف عن عباده النقم والمكاره ، ويحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة ، فله سبحان كل صفة كمال ، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها ، فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء ، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة ، فله الحمد لذاته ، وله الحمد لصفاته ، وله الحمد لأفعاله ، وله الحمد على خلقه ، وعلى شرعه ، وعلى أحكامه القدرية ، وأحكامه الشرعية ، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة ، وتفاصيل حمده ، وما يحمد عليه لا تحيط بها الأفكار ولا تحصيها الأقلام[(٢)] .

---

(١) شفاء العليل (ص ٣٨٢) .

(٢) الحق الواضح المبين (ص٣٩ ، ٤٠) ، وشرح النونية (٢/ ٧٥) للهراس .

❊ ثمرة معرفة هذا الاسم :

(١) يجب على كل مكلف أن يعتقد أن الحمد على الإطلاق إنما هو للَّه، وأن الألف واللام للاستغراق لا للعهد، فهو الذى يستحق جميع المحامد بأسرها، فنحمده على كل نعمة وعلى كل حال بمحامده كلها ما عُلم منها وما لم يُعلم، وكان رسول اللَّه ﷺ يقول : « رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ بَعْدُ »[١] .

وقال : « أَفْضَلُ الذِّكْرِ لاَ إِلَه إِلاَّ اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الثَّنَاء الْحَمْدُ لِلَّهِ »[٢] .

ثم يجب عليه أن يسعى فى خصال الحمد وهى التخلق بالأخلاق الحميدة، والأفعال الجميلة ويترك نقيضها ويدع سفاسفها[٣] .

(٢) إثبات الحمد كله للَّه رب العالمين، فإنه المحمود على ما خلقه وأمر به، ونهى عنه، فهو المحمود على طاعات العباد ومعاصيهم وإيمانهم وكفرهم، وهو المحمود على خلق الأبرار والفجار والملائكة والشياطين وعلى خلق الرسل وأعدائهم، وهو المحمود على عدله فى عدله، كما هو المحمود على فضله وإنعامه على أوليائه، فكل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحمده، ولهذا سبح بحمده السموات والأرض ومن فيهن ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء : ٤٤][٤] .

(٣) العلم بأن الرب أسماؤه كلها حسنى ليس فيها اسم سوء، وأوصافه كلها كمال ليس فيها صفة نقص، وأفعاله كلها حكمة ليس فيها فعل خال عن الحكمة والمصلحة، وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم موصوف بصفة الكمال مذكور بنعوت الجلال، منزه عن الشبيه والمثال ومنزه عما يضاد صفات كماله : فمنزه عن الموت المضاد للحياة، وعن السِّنة والنوم والسهو والغفلة المضاد للقيومية، وموصوف بالعلم منزه

---

(١) صحيح : مسلم (٤٧٦) فى الصلاة .

(٢) حسن : النسائى (٨٣٧) فى عمل اليوم والليلة .

(٣) الأسنى للقرطبى (١/ ١٨٩ ، ١٩٠) .

(٤) طريق الهجرتين (ص ١٩٢) .

عن أضداده كلها من النسيان والذهول وعزوب شيء عن علمه، موصوف بالقدرة التامة منزه عن ضدها من العجز واللغوب والإعياء، موصوف بالسمع والبصر منزه عن أضداد ذلك، موصوف بالغنى التام منزه عما يضاده بوجه من الوجوه، ومستحق للحمد كله فيستحيل أن يكون غير محمود كما يستحيل أن يكون غير قادر ولا خالق ولا حي، وله الحمد كله واجب لذاته فلا يكون إلا محموداً كما لا يكون إلا إلهًا وربًا وقادراً.

***

• الحـــى القيُّـــومُ •

وقد جاء الاسمان متلازمان فى أكثر من موضع فى القرآن .

كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

وجاء الحى منفرداً كما فى قوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨] .

وعن ابن عباس – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ كان يقول : « اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ »[١] .

والحـى : هو كامل الحياة والذى له جميع معانى الحياة الكاملة من السمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها والصفات الذاتية[٢] .

والحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها كل كمال يضاد نفى كمال الحياة، وبهذا الطريق العقلى أثبت متكلمو أهل الإثبات له تعالى صفة السمع والبصر والعلم والإرادة والقدرة والكلام وسائر صفات الكمال[٣] .

والقيوم : القائم بتدبير ما خلق . قاله قتادة .

وقال الحسن : معناه : القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها لعملها من حيث هو عالم بها لا يخفى عليه شىء منها .

---

(١) صحيح : رواه البخارى وسبق تخريجه .

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/ ١٥١) .

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٣٣٢) .

وقال ابن عباس : الحي : معناه الذي لا يحول ولا يزول .

وقال الخطابي : القيوم : القائم الدائم بلا زوال ، ووزنه (فيعول) من القيام وهو نعت المبالغة في القيام من كل شيء [١] .

والقيوم : متضمن لكمال غناه ، وكمال قدرته ، وعزته ، فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه ، وهذا من كمال غناه بنفسه عمّن سواه ، وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته وهذا من كمال قدرته ، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال والقدرة التامة ، والغنى التام ، فكأن المستغيث بهما مستغيث بكل اسم من أسماء الرب تعالى ، وبكل صفة من صفاته فما أولى الاستغاثة بهذين الاسمين - الحي القيوم - أن يكون في مظنة تفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات ، وإنالة الطلبات ، والمقصود أن الرحمة المستغاث بها هي صفة الرب تعالى لا شيء من مخلوقاته ، كما أن المستعيذ بعزته في قوله : أعوذ بعزتك ، مستعيذ بعزته التي هي صفته لا بعزته التي خلقها يعز بها عباده المؤمنين .

وهذا كله يقرر قول أهل السنة إن قول النبي ﷺ : « **أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ** » [٢] . يدل على أن كلماته تبارك وتعالى غير مخلوقة ، فإنه لا يستعاذ بمخلوق ، وأما قوله تعالى حكاية عن ملائكته : ﴿ **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا** ﴾ [غافر : ٧] ، فهذه رحمة الصفة التي وسعت كل شيء ، كما قال تعالى : ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [الأعراف : ١٥٦] ، وسعتها عموم تعلقها بكل شيء كما أن سعة علمه تعالى عموم تعلقه بكل معلوم [٣] .

❁ أثر معرفة العبد أن الله قيوم :

وكذلك إذا شهد مشهد القيومية الجامع لصفات الأفعال وأنه قائم على كل شيء ، وقائم على كل نفس ، وأنه تعالى هو القائم بنفسه المقيم لغيره القائم عليه بتدبيره وربوبيته

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٤٨) .

(٢) صحيح : مسلم (٢٧٠٨) في الذكر والدعاء .

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٣٣٢) .

وقهره وإيصال جزاء المحسن إليه وجزاء المسيء إليه، وأنه بكمال قيوميته لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، ويرفع ولا يضل ولا ينسى .

وهذا المشهد من أرفع مشاهد العارفين، وهو مشهد الربوبية . وأعلى منه مشهد الإلهية الذى هو مشهد الرسل وأتباعهم الحنفاء، وهو شهادة أن لا إله إلا هو وأن إلهيه ما سواه باطل ومحال، كما أن ربوبية ما سواه كذلك فلا أحد سواه يستحق أن يؤله ويعبد، ويصلى له ويسجد، ويستحق نهاية الحب مع نهاية الذل لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، فهو المطاع وحده على الحقيقة، والمألوه وحده، وله الحكم وحده، فكل عبودية لغيره باطلة وعناء وضلال، وكل محبة لغيره عذاب لصاحبها وكل غنى لغيره فقر وضلال، وكل عز بغيره ذل وصغار، وكل تكثر بغيره قلة وفاقة .

فكما استحال أن يكون للخلق رب غيره فكذلك استحال أن يكون لهم إله غيره، فهو الذى انتهت إليه الرغبات وتوجهت نحوه الطلبات، ويستحيل أن يكون معه إله آخر، فإن الإله على حقيقة هو الغنى الصمد ولا حاجة به إلى أحد، وقيام كل شيء به وليس قيامه بغيره، ومن المحال أن يحصل فى الوجود اثنان كذلك، ولو كان فى الوجود إلهان لفسد نظامه أعظم فساد واختل أعظم اختلال، كما يستحيل أن يكون له فاعلان متساويان كل منهما مستقل بالفعل، فإن أستقلالهما ينافى استقلالهما واستقلال أحدهما يمنع ربوبية الآخر[١] .

ومن تجريبات السالكين، التى جربوها فألفوها صحيحة : أن من أدمن يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت أورثه ذلك حياة القلب والعقل .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - شديد اللهج بها جداً . وقال لى يومًا : لهذين الاسمين - وهما الحى القيوم - تأثير عظيم فى حياة القلب . وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم . وسمعته يقول : من واظب على أربعين مرة كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر : يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث، حصلت له حياة القلب ولم يمت قلبه .

---

(١) طريق الهجرتين (ص ٧٩) .

ومن علم عبوديات الأسماء الحسنى والدعاء بها وسر ارتباطها بالخلق والأمر، وبمطالبة العبد وحاجاته عرف ذلك وتحققه، فإن كل مطلوب يسأل بالمناسب له، فتأمل أدعية القرآن والأحاديث النبوية تجدها كذلك[1].

* * *

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٤٧).

• الحَيِيُّ السِّتِّيرُ •

وقد وصف نفسه بالحياء، ووصفه رسوله، فهو الحيي الكريم، كما قال النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا »(١)، وقالت أم سليم : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحِيي مِنَ الحَقِّ(٢)، وأقرها على ذلك، وقال النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ لاَ تَأْتُوا النِّسَاءَ فِي أَعْجَازِهِنَّ »(٣).

وفي الحديث عن يعلى بن أمية : قال رسول اللَّه ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ فَإِذَا أَرَادَ - يعني أَحَدُكُمْ - أَنْ يَغْتَسِلَ فَلْيَتَوَارَ بِشَيْءٍ »(٤).

قال الحليمي : وأما وصفه تعالى بأنه حيي فوزنه فعيل من الحياء، وهذا الوصف في حق اللَّه تعالى متأول؛ إذ العبد هو الموصوف بالحياء؛ لأنها حالة يجدها العبد في نفسه تحمله على إجلال المُسْتَحْيَا منه ولما كان اللَّه تعالى متكرمًا على سائله، وقاضيًا حوائج داعيه لا يردهم بكرمه وصف نفسه بالحياء، الذي يوصف به من كَرُمت نفسه، وكانت له سجيّة حيية، فإنه من أوصاف المدح في الخلق، وكل وصف كان للمخلوق حسنًا فللَّه منه الحظ الأكمل، وإن كان فيه إبهام، فإنه في حقّه متأول، وقد وصف نفسه بأنه يستحي من العبد، ووصف نفسه بأنه لا يستحي من الحق يرجع إلى صفة عدله القاضية بجريان الحق على أهله، ولكل صفة مقام، وكيف ما كان، فهذا الوصف من أوصاف الأفعال؛ لأنه عبارة عن إظهار كرمه وإدرار نعمه.

قال الحليمي : ومعناه أن يكره أن يردّ العبد إذا دعاه، إلا أنه لا يخاف من فعله ذمًا كما

---

(١) صحيح : الترمذي (٣٥٥٦) في الدعوات.

(٢) صحيح : متفق عليه : البخاري (٦٠٩١) في الأدب، ومسلم (٣١٣) في الحيض.

(٣) ضعيف : الترمذي (١١٦٤) في النكاح.

(٤) صحيح : أبو داود (٤٠١٢) في الأدب.

يخاف الناس، فيكرهون لذلك فعل أمور وترك أمور، فإن الخوف غير جائز عليه[١] .

وقال البيهقي : ستير بمعنى أنه ساتر يستر على عباده كثيراً ولا يفضحهم في المشاهد، كذلك يجب من عباده الستر على أنفسهم، واجتناب ما يشينهم .

ومعنى استحيا الله منه : أي جازاه على استحيائه بأن ترك عقوبته على ذنوبه[٢] .

❁ رد ابن القيم على نفاة الحياء :

والحياء عند هؤلاء من الكيفيات النفسانية، فلا يجوز عندهم وصف القديم بها، المقصود أنه كلما كانت صفات الكمال في الحيي، كان فرحه ومحبته ورضاه وغضبه ومقته أكمل؛ ولهذا كان النبي ﷺ إذا غضب لم يقم لغضبه، شيء، وفي الأثر : إن موسى كان إذا غضب اشتعلت قلنسوته، وكان أشد بني إسرائيل حياء حتى إنه لا يغتسل إلا وحده من شدة حيائه .

وإذا كانت هذه الصفات كمال، فلا يجوز سلبها عمن هو أحق بالكمال المطلق من كل أحد بمجرد تسميتها كيفيات نفسية، وأعراضاً، وانفعالات، ونحو ذلك فإن هذا من اللبس والتلبيس، وتسمية المعاني الصحيحة الثابتة بالأسماء القبيحة المنفرة، وتلك طريقة للنفاة مألوفة وسجية معروفة، وإذا عرف هذا تبين أن هؤلاء المعطلة النفاة أضاعوا حق الله الذي يستحقه لنفسه، والذي بعث به رسله وأنزل به كتبه، والذي هو أصل دينه، ومنتهى عبادته بما هم متناقضون فيه[٣] .

❁ أثر معرفة هذا الاسم :

(١) يجب على كل مكلف أن يستحيي من خالقه وذلك بألا يراه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، فإن الله عز وجل يعصم من آمن به فينزجر عن القبائح حياءً من ربه،

---

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٥٣٤ - ٥٣٦) .

(٢) البيهقي (ص ٩١)، (ص ٤٨٤)، وانظر السابق نفسه .

(٣) الصواعق المرسلة (ص ١٤٩٨) .

ومما أثر عن السلف الصالح أن كان بعضهم لا يغتسل إلا وعليه مئزر يستره أو يقوم غير منتصب، بل يتضام ما استطاع في غسله، وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء». قال: فقلنا: إنا نستحي والحمد لله، قال: «ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»[١].

(٢) ومن كثر من الله حياؤه انقبضت نفسه عن مجاهرته بالعصيان، إذ علمه معه في كل مكان، فمن عصاه فقد جاهره، ثم مهما أفشى معصيته في الخلق فعلاً وقولاً فقد أعظم المجاهرة، إذ من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله؛ ولذلك كان الحياء العزيزي محموداً في العبد لكونه منقبضاً به عن مجاهرة الخلق فيما ينكرونه من الفعل.

وعن أبي مسعود قال: قال النبي ﷺ: «إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[٢]، [٣].

(٣) ومن لاحظ جانب الله تعالى استحيا منه، أما من اطّرح الحياء فقد صنع ما شاء من القبائح والسيئات، والله تعالى يقول: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥١].

فذمهم إذا استحيوا من الخلق واجترءوا على الخالق، وفي ذلك إيثار للخلق على الخالق[٤].

❊ ❊ ❊

---

(١) حسن بشواهده: أحمد (١/ ٣٨٧)، والحاكم (٤/ ٣٢٣).

(٢) صحيح: البخاري (٦١٢٠) في الأدب.

(٣) انظر: الأسنى للقرطبي (١/ ٥٣٧ - ٥٣٩).

(٤) شجرة المعارف للعز (ص ١٧٧).

• الخافضُ الرَّافِعُ •

وليس فى القرآن خافض لا مضافًا ولا مفردًا ولا فيه فعل يشتق منه هذا الوصف، وأما رافع فلم يرد فى القرآن اسمًا بهذه الصيغة إلا أنه جاء مضافًا فى قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وورد: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾ [غافر: ١٥]، وقال: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]، وقد تقدما فى اسمه الجميل من حديث أبى موسى وفيه: « يَخْفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ »[1]، وجاء فى حديث أبى هريرة أسمان وأجمعت عليهما الأمة.

ويجوز إجراؤهما على العبد فعلين واسمين منكرين من غير خلاف، وقد قال عباس ابن مرداس للنبى ﷺ:

* وَمَنْ تَخْفِضِ الْيَوْمَ لا يُرْفَعِ *

وأقره – عليه السلام – على ذلك ورفعه.

يقال: خفض يخفض، واسم الفاعل خافض، ورفع يرفع، واسم الفاعل رافع، والمفعول منهما مرفوع ومخفوض، والخفض والرفع يستعملان عند العرب فى المكان والمكانة، والعز والإهانة. وربما ترتب أحدهما على الآخر بزيادة الدرجات فى المكان بحسب الزيادة فى المكانة. هذا الاسمان يدلان على الارتفاع والانحطاط ويتضمنان الإقبال والإعراض والقرب والبعد والعز والذل والموالاة والمعاداة وغير ذلك. وبدأ جل جلاله بالخفض قبل الرفع؛ لأن الاسمين من أسماء التعلق وعبيده سبحانه هم المعنيون بذلك فرفع المؤمنين دنيا وأخرى وخفض الكافرين والمنافقين كذلك، قال الله تعالى فى المؤمنين: ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [الفرقان: ٧٥]، وقال: ﴿ إِلَّا مَنْ آمَنَ

---

(١) صحيح: مسلم (١٧٩) فى الإيمان.

وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) ﴾ [سبأ] ، وقال : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥] ، وقيل : إنما بدأ بالخفض ؛ لأنه خلقهم أولاً في جنته ثم أهبطهم إلى أرضه ثم يرفع من يشاء منهم ويخفض كما ذكرنا ، فهذان هما الخفض والرفع والحسي ، وأما المعنوي فهو أن يضع من الأقدار ويرفعها ومنه قوله القائل :

ولا تحاد الضعيف علك أن تر كع يوماً والدهر قد رفعه

فهو سبحانه الواضع قدر من شاء والرافع المعلى لقدر من شاء ، كما روى مسلم عن عامر بن واثلة : أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على الوادي فقال : من استعملت على هذا الوادي ؟ قال : ابن أبزى ، قال : ومن ابن أبزى ؟ قال : مولى من موالينا . قال : فاستخلفت عليهم مولى ؟ قال : إنه قارئ لكتاب الله وإنه عالم بالفرائض . قال : أما نبيكم ﷺ فقد قال : « إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ »(١)، وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ في قول الله - عز وجل - : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) ﴾ [الرحمن] ، قال : « مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا وَيُفَرِّجَ كَرْبًا وَيَرْفَعَ أَقْوَامًا وَيَضَعَ آخَرِينَ »(٢). فهما أسماء الأفعال بلا خلاف يرفع من يشاء بإنعامه ، ويخفض من يشاء بانتقامه ، وعلى هذا يحمل تصريفه لعباده في حالتي عزهم وذلهم وغناهم وفقرهم وكذلك رفع الحق وحزبه وخفض الباطل وصحبه ورفع الدين وشعاره ، وخفض الكفر وآثاره ، ورفع التوحيد ودليله وخفض الإلحاد وسبيله ، ورفع القلوب لتقريبه وخفض النفوس لحكم تبعيده ورفع أولياءه بحفظ عهده وحسن وده وجميل رفده وصدق وعده ، وخفض الأعداء بصده ورده وطرده وبعده ورفع من اتبع رضاه ، وخفض من اتبع هواه . وقيل : من رضي بدون قدره رفعه الله فوق غايته ، وفي الصحيح عن النبي ﷺ : « مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا وَلاَ تَوَاضَعَ عَبْدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ »(٣).

---

(١) صحيح مسلم (٨١٧) في صلاة المسافرين .

(٢) حسن ابن ماجه : (٢٠٢) في المقدمة . (٣) صحيح الترمذي (٢٣٢٥) في الزهد .

❁ ثمرة معرفة هذا الاسم :

(١) فيجب على كل مسلم أن يعتقد أن اللَّه سبحانه هو الخافض الرافع، كما يعلم أنه يهدى من يشاء لا يشركه فى ذلك أحد. وليس المرفوع قدرًا، والمعلى شأنًا وأمرًا، والمستحق مجدًا وفخرًا من رفع الطين على الطين، وتكبر على المساكين، وتجبر على أشكاله بكثرة ماله، واستقامة أحواله، وإنما المشرف شأنًا والمعلى رتبة ومكانًا من رفعه اللَّه بتوفيقه، وأيده لتصديقه، وهداه إلى طريقه، صفى قلبه، وخلى له وجهه، وصعد إلى السماء أنينه، وصدق إلى شوقه وحنينه، وفى الصحيح عن النبى ﷺ: « **رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مَدْفُوعَ الأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ** »(١). واعلم أن المخفوض حقًا من تنكبه التوفيق والنصرة، وأدركه الخذلان والفترة، وأمرته نفسه ولم يجد خيرًا من ربه، وإن رجع إلى ربه لم يجد خطر القدرة من قلبه، وإن رجع إلى قلبه لم يجد ثقة بمناجاته، فهو بالهجران موسوم، وبين الفترات والأشغال مقسوم، يبيت فى فترة ويصبح فى حسرة فعلى هذا الرفع والخفض أمارتان للجزاء، فمن فتحت لروحه أبواب السماء فرفع واستبشر، ومن نكس إلى أسفل أبعد وأيس، وبحسب ذلك الأعمال بشارات ونذارات ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)** ﴾ [الليل] .

(٢) ويجب على من عرف هذا الاسم إن كان ذا سلطان يرفع من يرفعه اللَّه، ويبعد من أبعده اللَّه، فيُعلى أهل العلم والعمل، ويرفع أقدارهم ومنازلهم، ويخفض أهل الجهل والبطالة، والغفلة، ويخفض دين الكفر بمقاتلة المحاربين من الكافرين حتى يدخلوا فى فية هذا الدين أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ويخفض الظلمة، وأهل الجور على الأمة، وكل من يخالف الملة بمجاهرة المعصية، وكذلك يخفض أهل البدع من هذه الأمة، لزيغهم عن منهج السنة فإن لم يكن له سلطان استعمل ذلك فى المؤاخاة فيصحب

---

(١) صحيح: مسلم (٢٦٢٢) فى البر والصلة .

من رفعه اللَّه ويعظمه ويرفعه، ويجتنب من أبعده اللَّه ويخفضه، فإن لم يستطع فبالحب والبغض، فإن من الإيمان الحب في اللَّه والبغض في اللَّه[1].

❋ ❋ ❋

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٣٦٤، ٣٦٥)، والرازي (ص ٢٣١)، والعز (ص ٨٦).

• الخَالِقُ - الخَلاَّقُ •

قال اللَّه تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ [فاطر : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ﴾ [الأنعام : ١٠٢] .

قال الحليمي : معناه : - أي **الخالق** - الذي صنف المبدعات وجعل لكل صنف منها قدرًا ، فوجد منها الصغير والكبير ، والطويل والقصير ، والإنسان والبهيمة ، والدابة والطائر ، والحيوان[1] والموت ، ولا شك أن الاعتراف بالإبداع يقتضي الاعتراف بالخلق ، إذ كان الخلق هيئة الإبداع فلا يعرى أحدهما عن الآخر[2] .

فاللَّه تبارك وتعالى الخالق وكل ما سواه مخلوق ، مربوب له ، لا خالق غيره ، فجميع السموات والأرض ومن فيهن ، وما بينهما وحركات أهلها ، وسكناتهم وأرزاقهم وآجالهم ، وأقوالهم ، وأعمالهم كلها مخلوقات له ، محدثة كائنة بعد أن لم تكن ، وهو الخالق ذلك كله ، وموجده ، ومُبدئه ، ومعيده ، فمنه مبدأها وإليه منتهاها[3] .

أما (**الخلاَّق**) فقد ورد في قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [يس] .

وقال ابن القيم : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة] ، إلى قوله : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة] ، فهذا استدلال في غاية الظهور ، ونهاية البيان على جميع مطالب أصول الدين من إثبات الصانع وصفات كماله من قدرته وعلمه وإرادته وحياته وحكمته وأفعاله ، وحدوث العالم وإثبات نوعي توحيده تعالى . توحيد

---

(١) يقصد الحياة .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٢٥) .

(٣) معارج القبول (ص ١/ ٨٢) .

الربوبية المتضمن أنه وحده الرب الخالق الفاطر، وتوحيد الإلهية المتضمن أنه وحده الإله المعبود المحبوب الذى لا تصلح العبادة، والذل والخضوع والحب إلا له، ثم قرر تعالى بعد ذلك إثبات نبوة رسوله محمد ﷺ أبلغ تقرير وأحسنه وأتمه وأبعده عن المعارض، فثبت بذلك صدق رسوله فى كل ما يقوله. وقد أخبر عن المعاد والجنة والنار.

* إثبات الخلق لله تعالى وحده، وبه تثبت الألوهية :

قال الله تعالى فى غير موضع من القرآن : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف : ٨٧]، فإذا كان هو وحده الخالق، فكيف لا يكون وحده المعبود وكيف يجعلون معه شريكًا فى العبادة. وأنتم مقرون بأنه لا شريك له فى الخلق.

وهذه طريقة القرآن يستدل بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية. ثم قال : ﴿ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١]، فنبه بذلك على أنه وحده الخالق لكم ولآبائكم ومن تقدمكم، وإنه لم يشركه أحد فى خلق من قبلكم، ولا فى خلقكم، وخلقه تعالى لهم متضمن لكمال قدرته وإرادته وعلمه وحكمته وحياته، وذلك يستلزم لسائر صفات كماله، ونعوت جلاله فتضمن ذلك إثبات صفاته وأفعاله ووحدانيته فى صفاته فلا شبيه له فيها، ولا فى أفعاله فلا شريك له فيها. ثم ذكر المطلوب من خلقهم وهو أن يتقوه فيطيعونه، ولا يعصونه ويذكرونه. فلا ينسونه ويشكرونه، ولا يكفرونه فهذه حقيقة تقواه. وقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة]، قيل : إنه تعليل للأمر. وقيل : تعليل للخلق، وقيل : المعنى : اعبدوه لتتقوه بعبادته. وقيل : المعنى خلقكم لتتقوه وهو أظهر لوجوه :

أحدها : إن التقوى هى العبادة والشىء لا يكون علة لنفسه.

الثانى : إن نظيره قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات].

الثالث : إن الخلق أقرب فى اللفظ إلى قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة]، تعليلاً للأمر بالعبادة.

ونظيره قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) ﴾ [البقرة] ، فهذا تعليل لكتب الصيام ، ولا يمتنع أن يكون تعليلا للأمرين معًا وهذا هو الأليق بالآية . والله أعلم . ثم قال تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢] ، فذكر تعالى دليلاً آخر متضمنًا للاستدلال بحكمته في مخلوقاته ، فالأول متضمن لأصل الخلق والإيجاد ، ويسمى دليل الاختراع والإنشاء .

الرابع : متضمن للحكم المشهود في خلقه ويسمى دليل العناية والحكمة . وهو تعالى كثيرًا ما يكرر هذين النوعين من الاستدلال في القرآن ونظيره قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) ﴾ [إبراهيم : ٣٢ ، ٣٣] ، فذكر خلق السموات والأرض ، ثم ذكر منافع المخلوقات وحكمها . ونظيره قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ [النمل] .

ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) ﴾ [البقرة] ، وهذا كثير في القرآن لمن تأمله .

وذكر سبحانه في آية البقرة قرار العالم وهو الأرض ، وسقفه وهو السماء ، وأصول منافع العباد وهو الماء الذي أنزله من السماء ، فذكر المسكن والساكن وما يحتاج إليه من

مصالحه، ونبّه تعالى بجعله الأرض فراشًا على تمام حكمته، في أن هيأها لاستقرار الحيوان عليها، فجعلها فراشًا ومهادًا وبساطًا وقرارًا، وجعل سقفها بناءً محكمًا مستويًا لا فطور فيه ولا تفاوت ولا عيب[١]. ثم قال : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة] .

❊ ❊ ❊

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (٤/ ٣١٣) بتصرف يسير .

• الخبير - العليم •

قال اللَّه - عز وجل - : ﴿ فَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنفال] .

وقال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام] .

وقال سبحانه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك] .

فالخبير : هو الذى انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاطت بظواهرها ، فكيف يخفى على اللطيف الخبير ما تحويه الضمائر وما تخفيه الصدور[1] .

وقال الحليمى فى معنى (العليم) : إنه المدرك لما يدركه المخلوقون بعقولهم وحواسهم ، مالا يستطيعون إدراكه من غير أن يكون موصوفاً بعقل أو حس ، وذلك راجع إلى أنه لا يعزب ولا يغيب عنه شيء ، ولا يعجزه إدراك شيء ، كما يعجز عن ذلك من لا عقل له أو لا حس له من المخلوقين ، ومعنى ذلك أنه لا يشبههم ولا يشبهونه .

وقال أبو سليمان (الخطابى) : العليم هو العالم بالسرائر والخفيات ، التى لا يدركها علم الخلق ، وجاء على بناء فعيل للمبالغة فى وصفه بكمال العلم[2] .

والنصوص فى ذكر إحاطة علم اللَّه وتفصيل دقائق معلوماته كثيرة جداً لا يمكن حصرها وإحصاؤها ، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، وأنه لا يغفل ولا ينسى ، وأن علوم الخلائق على سعتها وتنوعها إذا نسبت إلى قدرة اللَّه لم يكن لها نسبة إليها بوجه من الوجوه ، فهو الذى علمهم مالم يكونوا يعلمون ، وأقدرهم على ما لا يكونوا عليه قادرين ، وكما أن علمه محيط بجميع العالم العلوى والسفلى ، وما فيه من المخلوقات ذواتها ، وأوصافها وأفعالها ، وجميع

---

(١) الصواعق المرسلة (ص ٤٩١) لابن القيم .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٤٥) .

أمورها، فهو يعلم ما كان وما يكون في المستقبلات التي لا نهاية لها، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، ويعلم أحوال المكلفين منذ أنشأهم، وبعد ما يميتهم، وبعد ما يحييهم قد أحاط علمه بأعمالهم كلها خيرها وشرها، وجزاء تلك الأعمال وتفاصيل ذلك في دار القرار (١).

فالله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم السفلي وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء (٢).

* ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة والعلم:

إن الله سبحانه الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، ولا ينزله في غير منزله، التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فلا يضع الحرمان والمنع موضع العطاء والفضل، ولا الفضل والعطاء موضع الحرمان والمنع، ولا الثواب موضع العقاب، ولا العقاب موضع للثواب، ولا الخفض موضع الرفع، ولا الرفع موضع الخفض، ولا العز مكان الذل، ولا الذل مكان العز، ولا يأمر بما ينبغي النهي عنه، ولا ينهى عما ينبغي الأمر به.

فهو أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلم بمن يصلح لقبولها، ويشكره على انتهائها إليه ووصولها. وأعلم بمن لا يصلح لذلك ولا يستأهله. وأحكم من أن يمنعها أهلها، وأن يضعها عند غير أهلها.

فلو قدر عدم الأسباب المكروهة البغيضة له لتعطلت هذه الآثار، ولم تظهر لخلقه، ولفاتت الحكم والمصالح المترتبة عليها، وفواتها شر من حصول تلك الأسباب.

فلو عطلت تلك الأسباب - لما فيها من الشر - لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب. وهذا كالشمس والمطر والرياح التي فيها من المصالح ما هو

(١) الحق الواضح المبين (ص ٣٧، ٣٨)، وشرح النونية (٢/ ٧٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥/ ٦٢١).

أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر والضرر . فلو قدر تعطيلها - لئلا يحصل منها ذلك الشر الجزئي - لتعطل من الخير ما هو أعظم من ذلك الشر بما لا نسبة بينه وبينه[1] .

* ثمرة معرفة هذا الاسم :

(١) أن يكون العبد شديد البحث والفحص عن محاسن الأخلاق ومفاتحها، وعدم الاغترار بعلمه، وبتلبيس إبليس[2] .

(٢) الخوف من مولاك وحياؤك منه، في أقوالك وأعمالك وسائر أحوالك .

(٣) العلم بصفات الله، وأحكامه، وحلاله وحرامه، والعلم بكل ما يقربك إليه، ويزلفك لديه، مما فرضه عليك، أو ندبك إليه[3] .

ومنه : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] .

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٨) ﴾ [المائدة] .

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاقُوهُ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] .

﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الحديد : ١٧] .

* * *

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٨٤) .

(٢) الرازي (ص ٢٤٢) .

(٣) شجرة المعارف : للعز بن عبد السلام(ص ٧٣ ، ٧٤) .

• ذو الجلال والإكرام ـ الجليل •

لم يرد لفظ الجليل فى القرآن ولكنه ورد ذو الجلال والإكرام، وهو وارد فى سورة الرحمن مرتين :

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) ﴾ [الرحمن] .

﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨) ﴾ [الرحمن] .

ومعناه المستحق للأمر والنهى ، فإن جلال الواحد فيما بين الناس إنما يظهر بأن يكون له على غيره أمر نافذ لا يجد من طاعته فيه بدًا، فإذا كان من حق البارى جل ثناؤه على من أبدعه أن يكون أمره عليه نافذًا ، وطاعته لازمة ، وجب اسم الجليل حقًا ، وكان لمن عرفه أن يدعوه بهذا الاسم ، وبما يجرى مجراه ، ويؤدى معناه .

قال أبو سلمان : هو من الجلال والعظمة ، ومعناه منصرف إلى جلال القدر ، وعظم الشأن ، فهو الجليل الذى يصغر دونه كل جليل ، وتضع معه كل رفيع[1] .

وذو الجلال والإكرام هو الذى جلّ فى علو صفاته أن يشرف عليه أحد ، وتعذر بكبريائه أن يعرف كمال جلاله حينئذ .

وقال القرطبى : ومعنى : (ذى الجلال والإكرام) : الكريم ، وفى الحديث : « **أَلِظُّوا بِيَاذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** »[2] . ومعنى جلاله سبحانه : استحقاقه لوصف العظمة ونعت الرفعة ، والمتعالى عزًا ومتكبرًا وتنزهًا عن نعوت الموجودات ، فجلا له إذا صفة استحقها لذاته .

---

(١) الأسماء والصفات (ص ٢٣) .

(٢) صحيح : الحاكم (١/ ٤٩٩) ، وصححه ووافقه الذهبى .

وأما ذو الإكرام : فهو مصدر أكْرمَ وهو (مُكْرِمٌ) ففيه معنى الانقسام إلا أنه أخَصُّ من لفظة الإنعام؛ لأن المنعم قد ينعم تفضلاً على من ليس بكريم ولا مكرم عنده كإنعامه على العاصي والمخالف، فهذا الانقسام لا يسمى إكرامًا، فإذا أسدى المنعم نعمته إلى من يَعَزُّ عنده وله حب لديه ومودة. قيل : أكْرَمهُ منه ما سمّى به على الأولياء من النعم كرامات الأولياء لقدرهم عنده، ومنزلتهم لديه، فهو سبحانه ينعم على من يكرم ومن لا يكرم إلا من عليه في الآخرة ينعم .

وإكرام الله تعالى للعبد يكون معجلاً في الدنيا، ومؤجلاً في الآخرة، ويكون عمومًا في الخليقة، وخصوصًا لأهل الحقيقة[1] . ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

فذو الجلال والإكرام : هو الذى لا جلال ولا كمال إلا وهو له، ولا كرامة ولا مكرمة إلا وهي صادرة منه، فالجلال له في ذاته، والكرامة فائضة منه على خلقه وفنون إكرامه خلقه لا تكاد تنحصر[2] .

❊ ثمرة معرفة هذا الاسم :

أن تحسن كما أحسن الله إليك، وأنعم كما أنعم الله عليك، وعليك بالصفح الجميل، والهجر الجميل، والصبر الجميل، والبر الجزيل، مرضاة للملك الجليل، ولا تنسى الفضائل، فإن مولاك يقول : ﴿ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٣٧] .

فصل من قطعك، وأعط من منعك، واعف عمن ظلمك[3] ، واصبر على من سبّك وشتمك، وأحسن كما أحسن الله إليك، وأحسن إلى من أساء إليك[4] .

❊ ❊ ❊

---

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ١٣٣ ، ١٣٤) .

(٢) المقصد الأسنى للغزالي (ص ١٠٢) .

(٣) حسن : الهيثمي (٨/ ١٨٨) في المجمع وعزاه لأحمد وقال : وأحد إسنادى أحمد رجاله ثقات .

(٤) الشجرة للعز (ص ٨٥) .

• ذو الطَّـــوْل •

قال اللَّه - عز وجل - : ﴿ ذِى الطَّوْلِ ﴾ [غافر : ٣] .

قال الحليمي : ومعناه الكثير الخير لا يعوزه من أصناف الخيرات شيء، إن أراد أن يكرم به عبده، وليس كذا ذي الطول من عباده، قد يحب أن يجود بالشيء فلا يجده .

وعن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - في قوله : ﴿ ذِى الطَّوْلِ ﴾ [غافر : ٣]، يعني : ذا السعة والغنى[1] .

وقال ابن كثير في معنى ذي الطول :

- هو ذو السعة والغنى .

- وذي المن .

- وذي النعم والفواضل .

- وهو المتفضل على عباده المتطول عليهم بما هم فيه من المنة والإنعام التي لا يطيقون القيام بشكرها[2] : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

وقال القرطبي في نفس المعنى :

- ذو الطول هو ذو الغنى عمن يقول لا إله إلا اللَّه .

- وهو ذو المن، وذو العفو عن الذنب والتفضل إحسان غير مستحق .

والطَّوْل مأخوذ من الطُّول كأنه طال بإنعامه على غيره، وقيل : لأنه طالت مدة إنعامه[3] .

---

(١) البيهقي (ص٤٣) في الأسماء والصفات .

(٢) ابن كثير (٧/ ٩٥) في تفسيره .

(٣) القرطبي (٨/ ٥٩٣٩) في التفسير .

• ذو الانتقام - المنتقم •

نطق به القرآن فقال : ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ [آل عمران] .

وفي التنزيل : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الدخان] .

وقال : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴾ [المائدة : ٩٥] .

وأجمعت الأمة عليه، وليس من أسماء التضرع والابتهال[1] .

والمنتقم هو : الذى يقصم ظهور العتاة، وينكل بالجناة، ويشدد العقاب على الطغاة وذلك بعد الإعذار والإنذار، وبعد التمكين والإمهال، وهو أشد للانتقام من المعاجلة بالعقوبة، فإنه إذا عوجل بالعقوبة لم يمعن فى المعصية فلم يستوجب غاية النكال فى العقوبة[2] .

ويجوز إجراؤه على المخلوق قال الله - عز وجل - : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ [البروج] . ولا خلاف فيه، ووصف نفسه سبحانه بأنه منتقم، ولم يصف نفسه بأنه غاضب، وإن كان الفعل قد تكرر فى القرآن فى مواضع كثيرة، ثم إن الغضب فى وضعه سبحانه قد يكون عين الانتقام، فتسد هذه الصفة مسد صفة الغاضب، ويكون الغضب على هذا من صفات الأفعال .

وقد يرجع وصفه بالغضب إلى إرادة الانتقام فيكون من صفات الذات المتضمنة فى وصفه بالمنتقم، والانتقام إنزال بلاء بأهل العتو والإجرام، ومنتقم اسم الفاعل من النقمة، ويقال : (نَقْمَة ونِقْمَة)، ويقال فى الماضى : (نقم) بفتح القاف أو كسرها، ويقال : ينقم : بفتح القاف وكسرها فى المستقبل، ويروى بفتح القاف من ينقم وبكسرها

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٤٨٤) .

(٢) المقصد الأسنى للغزالى (ص ١٠٠) .

وتقول : انتقم ينتقم . ومنه قول عائشة - رضى الله عنها - : « ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها »[١] . واسم الفاعل منتقم، والمصدر النقمة والانتقام[٢] .

* وللنقم معان أربعة :

الأول : التعدى .

الثانى : الأخذ .

الثالث : الذم والإنكار للأفعال القبيحة .

الرابع : المكافأة بالعقوبة .

كما قال تعالى : ﴿ **فلما آسفونا انتقمنا منهم** ﴾ [الزخرف : ٥٥] .

فأما قولهم : ﴿ **وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا** ﴾ [الأعراف : ١٢٦]، فتحتمل معنيين : تنكرون علينا، أو تأخذون علينا وما أشبه ذلك . وقوله - عليه السلام : « **ما نقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله** »[٣] . معناه ما يطيغه . وقوله سبحانه : ﴿ **وما نقموا منهم** ﴾ [البروج : ٨]، يحتمل الوجهين فى تنقمون . والانتقام يكون بالأعراض وبالأقوال وبالأفعال، وكل ذلك بيّن فى الشرع بحسب المنتقم منه وجنايته . وإذا كان هذا فهو سبحانه منتقم بكلامه في ذم الكفار ولعنه لهم، وهو منتقم منهم بعقوبته، فتارة يكون من صفات الذات، وتارة يكون من صفات الفعل على ما ذكرنا . فالمنتقم من له انتقام واقع أو محذور مترقب، ويتضمن كل صفة يفتقر إليها الفعل . وانفرد سبحانه بمضمون هذا الاسم لأربعة أوجه :

أحدها : عموم انتقامه لكل من كذب أو أشرك، ولا يصح ذلك من غيره فانتقامه يكون على هذا الوجه لنكوص العبد عن طاعته، والتخلف عن استجابته له ولرسوله .

---

(١) صحيح : متفق عليه : البخارى (٣/ ٣٣١) فى المناقب، ومسلم (٢٣٢٧) فى الفضائل .

(٢) الأسنى للقرطبى (١/ ٤٨٨ ، ٤٨٩) .

(٣) الحديث : رواه أحمد (٢/ ٣٢٢) .

الثانى : دوام مجازاته ولا محيص لمخلوق عما أراد به .

الثالث : أن انتقامه ليس بموقوف على أذى غيره .

الرابع : أنه غير محتاج إلى أعوان فيما يريده من ذلك[١] .

* ثمرة معرفة هذا الاسم :

(١) الخوف من انتقامه تعالى ، وللولاة أن ينتقموا من الجناة بالحدود والتعزيرات والعقوبات المشروعات[٢] .

(٢) ويكون انتقام العبد محموداً إذا كان من أعدائه ، وأعدى أعدائه نفسه التى بين جنبيه ، فلا جرم عليه أن ينتقم منها .

(٣) ومن عرف عظمته سبحانه خشى نقمته ، ومن عرف رحمته رجا نعمته[٣] .

(٤) فيجب على كل مسلم أن يعلم أن لا منتقم على الحقيقة إلا اللَّه تعالى ، فما كان من فعل اللَّه سبحانه بغير واسطة سببًا فلا إشكال فيه ، وما كان بسبب عادى فلا أثر للسبب كما تقدم فى غير موضع ؛ لأن اللَّه سبحانه خالق الانتقام وخالق السبب . ثم يجب على كل مسلم جعل له الانتقام ألا يتعدى فى انتقامه ما حدّه له خالقه سبحانه . فإن كان منتصراً للَّه سبحانه أو قائمًا بحد من حدود اللَّه فعله على مقتضى الشرع ، وكان له فى ذلك الأجر[٤] .

* * *

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٤٨٨ ، ٤٨٩) .

(٢) الشجرة (ص ٨٦) للعز .

(٣) الرازى (ص ٣٢٥) .

(٤) الأسنى للقرطبى (١/ ٤٨٩ ، ٤٩٠) .

• الــرازق ـ الــرزّاق •

قال تعالى : ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) ﴾ [المائدة] .

وقال : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢) ﴾ [البقرة] .

وقال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [العنكبوت : ٦٠] .

ورزق يرزق فهو رازق، ورزّاق للمبالغة، والرزق ما انتفع به والجمع أرزاق .

والرزق : العطاء، هو مصدر رزقه اللَّه .

والرّزقة بالفتح : المرة الواحدة، والجمع الرزقات، وهي اجتماع الجند، وارتزق الجند، أخذوا أرزاقهم[(١)] .

وقال الحليمي : ومعناه المفيض على عباده مالم يجعل لأبدانهم قوامًا إلا به، والمنعم عليهم بإيصال حاجتهم من ذلك إليهم؛ لئلا ينغص عليهم لذة الحياة بتأخره عنهم، ولا يفقدوها أصلاً لفقدهم إياه[(٢)] .

والرزّاق مذكور في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴾ [الذاريات] .

والرزّاق : صيغة مبالغة للدلالة على الكثرة .

قال الحليمي : هو الرازق رزقًا بعد رزق، والمكثر الموسع له .

وقال الخطابي : الرزاق هو المتكفل بالرزق، والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها . قال : وكل ما وصل إليه من مباح وغير مباح فهو رزق اللَّه، على معنى أنه قد

---

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٢٧٨، ٢٧٩) .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٦٦) .

جعله له قوتًا ومعاشًا، قال الله عز وجل : ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [ق]. وقال : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الذاريات]. إلا أن الشيء إذا كان مأذونًا له في تناوله فهو حلال حكمًا، وما كان منه غير مأذون فهو حرام حكمًا، وجميع ذلك رزق [١] .

* رزق الله تعالى للعباد :

وأما رزق الله تعالى لعباده فإنه يقع على نوعين : عام وخاص .

(١) فالعام : إيصاله لجميع الخليقة جميع ما تحتاجه في معاشها وقيامها، فسهل لها الأرزاق، ودبرها في أجسامها، وساق إلى كل عضو صغير وكبير ما يحتاجه من القوت، وهذا عام للبرّ والفاجر، والمسلم والكافر، بل للآدميين والجن والملائكة والحيوانات كلها. وعام أيضًا من وجه آخر في حق المكلفين، فإنه قد يكون من الحلال الذي لا تبعة على العبد فيه، وقد يكون من الحرام، ويسمى رزقًا، ونعمة بهذا الاعتبار، ويقال : (رزقه الله) سواء ارتزق من حلال أو حرام، وهو مطلق الرزق .

(٢) وأما الرزق المطلق : فهو النوع الثاني، وهو الرزق الخاص، وهو الرزق النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة، وهو الذي على يد الرسول ﷺ وهو نوعان :

أ - **رزق القلوب** : بالعلم والإيمان وحقائق ذلك، فإن القلوب مفتقرة غاية الافتقار إلى أن تكون عالمة بالحق مريدة له متألهة لله متعبدة، وبذلك يحصل غناها ويزول فقرها [٢] .

وقد ذكر القشيري أن هذا الرزق وهي أرزاق القلوب : معارف وعلوم، وتنقسم إلى : صافية، وخبيثة، فالعلوم الصافية : هي التي تحل في القلوب بوساطة الملائكة، والخبيثة تحل بوساطة الشياطين. وكما أن الله سبحانه يبسط الرزق الظاهر على من يشاء

---

[١] البيهقي (ص ٦٦) في الأسماء والصفات، والأسنى (١/ ٢٧٩ ، ٢٨٠) .

[٢] الحق الواضح المبين (ص ٨٥ ، ٨٦) وشرح النونية للهراس (٢/ ١٠٨) .

ويقدر، ويقطعه عنه فيموت، كذلك يفعل فى أرزاق القلوب، فواحد يهبه من العلم ما لو قسّم نوره على أهل الأرض لوسعهم، وآخر يعطيه مايه قوام نفسه لا يتعدى إلى غيره، وآخر مغلوب عنه قد مات قلبه فلا فرق بينه وبين البهيمة [(١)] .

ب - ورزق البـــدن : بالرزق الحلال الذى لا تبعة فيه، فإن الرزق الذى خصّ به المؤمنين والذى يسألونه منه شامل للأمرين، فينبغى للعبد إذا دعا ربه فى حصول الرزق أن يستحضر بقلبه هذين الأمرين، فمعنى : (اللهم ارزقنى) أى : ما يحصل به قلبى من العلم والهدى والمعرفة، ومن الإيمان الشامل لكل عمل صالح، وخلق حسن، وما به يصلح بدنى من الرزق الحلال الهَنِىّ الذى لا صعوبة فيه ولا تبعة تعتريه [(٢)] .

* ثمرة معرفة هذا الاسم :

(١) إذا عُرِف هذا الأسم، تعبد العبد به، ومن آداب العبودية : أن يرجع العبد إلى ربه فى طلب كل ما يريده، ألا ترى موسى عليه السلام طلب الرؤية من ربه وهى أعظم المقامات؛ فقال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣]، ولما جاع طلب الرغيف، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص]، فطلب النفيس والخسيس من مولاه [(٣)] ، ولا ينتظر العبد الرزق إلا منه، ولا يتوكل فيه إلا عليه، كما روى عن حاتم الأصم أنه قال له رجل : من أين تأكل ؟ فقال : من خزائنه، فقال الرجل : أيُلْقى عليك الخبز من السماء؟- فقال : لو لم تكن الأرض له لكان يلقيه من السماء، فقال الرجل : أنتم تؤلون الكلام. فقال : لأنه لم ينزل من السماء إلا الكلام، فقال الرجل : أنا لا أقوى على مجادلتك، فقال : لأن الباطل لا يقوم مع الحق [(٤)] .

(٢) وعلى ذلك فيجب على كل مسلم أن يعلم أن لا رازق ولا رزاق إلا اللّه تعالى

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٢٧٩) .

(٢) الحق الواضح المبين (٨٥ ، ٨٦)، شرح النونية للهراس (٢/ ١٠٨) .

(٣) الرازى (ص ٢٢١) .

(٤) المقصد الأسنى للغزالى (ص ٥٦ ، ٥٧) .

على الإطلاق وحده. وغيره إن رزق وأعطى فإنما يرزق من رزق الذى أعطى. فارزق مما رزقك اللَّه يأتك الخلف من اللَّه: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ [سبأ: ٣٩]، ومهما در عليك من الرزق الظاهر فوق القوت، فلا تدخره فى مخادع البيوت، واخزنه فى سرادق الملكوت يزدد نماءً.

(٣) فما أقبح بالمرء أن يكون بطنه مملوءًا وأنه لا يبق له من الجوع دماء، ثم إذا أعوزك الرزق فلا تطلبه بكثرة الحرص، فلن يزيدك فى الرزق المقدر إلا ما قسمه لك وقدر. فاطلب منه أعلاه وأجله، وأصفاه وأحلّه، قال ﷺ: « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِى رَوْعِى أَنَّه لاَ تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِى الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حَرُمَ »[1].

فإذا سلكت هذه المذاهب كنت معلقًا بالرازق من كل جانب وانتفعت بالرزق، وانتفع بك غيرك، حيث لم ينقبض عنهم خيرك، وضوعف لك الرزق الباطن والظاهر فى المنزل الطاهر فى المقعد الصدق عند الملك القادر[2].

***

---

(١) صحيح: صححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٨٥).

(٢) الأسنى للقرطبى (١/ ٢٨٤).

• الرَّاشِدُ وَالرَّشِيدُ وَالمُرْشِدُ •

أشار إليها التنزيل فقال : ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) ﴾ [الكهف] ، وقال : ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) ﴾ [الكهف] .

ويجوز إجراؤهما على العبد من غير خلاف . قال الله مخبرًا عن قوم شعيب : ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) ﴾ [هود] ، يقال : رشد يرشد فهو راشد ورشيد للمبالغة ، ورشد بالكسر يرشد رشدًا لغة فيه ، وأرشد غيره لذا هداه يرشده فهو مرشد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) ﴾ [الكهف] ، وقال تعالى : ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾ [النساء : ٦] .

والرشد والهدى متقاربان ، أو هماهما[(١)] .

وقيل : الرشد هو الاستقامة وضد الغي ، وهو الرشيد الراشد الذى له الرشد ، فهو حكيم فى أفعاله ليس فيها عبث ولا باطل ، وهو الذى أسعد من شاء بإرشاده ، وأشقى من شاء بإبعاده ، وهو الذى لا يوجد سهو فى تدبيره ، ولا لهو فى تقديره[(٢)] . وهو سبحانه الذى تنساق تدبيراته إلى غاياتها عن سنن السداد من غير إشارة مشير ، وتسديد مسدد ، وإرشاد مرشد ، وهو الله تعالى ، ورُشد كل عبد بقدر هدايته فى تدبيراته إلى إصابة مشاكلة الصواب من مقاصده في دينه ودنياه[(٣)] .

والرشد قد يكون وصفًا ذاتيًا لله تعالى وقد يكون سلبيًا ، وقد يكون فعليا . أما كونه ذاتيًا فراجع إلى العلم والإرادة ؛ لأن الرشد فى اللسان يقع على العالم بما يقدم ويؤخر فيتصف الله تعالى به من طريق كمال علمه وإتقان صنعه ووجود العالم منه على النظام

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٤٧١ ، ٤٧٢) .

(٢) الرازى (ص ٣٣٨) .

(٣) المقصد الأسنى للغزالى (ص ١٠٨) ، ونقله عنه القرطبى فى الأسنى (١/ ٤٧٣) .

الجميل، الذى هو عليه على ما اقتضاه علمه الرشيد. وأما كونه من صفات السلب فهو بمعنى تعاليه وتقدُّسه عن السَّفَه وصفات النقص التى تشوب المخلوق، إذا عدم الرشد فى العلم والعمل، وأمَّا كونه من صفات الأفعال فيكون فعيلاً بمعنى مفعل. وقد اختلف فى تأويل وزن رشيد. فقيل: فعيل بمعنى مفعول، وقيل: رشيد بمعنى أنه ذو رشد فيكون فعيل بمعنى فاعل كرحيم من راحم وسميع من سامع، وقيل: رشيد فعيل بمعنى مفعل أرشد يرشد إرشادًا فهو مرشد ورشيد.

قال الحليمى: الرشيد المرشد، ومعناه الدالُّ على المصالح والداعى لها. وهذا من قوله تعالى: ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) ﴾ [الكهف]، فإن مهيئ الرشد مرشد، وقال: ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) ﴾ [الكهف]، فكان ذلك دليلاً على أن من هداه فهو وليُّه ومرشده.

وقال ابن الحصَّار: وهذا الاسم يقارب معناه حكيم؛ لأن الحكيم هو الذى يضع الأمور مواضعها، وكذلك الرشيد، وهو المصيب فى أفعاله المستقيم التدبير، إلا أن الرشد مؤذنٌ بتوفير حظ النفس والبداية بها قبل الغير، وبهذا يفارق معنى حكيم؛ لأن الحكمة تُشعِر بذلك من حيث اللفظ[(١)].

* ثمرة معرفة هذا الاسم:

يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه هو المرشد الراشد على الإطلاق فى جميع ما ذرأ، وأنه أرشد الخلق إلى طريق الحق وإلى المصالح التى ينتظم بها وجودهم. فهو أرشد الملائكة والأنبياء والأولياء والمؤمنين إلى معرفته بما وهبهم من اليقين. وهو أرشد الخلق إلى طلب قوام بنيتهم، وليس ذلك مخصوصًا بالإنسان، بل ذلك عامٌّ فى جميع الحيوان، فسبحان من أرشد الصغار من الأطفال والبهائم إلى المنافع، كالتقام الثدى ومصّ الضّرع، والعنكبوت لنسج تلك البيوت، والنحل لصنعة ذلك الشكل، والفرخ ليفقأ البيضة عند انتهاء أمره، والجنين للخروج من بطن أمه، بل أرشد المطر للانصباب،

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٤٧٣).

والنار للإحراق، والماء للإرواء، وقس على هذا، فكل موجود في الأرض والسماء جارٍ على منهج السداد، ومن سبحانه جاء بالرشاد .

وأعظم الرشاد إرشاد عباده المؤمنين إلى دينه، ودين ملائكته ورسله، وما حوته كتبه، ذلك الدين القيم فعليه أن يحسن معاملة مولاه بما أمره به، وعنه نهاه، وهذا غاية الرشد، يدل عليه قوله ﷺ في خطبة خطبته : « **مَنْ يُطِعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ، وَلاَ يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا** »[١] .

قد بيّن ﷺ أن الرشد في طاعة اللَّه، والغي في معصيته، وعليه أن يرشد عباد اللَّه ويهديهم حتى لا يألفوا أعاديهم - وهي : أي الأعادي - كل ذات وصفة من الصفات التي تصدهم عن طاعة اللَّه وعبادته، وتوقعهم في حبائل العصيان ومهواته، فإذا اتصف بهذه الصفات تسمى عند اللَّه رشيداً، ونال منه حظًا مجيداً، ولله عليه في هذه المنة والفضل كما امتن على إبراهيم[٢] . فقال : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ** ﴾ [الأنبياء : ٥١] .

* * *

---

(١) صحيح : مسلم (٨٧٠) في الجمعة .

(٢) الأسنى للقرطبي (١/ ٣٧٣ ، ٣٧٤) .

• الـــرَّبّ •

قال اللَّه - عز وجل - : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) ﴾ [الفاتحة] .

وعن العباس - رضى اللَّه عنه - أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول : « ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولاً »[1] .

قال الحليمى : فى معنى (الرب) : هو المبلغ كل ما أبدع حد كماله الذى قدر له فهو يسل النطفة من الصلب ثم يجعلها علقة ، ثم العلقة مضغة ، ثم يخلق المضغة عظامًا ، ثم يكسو العظام لحمًا ، ثم يخلق الروح فى البدن ، ويخرجه خلقًا آخر ، وهو صغير ضعيف ، فلا يزال ينميه وينشيه حتى يجعله رجلاً ، ويكون فى بدء أمره شابًا ، ثم يجعله كهلاً ، ثم شيخًا وهكذا كل شىء خلقه ، فهو القائم عليه ، والمبلغ إياه الجسد الذى وضعه له ، وجعله نهاية ومقدارًا له .

وقال أبو سليمان فيما أخبرت عنه : قد روى غير واحد من أهل التفسير فى قوله - جل وعلا - : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) ﴾ [الفاتحة] ، إن معنى الرب السيد ، وهذا يستقيم إذا جعلنا العالمين معناه المميزون دون الجماد ؛ لأنه لا يصح أن يقال : سيد الشجر والجبال ونحوها . كما يقال : سيد الناس ، ومن هذا قوله : ﴿ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف : ٥٠] ، أى : إلى سيدك .

وقيل : إن الرب المالك ، وعلى هذا تستقيم الإضافة إلى العموم ، وذهب كثير منهم إلى أن اسم العالم يقع على جميع المكونات ، واحتجوا بقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) ﴾ [الشعراء] .

---

(١) صحيح : مسلم (٣٤) فى الإيمان . وانظر : الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٧٣ ، ٧٤) .

والرب: المصلح والجابر والمدبر والقائم .

قال الهروى وغيره : ويقال لمن قام بمصالح شيء وإتمامه : قد ربه يربه فهو رب ، ومنه سمى الربانيون لقيامهم بالكتب وإصلاح الناس بها . ومنه الحديث : « **هل لك من نعمة تربيها عليه** » أى : تقوم بها .

وهو يرجع إلى معنى الإصلاح يقال : ربيت الزق بالرُّب[(١)] ، والربُّ : السلاف الخاثر من كل الثمار ، ويقال من ذلك : ربيت الزق ، بالقير[(٢)] ، والرّب المعبود يدل عليه حديث عذاب القبر : « يقال له : مَنْ ربك؟ » المراد : مَنْ مَعْبودك؟[(٣)] .

فاللَّه سبحانه رب الأرباب ، ومعبود العُباد ، يملك الممالك والمملوك وجميع العباد ، وهو خالق ذلك ورازقه ، وكل رب سواه غير خالق ولا رازق . وكل مخلوق فمملك بعد أن لم يكن ، ومنتزع ذلك من يده ، وإنما يملك شيئًا دون شيء ، وصفة اللَّه تعالى مخالفة لهذا المعنى ، فهذا الفرق بين صفات الخالق والمخلوقين ، فأما قول فرعون - لعنه اللَّه - إذ قال : ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ** ﴿٢٤﴾ ﴾ [النازعات] ، فإنه أراد أن يستبد بالربوبية العالية على قومه ويكون رب الأرباب ، فينازع اللَّه في ربوبيته وملكه الأعلى : ﴿ **فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ** ﴿٢٥﴾ ﴾ [النازعات] ، وقد قيل : إن الرب مشتق من التربية فاللَّه سبحانه مدبر لخلقه ومربيهم ومصلحهم وجابرهم ، القائم بأمورهم ، قيوم الدنيا والآخرة ، كل شيء خلقه ، وكل مذكور سواه عبده ، وهو سبحانه ربه ، لا يصلح إلا بتدبيره ، ولا يقوم إلا بأمره ، ولا يربه سواه . ومن هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ **وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ** ﴾ [النساء : ٢٣] ، فسمى ولد الزوجة ربيبة لتربية الزوج لها . فعلى أنه مُدَبِّر لخلقه ومربيهم ومُصلحهم وجابرهم يكون صفة فعل . وعلى أن الرب المالك والسيد يكون صفة ذات[(٤)] .

---

(١) أي : دهنته ومتنته .   (٢) القير : القار .

(٣) **صحيح** : رواه الطيالسى (٧٥٣) في مسنده . وانظر التذكرة (ص ١١٦) بتحقيقنا من مطبوعات دار الفجر للتراث

(٤) الأسنى للقرطبي (١/ ٣٩٤ ، ٣٩٥) .

*** من مظاهر ربوبيته سبحانه :**

فهو سبحانه المالك المتصرف فى ملكه، والسيد المطاع، والمربى الذى يسوس مربوبه ويربيه ويدبره كيف وكما شاء .

والله عز وجل رب كل شىء ومليكه، رب الأولين والآخرين، رب المشرقين ورب المغربين، ورب السموات والأرضين ومابينهما، رب العالمين، رب الآخرة والأولى، مالك الملك فلا شريك له فى ملكه، يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويسعد من يشاء، ويشقى من يشاء، ويخفض من يشاء، ويرفع من يشاء، ويعطى من يشاء، ويمنع من يشاء، ويصل من يشاء، ويقطع من يشاء، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدره على من يشاء، ويخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء إناثًا، ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذُكرانًا وإناثًا، ويجعل من يشاء عقيمًا، إنه عليم قدير، يولج الليل فى النهار، ويولج النهار فى الليل، ويخرج الحى من الميت، ويخرج الميت من الحى، ويحيى الأرض بعد موتها، وسخّر الشمس والقمر كلٌ يجرى لأجل مسمى، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون، خلق فسَوَّى، وقدر فهدى، وأضحك وأبكى، وأمات فأحيا، وخلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تُمنى، وأغنى، وأقنى، وأوجد، وأفنى، يبدئ ويعيد، ويفعل ما يريد، رفع سَمْكَ السماء فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، وبسط الأرض ودحاها، فراشًا لعباده ومهادًا، ونصب الجبال عليها أوتادًا، وسخّر الفلك تجرى فى البحر بأمره، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فالق الإصباح وجعل الليل سكنا، والشمس والقمر حسبانًا، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار وكلٌ فى فلك يسبحون، الذى أحسن كل شىء خلق، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون، خالق السكون وما فيه، وجامع الناس ليوم لاريب فيه، مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج، وجعل بينهما برزخًا وحجرًا محجورًا، وأسبغ على عباده نعمه الظاهرة والباطنة، وجعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، علّم وألهم، ودبّر

فأحكم، وقضى فأبرم، لا رادّ لقضائه، ولا مُضاد لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا شريك له في ملكه، ولا إله غيره، ولا رب سواه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(١) .

* ثمرة معرفة هذا الاسم :

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن لا رب له على الحقيقة إلا الله وحده، وأن يحسن تربية من جُعلَتْ تربيته إليه، فيقوم بأمره ومصالحه كما قام الحق به، فيرقيه شيئًا شيئًا، وطورًا طورًا، ويحفظه ما استطاع جهده كما حفظه الله .

قال ابن عباس وسئل عن الرباني فقال : هو الذي يعلم الناس بصغار الأمر قبل كباره. فالعالم الرباني هو الذي يحقق علم الربوبية، ويربي الناس بالعلم على مقدار ما يحتملونه فيبذل لخواصهم جوهره ومكنونه، ويبذل لعوامهم ما ينالون به فضل الله ويدركونه، ثم عليه أن يدعو ربه بهذا الاسم العظيم، فيقول : ﴿ **رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي** ﴾ [القصص: ١٦]، إلى غير ذلك من الآي حسبما تقدم. ولا يتحلى به، ولا يصف نفسه به، فقد صح عن النبي ﷺ : « **لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي وَلاَ يَقُلِ الْمَمْلُوكُ: رَبِّي وَرَبَّتِي وَلْيَقُلِ الْمَالِكُ: فَتَايَ، وَفَتَاتِي وَلْيَقُلِ الْمَمْلُوكُ: سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي أَنْتُم الْمَمْلُوكُونَ وَالرَّبُّ اللَّهُ** »(٢)،(٣) .

* * *

---

(١) معارج القبول (١/ ٨٠ ، ٨١) .

(٢) صحيح : أبو داود (٤٩٧٥) في الأدب .

(٣) الأسنى للقرطبي (١/ ٣٩٥ ، ٣٩٦) .

• الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ •

قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) ﴾ [الفاتحة] .

وقال تعالى : ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) ﴾ [فصلت] .

وقال جلّت قدرته فى فواتح السور غير التوبة : (بسم اللَّه الرحمن الرحيم) .

وقال - جلّ وعلا - : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ [الإسراء : ١١٠] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) ﴾ [الأحزاب] .

وفى حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال اللَّه - عز وجلّ - : « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى، فإذا قال : الحمد للَّه رب العالمين . قال : حمدنى عبدى . وإذا قال : الرحمن الرحيم . قال : أثنى علىّ عبدى ..... » الحديث [١] .

الرحمن الرحيم : اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم .

والرحمن الرحيم : اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التى وسعت كل شىء ، وعمت كل حى ، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله ، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة ، ومن عداهم فلهم نصيبهم منها [٢] .

قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ﴾ [الأعراف] .

قال الخطابى : الرحمن ذو الرحمة الشاملة التى وسعت الخلق فى أرزاقهم وأسباب

---

(١) صحيح : مسلم (٣٩٥) فى الصلاة .

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/ ١٤) .

معايشهم ومصالحهم، وعمّت المؤمن والكافر، والصالح والطالح، وأما الرحيم فخاص للمؤمنين كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) ﴾ [الأحزاب].

واسم الرحمن مختص بالله تعالى، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥) ﴾ [مريم]. قال: لم يسم أحد الرحمن غيره[1].

وأكثر العلماء على أن (الرحمن) مختص بالله - عز وجل - ولا يجوز أن يسمى به غيره، ألا تراه قال: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥) ﴾ [الزخرف] فأخبر أن الرحمن هو المستحق للعبادة عز وجل، وقد قيل في اسمه (الرحمن) اسم الله الأعظم[2].

فالرحمن اسمه تعالى ووصفه لا تنافي اسميته وصفيته، فمن حيث هو صفة جرى تابعًا على اسم الله، ومن حيث ورد في القرآن غير تابع، بل ورود الاسم العلم. ولما كان هذا الاسم مختصًا به تعالى حَسُنَ مجيئه مفردًا غير تابع كمجيء اسم الله كذلك، وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمن، كاسم الله فإنه دال على صفة الألوهية ولم يجئ قط تابعًا لغيره بل متبوعًا، وهذا بخلاف العليم والقدير، والسميع والبصير، ونحوها؛ ولهذا لا تجيء هذه مفردة بل تابعة[3].

* الجمع بين الرحمن والرحيم وفائدته :

(١) ذكر ابن العربي أن سبب الجمع بينهما أن اسم (الرحمن) عبراني الأصل، فجامَعَهُ الرحيم العربي الأصل[4].

---

(١) الأسماء والصفات (٥٠ - ٥٢) للبيهقي.

(٢) الأسنى (١/ ٦٢)، للقرطبي (بتصرف).

(٣) بدائع الفوائد (ص ٢٠).

(٤) الأسنى (١/ ٦٥) للقرطبي.

(٢) والرحمن يدل على صفته العامة المختصة به جلّ جلاله، ويستحيل أن توجَدَ لغيره إذ لا يوجد مخلوق تعم رحمته جميع المخلوقات من أوليائه وأعدائه، والرحيم وصف يدل على الفعل الذى تقع المشاركة فيه؛ ولذلك وصف سبحانه نفسه بأنه خير الراحمين وأرحم الراحمين(١).

(٣) وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى هو أحسن من المعنيين اللذين ذكروهما، وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف، والثانى للفعل. فالأول: دال على أن الرحمة صفته، والثانى: دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿ **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** (٤٣) ﴾ [الأحزاب]، ﴿ **إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** (١١٧) ﴾ [التوبة]. ولم يجئ قطَّ رحمن بهم فعلم أن رحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها فى كتاب، وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم ينجل لك صورتها(٢).

إذن ففائدة الجمع بين الصفتين الرحمن والرحيم الإنباء عن رحمة عاجلة وآجلة، خاصة وعامة(٣).

* الرحمة الحقيقية ومعناها:

ومما ينبغى أن يعلم: أن الرحمة صفة تقتضى إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها. هذه هى الرحمة الحقيقية. فأرحم الناس بك من شق عليك فى إيصال مصالحك ودفع المضار عنك.

فمن رحمة الأب بولده: أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه فى ذلك بالضرب وغيره ويمنعه شهواته التى تعود بضرره، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه ويرفهه ويريحه. فهذه رحمة مقرونة بجهل، كرحمة الأم.

ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين: تسليط أنواع البلاء على العبد، فإنه أعلم

---

(١) الإسنى للقرطبى (١/ ٦٥).

(٢، ٣) بدائع الفوائد (ص ٢٠، ٢١).

بمصلحته، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته : من رحمته به، ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه بابتلائه، ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه وامتحانه .

وقد جاء في الأثر : إن المبتلى إذا دعى له : اللهم ارحمه، يقول الله سبحانه : كيف أرحمه من شيء به أرحمة ؟ وفي أثر آخر : إن الله إذا أحب عبده حماه الدنيا وطيباتها وشهواتها، كما يحمي أحدكم مريضه .

فهذا من تمام رحمته به، لا من بخله عليه كيف ؟ وهو الجواد الماجد، الذي له الجود كله، وجود جميع الخلائق في جنب جوده أقل من ذرة في جبال الدنيا ورمالها .

فمن رحمته سبحانه بعباده : ابتلاؤهم بالأوامر والنواهي رحمة وحمية، لا حاجة منه إليهم بما أمرهم به، فهو الغني الحميد، ولا بخلا منه عليهم بما نهاهم عنه، فهو الجواد الكريم .

ومن رحمته : أن نَغَّص عليهم الدنيا وكدرها لئلا يسكنوا إليها، ولا يطمئنوا إليها ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان، فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم .

ومن رحمته بهم : أن حذرهم نفسه، لئلا يغتروا به، فيعاملوه بما لا تحسن معاملته به كما قال تعالى : ﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** (٣٠) ﴾ [آل عمران] .

قال غير واحد من السلف : من رأفته بالعباد : حذرهم من نفسه، لئلا يغتروا به[1] .

❊ الضلال والغضب :

ولما كان تمام النعمة على العبد إنما هو بالهدى والرحمة، كان لهما ضدان : الضلال والغضب .

فأمرنا الله سبحانه أن نسأله كل يوم وليلة مرات عديدة أن يهدينا صراط الذين أنعم عليهم، وهم أولو الهدى والرحمة، ويجنبنا طريق المغضوب عليهم، وهم ضد

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٤٤) .

المرحومين، وطريق الضالين وهم ضد المهتدين؛ ولهذا كان هذا الدعاء من أجمع الدعاء، وأفضله وأوجبه، وبالله التوفيق(١) .

* في معنى قوله تعالى : ﴿ فانظُرْ إلىٰ آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ ﴾ [الروم : ٥٠]

فانظر إلى ما في الوجود من آثار رحمته الخاصة والعامة، فبرحمته أرسل إلينا رسوله، وأنزل علينا كتابه وعصمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبصّرنا من العمى، وأرشدنا من الغي، وبرحمته عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا، وبرحمته علّمنا مالم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا، وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض وجعلها مهاداً وفراشًا وقراراً، وكفاتًا للأحياء وللأموات، وبرحمته أنشأ السحاب الثقال، وأمطر المطر، وأطلع الفواكه والأقوات والمرعى . . . وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها، وكذلك بين سائر أنواع الحيوان .

فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هي صفته ونعمته، واشتق لنفسه منها اسم الرحمن الرحيم، وجعل أوسع الصفات رحمته، فاستوى على عرشه الذي وسع المخلوقات بصفة رحمته التي وسعت كل شيء، ولما استوى على عرشه بهذا الاسم الذي أشتقه من صفته وتسمّى به دون خلقه، كتب بمقتضاه على نفسه يوم استوائه على عرشه أن رحمته سبقت غضبه، وكان هذا الكتاب العظيم الشأن كالعهد منه سبحانه للخليقة كلها بالرحمة لهم والعفو عنهم، والمغفرة والتجاوز، والستر والإمهال والحلم والأناة .

ومن رحمته أنه يعيذ من سخطه برضاه، ومن عقوبته بعفوه، ومن نفسه بنفسه، ومن رحمته أن خلق للذكر من الحيوان أنثى من جنسه، وألقى بينهما المحبة والرحمة ليقع بينهما التواصل الذي به دوام التناسل وانتفاع الزوجين، ويمتع كل واحد منهما بصاحبه، ومن رحمته أحوج الخلق بعضهم إلى بعض لتتم مصالحهم، ولو أغنى بعضهم عن بعض

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٤٤) لابن القيم .

لتعطلت مصالحهم وانحل نظامها ، وكان من تمام رحمته بهم أن جعل فيهم الغني والفقير ، والعزيز والذليل ، والعاجز والقادر ، والراعي والمرعي ، ثم أفقر الجميع إليه ، ثم عمّ الجميع برحمته .

ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض ، فأنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة بين الخليقة ليتراحموا بها ، فبها تعطف الوالدة على ولدها ، والطير والوحش والبهائم ، وبهذه الرحمة قوام العالم ونظامه .

فإذا جاء وعده قبض الرحمة التي أنزلها إلى الأرض ، فتضع لذلك الحوامل ما في بطونها ، وتذهل المراضع عن أولادها ، فيضيف سبحانه تلك الرحمة التي دفعها وقبضها من الأرض إلى ما عنده من الرحمة فيكمل بها مائة رحمة ، فيرحم بها أهل طاعته ، وتوحيده وتصديق رسله وتابعهم .

وأنت لو تأملت العالم بعين البصيرة لرأيته ممتلئًا بهذه الرحمة الواحدة كامتلاء البحر بمائه ، والجو بهوائه ، وما في خلاله من ضد ذلك ، فهو مقتضى قوله : « سبقت رحمتي غضبي »(١) . فالمسبوق لابد لاحقٌ وإن أبطأ ، وفيه حكمة لا تناقضها الرحمة فهو أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين(٢) .

* ثمرة معرفة هذا الاسم :

(١) أن ترحم نفسك بطلب النجاة من النار والفوز بالجنة بتقوى الله ، وحفظ حدوده ، والعمل بما يرضاه ، وأن تتصف (بالراحم) فتعين وتنقذ الغرقى والهلكى ، وتسد الرمق ، وأشباه ذلك ، وهذا واجب عليك .

ومما هو مندوب خطاب الإيثار وهم الذين أثنى الله عليهم ، فقال وقوله الحق : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] .

---

(١) **صحيح** : متفق عليه : البخاري (٦٠٠٠) في الأدب ، ومسلم (٢٧٥٢) في التوبة .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (ص ٣٤٩ - ٣٥١) بتصرف .

(٢) وإذا أردت أن تكون من المحسنين فاعبد اللّه كأنك تراه، تزداد بذلك قربًا من رحمته[١] .

(٣) وعلى العبد أن يرجو عطف اللّه ولطفه سبحانه وتعالى بعد ما رأى آثار الرأفة والرحمة في خلقه عز وجل .

***

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٩٢ ، ٩٣) .

• الـرَّفِيـــعُ •

قال اللَّه – عز وجل : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾ [غافر : ١٥] .

ومــعناه : هو الذى لا أرفع قدراً منه ، وهو المستحق لدرجات المدح والثناء ، وهى أصنافها وأبوابها ، استحق لها غيرها .

أخبرنا أبو الحسين بن بشر أن أبا على الحسين بن صفوان البرذعى ثنا عبد اللَّه بن محمد القرشى ثنا يوسف بن موسى ، قال : سمعت جريراً قال : سمعت رجلاً يقول : رأيت إبراهيم الصائغ فى النوم – قال وما عرفته قط – فقلت : بأى شىء نجوت ؟ قال : بهذا الدعاء : « **اللهم يا عالم الخَفيات، رفيه الدرجات، ذا العرش، يلقى الروح على من يشاء من عباده، غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب، ذا الطول، لا إله إلا أنت** »(١) .

وقال الحليمى : والرفيع من صفات الذات ، وهو المستحق لدرجات المدح والثناء ، وهى أصنافها وأبوابها لا مستحق لها غيره(٢) .

وقــد يكون هو : رفيع الصفات ، ورفيع السموات السبع ، ورافع درجة أوليائه فى الجنة(٣) .

وقال ابن كثير : هو ارتفاع عرشه العظيم العالى على جميع مخلوقاته كالسقف لها(٤) .

وثمرة التعرف على هذا الاسم : الطمع فى رفع الدرجات عند اللَّه تعالى ، ورفع أهل البر والطاعات في الدنيا(٥) .

---

(١) البيهقى (ص ١٦) فى الأسماء والصفات .

(٢ ، ٣) تفسير القرطبى (٨/ ٥٩٤٧) .

(٤) ابن كثير فى تفسيره (٧/ ١٠٠) .

(٥) الشجرة للعز (ص ٨٦) .

• الـرِّفـيـــــقُ •

لم يرد في القرآن اسمًا ولا فعلاً، ولكن ثبت في صحيح مسلم وغيره عن عائشة - رضوان الله عليها - زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ** »[1].

قال الجوهري: الرفق ضد العنف. وقد رفق به يرفق.

وحكى أبو زيد: رفقت به وأرفقته بمعنى، وكذلك ترفقت به.

ويقال أيضًا: أرفقته أي: نفعته.

والرفيق أيضًا المرافق في السفر، فهو يطلق على غير الله - عز وجل - والجمع الرفقاء وقد يكون الرفيق أيضًا واحدًا وجمعًا مثال الصديق. قال الله تعالى: ﴿ **وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** (٦٩) ﴾ [النساء]، والرفيق أيضًا ضد الأخرق فهو مشترك. قال غيره: وأصل الرفق الاحتيال لإصلاح الأمور وإتمامها، والله تعالى عن ذلك ما يليق بجلاله سبحانه فهو الرفيق أي: الكثير الرفق وهو اللين والسهل، وضده العنف وهو التشديد والتصعيب، وقد يجيء الرفق بمعنى الإرفاق وهو الإعطاء؛ إذ هو الميسر والمسهل لأسباب الخير محلها والمعطى لها وأعظمها تيسير القرآن للحفظ ولولاه ما قال: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** (٣٢) ﴾ [القمر]، ما قدر على حفظه أحد فلا تيسير إلا بتيسيره، ولا منفعة إلا بإعطائه وتقديره، وقد يجيء الرفق أيضًا بمعنى التمهل في الأمور والتأني فيها، يقال منه: رفقت الدابة أرفقها إذا شددت عضدها لتبطئ في مشيها.

وعلى هذا يكون الرفيق في حق الله تعالى بمعنى الحليم، فإنه لا يعجل بعقوبة العصاة ليتوب من سبقت له الشقاوة.

---

(١) صحيح: مسلم (٢٥٩٣) في البر والصلة.

وقال الخطابي : قوله : إن الله رفيق معناه ليس بعجول، وإنما يعجل من يخاف الفوت. فأما من كانت الأشياء في قبضته وملكه فليس يعجل فيها .

وأما قوله : يحب الرفق أي : يحب ترك العجلة في الأعمال والأمور، وقد تقدم هذا في اسمه الحليم، فينبغي لكل مسلم أن يكون رفيقًا في أموره وجميع أحواله غير عجل فيها، فإن العجلة من الشيطان، فمن تعجل لا تفارقه الخيبة والخسران، وقال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس : « **إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمُ، وَالأَنَاةُ** »[(١)]، [(٢)] .

***

---

(١) **صحيح** : مسلم (١٨) في الإيمان .

(٢) الأسنى للقرطبي (١/ ٥٥٦ ، ٥٥٧) .

• الـــرَّقِيـــبُ •

قال اللَّه تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ [البقرة : ٢٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا (٥٢) ﴾ [الأحزاب] .

وقال مخبراً عن عيسى عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة : ١١٧] . إلى غير ذلك من الآيات .

وفي حديث جبريل - عليه السلام - أنه سأل النبي ﷺ عن الإحسان ؟ فقال له : « **أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** »[(١)] .

وقال الحليمي : هو الذي لا يغفل عمّا خلق فيلحقه نقص ، أو يدخل عليه خلل من قِبَلِ غفلته عنه .

وقال الزجاج : **الرقيب** : الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء[(٢)] .

والرقيب : هو المطلع على الضمائر ، الشاهد على السرائر ، الذي يعلم ويرى ولا يخفى عليه السر والنجوى[(٣)] .

وقال القرطبي : فاللَّه تعالى رقيب على الأشياء بعلمه المقدس عن مباشرة النسيان ، ورقيب للمبصرات ببصره الذي لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم ، ورقيب للمسموعات بسمعه المدرك لكل حركة وكلام ، فهو سبحانه رقيبٌ عليها بهذه الصفات تحت رقابته الكليات والجزئيات ، وجميع الخفيات في الأرضين والسموات ، ولا خفي عنده ، بل جميع الموجودات كلها على نمط واحد في أنها تحت رُقبته التي هو من صفته ، وهو سبحانه

---

(١) **صحيح** : متفق عليه : البخاري (٥٠) في الإيمان ، ومسلم (٩) في الإيمان .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٧٧) .

(٣) الرازي (ص ٢٦٧) .

الرقيب المراعى أحوال المرقوب الحافظ له جملة وتفصيلاً المحصى لجميع أحواله، وذلك راجع إلى العلم والمشاهدة وهو الإدراك والإحصاء [(١)].

وقال السعدى : **الرقيب** : المطّلع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذى حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير [(٢)].

وقال ابن كثير : **الرقيب** : هو المراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم [(٣)].

* فى معانى مراقبة العبد للّه تعالى :

قال ابن القيم : المراقبة دوام علم العبد، وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه. فاستدامته لهذا العلم واليقين : هى المراقبة وهى ثمرة علمه بأن اللّه سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله. وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين. والغافل عن هذا بمعزل عن حال أهل البدايات. فكيف بحال المريدين ؟ فكيف بحال العارفين ؟ .

قال الجريرى : من لم يحكّم بينه وبين اللّه تعالى التقوى والمراقبة، لم يصل إلى الكشف والمشاهدة.

وقيل : من راقب اللّه فى خواطره، عصمه فى حركات جوارحه .

وقيل لبعضهم : متى يهش الراعى غنمه بعصاه عن مَرَاتِعِ الهَلَكَة ؟ فقال : إذا علم أن عليه رقيبًا .

وقال الجُنيد : من تحقق فى المراقبة خاف على فوات لحظة من ربه لا غير .

وقال ذو النون : علامة المراقبة إيثار ما أنزل اللّه، وتعظيم ما عظم اللّه، وتصغير ما صغَّر اللّه .

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٤٠٢) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٣٠١) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ١٤٧) .

وقيل : المراقبة مراعاة القلب لملاحظة الحق مع كل خطرة وخطوة .

وقال الجريرى : أمرنا هذا مبنى على فصلين : أن تلزم نفسك المراقبة للَّه، وأن يكون العلم على ظاهرك قائماً .

وقال إبراهيم الخواص : المراقبة خلوص السر والعلانية للَّه عز وجل .

وقيل : أفضل ما يلزم الإنسان نفسه فى هذه الطريق : المحاسبة والمراقبة، وسياسة عمله بالعلم .

وقال أبو حفص لأبى عثمان النيسابورى : إذا جلست للناس فكن واعظًا لقلبك ونفسك، ولا يغرنك اجتماعهم عليك . فإنهم يراقبون ظاهرك . واللَّه يراقب باطنك .

والمراقبة هى التعبد باسمه الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، فمن عقل هذه الأسماء وتعبّد بمقتضاها : حصلت له المراقبة . واللَّه أعلم[1] .

* ثمرة التعرف على هذا الاسم :

(١) يجب على كل مكلف أن يعلم أن اللَّه سبحانه رقيب عليه وعلى كل مخلوق، وأن يعلم أنه سبحانه قد وكّل به ملكين - ولكل مكلف - يحصيان أقواله وأفعاله، وأن الجزاء من اللَّه سبحانه بحسب هذه المراقبة، ومن صحّ علمه بأن اللَّه رقيب عليه لم يفن عمره فى البطالة ولم ينفق فى الغفلات أوقاته، بل يصل فى طاعة ربه ليله ونهاره، وجهده بكده فى إحساسه واختلاف أنفاسه، ومن راقب اللَّه تعالى فى سره وجهره واتقاه فى أمره ونهيه، أوصله ذلك إلى الموافقة فى سبل المعاملة، ومن المقامات إلى علم القلب باطلاع الرب حتى لا يرى إلا هو .

وحكى أن ابن عمر مرّ بغلام يرعى غنماً، فقال : بع منى شاة، فقال : إنها ليست لى . قال ابن عمر : قل : أكلها الذئب . فقال الغلام : فأين اللَّه ؟ فاشتراه ابن عمر، واشترى تلك الغنم وأعتقه، ووهبه تلك الغنم، وكان ابن عمر يقول ذلك مدة طويلة، قال ذلك العبد : فأين اللَّه ؟ .

---

(١) مدارج السالكين: (٢/ ٦٢، ٦٣) .

فصاحب المراقبة يدع المخالفات استحياءاً منه وهيبة له أكثر مما يتركها من يدع المعاصي لخوف عقوبته. قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [العلق: ١٤]. فإن من راعى قلبه عدّ مع الله أنفاسه، ولا يضيع مع الله نفسًا، ولا يخلو عن طاعته لحظة، كيف وقد علم أن الله سبحانه يحاسبه على ما قلّ وجلّ؟!.

(٢) ومن علم أن الله مطلع عليه من حيث لا يراه كما قال ﷺ: «**فإنه يراك**» فعليه أن يكون هذا الاعتقاد عليه دائمًا بحسب خشية الاطلاع، ولن يتهيأ له ذلك حتى يكون عقله على نفسه رقيبًا، فيعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه، وهذا هو مقام المراقبة، ومن قام به فهو رقيب على نفسه، وحينئذ يرسم رقباؤك الحفظة الكاتبون في صحفك بأقلام الرحمة ما تبتهج به نفسك إذا رأيت صحائفك منشورة يوم تكون نفسك محشورة، وحينئذ تشاهد الرقيب فلا ينأى عنك نوره ولا يغيب(١).

●●●

(١) الأسنى (١/ ٤٠٥ - ٤٠٧) للقرطبي.

• الــــرؤوف •

قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [النحل] .

قال الحليمي : ومعناه المساهل عباده لأنه لم يحملهم - يعني من العبادات - ما لا يطيقون - يعني بزمانة أو علة أو ضعف - بل حملهم أقل ما يطيقونه بدرجات كثيرة ، ومع ذلك غلظ فرائضه في حال شدة القوة ، وخففها في حال الضعف ونقصان القوة . وأخذ المقيم بما لم يأخذ به المسافر ، والصحيح بما لم يأخذ به المريض ، وهذا كله رأفة ورحمة .

قال الخطابي : وقد تكون الرحمة في الكراهة للمصلحة ، ولا تكاد الرأفة تكون في الكراهة[(١)] .

ولذلك قال : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ [النور : ٢] ، ولم يقل رحمة ، فإن ضرب العصاة على عصيانهم رحمة لهم لا رأفة ، فإن صفة الرأفة إذا انسدلت على مخلوق لم يلحقه مكروه ؛ فلذلك تقول لمن أصابه بلاء في الدنيا وفي ضمنه خير في الأخرى : إن اللَّه قد رحمه بهذا البلاء . وتقول لمن أصابه عافية في الدنيا في ضمنها خيراً في الأخرى ، واتصلت له العافية أولاً وآخراً وظاهراً وباطنًا : إن اللَّه قد رأف به .

وقال الأقليشي : فتأمل هذه التفرقة بين الرأفة والرحمة ؛ ولذلك جاءا معًا فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة ١٤٣] ، [الحج : ٦٥] ، وعلى هذا الرأفة أعم من الرحمة فمتى أراد اللَّه بعبد رحمة أنعم عليه بها . إلا أنها قد تكون عقيب بلاء وقد لا تكون ، والرأفة بخلاف ذلك على ما بيناه[(٢)] .

وقال السعدي : الرحمن ، الرحيم ، البر ، الكريم ، الجواد ، الرؤوف ، الوهاب . هذه

---

(١) الأسماء والصفات (٥٧) للبيهقي .

(٢) الأسنى للقرطبي (١/ ١٧٣) .

الأسماء تتقارب معانيها، وتدل على اتصاف الرب بالرحمة والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصّ المؤمنين منها بالنصيب الأوفر والحظ الأكمل، قال تعالى: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، والنعم والإحسان كله من آثار رحمته وجوده، وكرمه، وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته[(١)] .

* ثمرة التعرف على هذا الاسم:

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن لا رؤوف على الإطلاق إلا الله، وأن رأفته ليست كرأفتنا على ما بينا، ومن رأفته لعباده ورحمته بهم أن ذادهم[(*)] عن مراتع[(**)] الهلكة، ومنعهم من موارد الشهوات فمتى أصابهم نصيب من كتاب سبق أقال عثرتهم وأيقظهم من سبات غمراتهم، وربما رأف بهم ورحمهم بما يكون في الظاهر بلاء وشدة، وهو في الحقيقة رأفة بهم ورحمة، قال ﷺ: « **أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ البَلاَءُ عَلَى العَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ** »[(٢)] .

وعن أنس - عليه السلام -: « **إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُم فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ** »[(٣)] .

والآثار والأخبار في هذا المعنى كثيرة، ثم عليك أن ترأف بنفسك، كما رأف الله سبحانه بها، فلا تُحملها فوق وسعها ولا ما هو خارج عن مقتضى كرم طبعها، والرأفة بها أن تسلك بها أوضح المسالك، وتقيها موارد المهالك، وكذلك بغيرك، فبهذا تكون ذا قلب رؤوف، وتكون رأفة الله عليك في الدارين تطوف[(٤)] .

(*) ذادهم: دفعهم ومنعهم.

(**) المرتع: المرعى الخصيب.

(١) تفسير الكريم الرحمن (٥/ ٦٢١).

(٢) **صحيح**: الترمذي (٢٣٩٨) في الزهد.

(٣) **حسن**: الترمذي (٢٣٩٦) في الزهد.

(٤) الأسنى للقرطبي (١/ ١٧٥، ١٧٦).

• السُّبُّوحُ •

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : إن رسول الله ﷺ كان يقول فى ركوعه : « **سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلائِكَةِ وَالرُّوحِ** »[1] .

قال : فذكرت ذلك لهشام الدستوائى فقال : « فى ركوعه وسجوده » . أخرجه مسلم فى الصحيح .

قال الحليمى فى معنى السبوح : إنه المنزه عن المعائب والصفات التى تعتور المحدثين من ناحية الحدوث . والتسبيح : التنزيه[2] .

❋❋❋

---

(١) **صحيح** : مسلم (٤٨٧) فى الصلاة .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٣٧) .

• سَرِيعُ الحِسَابِ وَسَرِيعُ العِقَابِ •

نطق به القرآن فقال : ﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) ﴾ [البقرة] ، و﴿ سَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] ، وقال : ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (٦٢) ﴾ [الأنعام] ، وقد مضى الكلام فيه عند الحاسب . وهو مجمع عليه .

قال القاضي أبو بكر بن العربي : كنت بالثغر في محرس الكوفيين مع الشيخ الإمام أبي بكر الطرطوشي فتذاكرنا في قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] ، ﴿ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٥) ﴾ [الأنعام] ، وقال في سورة الأعراف : ﴿ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ [الأعراف : ١٦٧] .

فقلنا : ما الفائدة في دخول اللام في إحدى الآيتين مع سقوطها في الآية الأخرى ؟ .

فأجاب عن ذلك الشيخ الإمام أبو بكر الطرطوشي فقال : حكم اللام التأكيد في لسان العرب ، والآية في الأنعام دخلت الأمة فيها في الخطاب ، وكانت أمة معصومة في الدنيا ، لا تعاقب إلا في الآخرة فسقطت اللام التي حكمها التأكيد في الخبر عنها ، والآية التي في الأعراف خوطب بها بنو إسرائيل ، وقد عجلت عقوبتهم في الدنيا بالمسخ والخسف فدخلت اللام التي حكمها التأكيد في الخبر عنها[1] .

•••

---

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٤٨٣) .

• السلام •

قال اللَّه - عز وجل - : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر : ٢٣] .

وفى الحديث عن النبى ﷺ : « **اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ ، تَبَارَكْتَ يَاذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ** »[1] .

وقال ابن العربى : اتفق العلماء - رحمة اللَّه عليهم - على أن معنى قولنا فى اللَّه : (السلام) . النسبة ، وتقديره : (ذو السلامة) ، ثم اختلفوا فى ترجمة النسبة على ثلاثة أقوال :

الأول : معناه الذى سلم من كل عيب ، وبرئ من كل نقص .

الثانى : معناه ذو السلام أى : المُسَلِّم على عباده فى الجنة ، كما قال : ﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (٥٨) ﴾ [يس] .

الثالث : معناه الذى سلم الخلق من ظلمه ، وهذا قول الخطابى ، وعليه والذى قبله يكون صفة فعل ، وعلى أنه البرىء من العيوب والنقائص يكون صفة ذات .

وقيل : **السلام** : معناه المُسَلِّم لعباده[2] .

وقال ابن كثير : السلام هو السالم من جميع العيوب والنقائص لكماله فى ذاته وصفاته وأفعاله[3] .

---

(١) **صحيح** : مسلم (٥٩١) فى المساجد .

(٢) تفسير القرطبى (١٠/ ٦٧٦٩) .

(٣) ابن كثير (٨/ ٦٣) .

* حقيقة لفظة (السلام) :

قال ابن القيم : حقيقتها البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب . وعلى هذا المعنى تدور تصاريفها فمن ذلك ، قولك : سلمك الله وسلم فلان من الشر . ومنه دعاء المؤمنين على الصراط رب سلم اللهم سلم[1] . ومنه سلم الشيء لفلان . أي : خلص له وحده . فخلص من ضرر الشركة فيه قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾ [الزمر : ٢٩] ، أي : خالصًا له وحده لا يملكه معه غيره . ومنه السلم ضد الحرب قال تعالى : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ [الأنفال : ٦١] ؛ لأن كلاً من المتحاربين يخلص ويسلم من أذى الآخر ولهذا يبنى منه على المفاعلة . فيقال : المسالمة مثل المشاركة .

ومنه القلب السليم وهو النقى من الغل والدغل . وحقيقته الذى قد سلم لله وحده . فخلص من دغل الشرك وغله ودغل الذنوب والمخالفات . بل هو المستقيم على صدق حبه ، وحسن معاملته . فهذا هو الذى ضمن له النجاة من عذابه والفوز بكرامته .

ومنه أخذ الإسلام فإنه من هذه المادة ؛ لأنه الاستسلام والانقياد لله ، والتخلص من شوائب الشرك فسلم لربه ، وخلص له كالعبد الذى سلم لمولاه ليس فيه شركاء متشاكسون ؛ ولهذا ضرب سبحانه هذين المثلين للمسلم المخلص الخالص لربه والمؤمن به :

ومنه السلم للسلف وحقيقته العوض المسلم فيه ؛ لأن من هو فى ذمته قد ضمن سلامته لربه ، ثم سمى العقد سلمًا وحقيقته ما ذكرناه . فإن قيل : فهذا ينتقض بقولهم للديغ سليما قيل : ليس هذا بنقض له . بل طرد لما قلناه فإنهم سموه سليمًا باعتبار ما يهمه ويطلبه ، ويرجو أن يؤول إليه حاله من السلامة . فليس عنده أهم من السلامة ولا هو أشد طلبًا منه لغيرها . فسمى سليمًا لذلك وهذا من جنس تسميتهم المهلكة مفازة ؛ لأنه لا شيء أهم عند سالكها من فوزه منها أى : نجاته . فسميت مفازة لأنه يطلب الفوز منها ،

---

(١) صحيح : متفق عليه : جزء من حديث البخارى (٨٠٦) فى الأذان ، ومسلم (١٨٢) فى الإيمان .

وهذا أحسن من قولهم : إنما سميت مفازة وسمى اللديغ سليمًا تفاؤلاً ، وإن كان التفاؤل جزء هذا المعنى الذى ذكرناه وداخل فيه فهو أعم وأحسن[١] .

* اللّه تعالى أحق من يوصف بـ (السلام) :

فإذا عرف هذا فإطلاق السلام على اللّه تعالى اسمًا من أسمائه هو أولى من هذا كله ، وأحق بهذا الاسم من كل مسمى به لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص ، من كل وجه . فهو السلام الحق بكل اعتبار والمخلوق سلام بالإضافة فهو سبحانه سلام فى ذاته عن كل عيب ونقص يتخيله وهم . وسلام فى صفاته من كل عيب ونقص . وسلام فى أفعاله من كل عيب ونقص وشر وظلم وفعل واقع على غير وجه الحكمة . بل هو السلام الحق من كل وجه وبكل اعتبار . فعلم أن استحقاقه تعالى لهذا الاسم أكمل من استحقاق كل ما يطلق عليه .

وهذا هو حقيقة التنزيه الذى نزه به نفسه ، ونزهه به رسوله فهو السلام من الصاحبة ، والولد ، والسلام من النظير والكفء والسمى والمماثل ، والسلام من الشريك .

ولذلك إذا نظرت إلى أفراد صفات كماله وجدت كل صفة سلامًا مما يضاد كمالها فحياته سلام من الموت . ومن السنة والنوم ، وكذلك قيوميته ، وقدرته سلام من التعب واللغوب ، وعلمه سلام من عزوب شيء عنه أو عروض نسيان أو حاجة إلى تذكر وتفكر . وإرادته سلام من خروجها عن الحكمة والمصلحة ، وكلماته سلام من الكذب والظلم ، بل تمت كلماته صدقًا وعدلاً . وغناه سلام من الحاجة إلى غيره بوجه ما بل كل ما سواه محتاج وهو غنى عن كل ما سواه . وملكه سلام من منازع فيه ، أو مشارك أو معاون مظاهر أو شافع عنده بدون إذنه . وإلهيته سلام من مشارك له فيها . بل هو اللّه الذى لا إله إلا هو . وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته . وتجاوزه سلام من أن تكون عن حاجة منه أو ذل أو مصانعة كما يكون من غيره . بل هو محض جوده وإحسانه وكرمه ، وكذلك عذابه وانتقامه وشدة بطشه ، وسرعة عقابه سلام من أن يكون ظلمًا أو تشفيًا أو غلظة أو قسوة ،

---

[١] بدائع الفوائد (٢/ ٢٨٩) .

بل هو محض حكمته وعدله، ووضعه الأشياء مواضعها وهو مما يستحق عليه الحمد والثناء كما يستحقه على إحسانه وثوابه ونعمه. بل لو وضع الثواب موضع العقوبة لكان مناقضًا لحكمته ولعزته فوضعه العقوبة موضعها هو من حمده. وحكمته وعزته فهو سلام مما يتوهم أعداؤه، والجاهلون به من خلاف حكمته.

وقضاؤه وقدره سلام من العبث والجور والظلم، ومن توهم وقوعه على خلاف الحكمة البالغة، وشرعه ودينه سلام من التناقض والاختلاف والاضطراب، وخلاف مصلحة العباد ورحمتهم والإحسان إليه وخلاف حكمته بل شرع كله حكمة، ورحمة، ومصلحة، وعدل، وكذلك عطاؤه سلام من كونه معاوضة أو لحاجة إلى المعطى ومنعه سلام من البخل، وخوف الإملاق[1]، بل عطاؤه إحسان محض لا لمعاوضة ولا لحاجة، ومنعه عدل محض، وحكمه لا يشوبه بخل ولا عدل.

واستواؤه وعلوه على عرشه سلام من أن يكون محتاجًا إلى ما يحمله أو يستوى عليه، بل العرش محتاج إليه وحملته محتاجون إليه، فهو الغنى عن العرش وعن حملته وعن كل ما سواه، فهو استواء وعلو لا يشوبه حصر ولا حاجة إلى عرش ولا غيره، ولا إحاطة شيء به سبحانه وتعالى، بل كان سبحانه ولا عرش، ولم يكن به حاجة إليه وهو الغنى الحميد، بل استواؤه على عرشه واستيلاؤه على خلقه من موجبات ملكه وقهره من غير حاجة إلى عرشه ولا غيره بوجه ما.

ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا سلام مما يضاد علوه وسلام مما يضاد غناه، وكماله سلام من كل ما يتوهم معطل أو مشبه، وسلام من أن يصير تحت شيء أو محصورًا في شيء، تعالى اللّه ربنا عن كل ما يضاد كماله.

وغناه وسمعه وبصره سلام من كل ما يتخيله مشبه أو يتقوله معطل، وموالاته لأوليائه سلام من أن تكون عن ذل كما يوالى المخلوق بل هي موالاة رحمة وخير، وإحسان وبر، كما قال: ﴿ **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي**

---

[1] الإملاق: الفقر والحاجة.

الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ﴾ [الإسراء : ١١١] . فلم ينف أن يكون له ولى مطلقًا بل نفى أن يكون له ولى من الذل ، وكذلك محبته لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق من كونها محبة حاجة إليه أو تملق له أو انتفاع بقربه ، وسلام مما يتقوله المعطلون فيها .

وكذلك ما أضافه إلى نفسه من اليد والوجه فإنه سلام عمّا يتخيله مشبه أو يتقوله معطل .

فتأمل كيف تضمّن اسمه (السلام) كل ما نُزِّه عنه تبارك تعالى ، وكم ممن حفظ هذا الاسم لا يدرى ما تضمنه من هذه الأسرار والمعانى والله المستعان[١] .

* ثمرة معرفة هذا الاسم :

(١) إفشاء السلام بين عباد الله فإنه من أفضل خصال الإسلام .

(٢) أن يسلم المسلمون من غشم العبد وظلمه ، وضره وشره ، « فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ »[٢] .

(٣) سلامة الدين عن البدع والشبهات ، والأعمال عن متابعة الهوى والشهوات .

(٤) السلامة فى مقام الطريقة وهو أن يكون العقل أمير الشهوة والغضب ولا يكون أسيرًا لهما ؛ لأن العقل أمير ، والشهوة والغضب كل واحد منهما عبد[٣] .

* * *

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٥٠ - ١٥٢) لابن القيم بتصرف .

(٢) صحيح : متفق عليه : البخارى (١٠) فى الإيمان ، ومسلم (٤٠) فى الإيمان . وانظر : شجرة المعارف للعز (ص٨١) .

(٣) الرازى (ص ١٨٤) ، وانظر : الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهانى .

• السميع •

قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠) ﴾ [غافر] .

وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤) ﴾ [النساء] .

قال الخطابي : السميع بمعنى السامع، إلا أنه أبلغ فى الصفة، وبناء فعيل بناء للمبالغة، وهو الذى يسمع السر والنجوى، سواءٌ عنده الجهر والإخفات، والنطق والسكوت[1] .

وقال ابن القيم : **السميع** : الذى قد استوى فى سمعه سر القول وجهره، وسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه أصوات الخلق ولا تشتبه عليه، ولا يشغله منها سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه كثرة السائلين، قالت عائشة : الحمد للَّه الذى وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول اللَّه وإنى ليخفى على بعض كلامها، فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) ﴾[2] [المجادلة] .

فلعل السمع يراد به أربعة معان :

أحدها : سمع إدراك ومتعلقه الأصوات .

الثانى : سمع فهم وعقل ومتعلقه المعانى .

الثالث : سمع إجابة وإعطاء ما سأل .

الرابع : سمع قبول وانقياد .

---

(١) البيهقى (ص ٤٤) فى الأسماء والصفات .

(٢) طريق الهجرتين (ص ٢١١)، والحديث صحيح : رواه البخارى (٩) فى الوحى معلقًا، والنسائى (٩٥٠) فى تفسيره .

فمن الأول : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة: ١]، ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا ﴾ [آل عمران : ١٨١] .

ومن الثاني : ﴿ لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ﴾ [البقرة : ١٠٤]، ليس المراد سمع مجرد الكلام بل سمع الفهم والعقل . ومنه سمعنا وأطعنا .

ومن الثالث: سمع الله لمن حمده، وفي الدعاء المأثور: اللهم اسمع أي : أجب وأعط ما سألتك.

ومن الرابع قوله تعالى : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ [المائدة: ٤١]، أي : قابلون له ومنقادون غير منكرين له .

ومنه على أصح القولين : ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٤٧]، أي : قابلون ومنقادون . وقيل : عيون وجواسيس وليس بشيء فإن العيون والجواسيس، إنما تكون بين الفئتين غير المختلطتين فيحتاج إلى الجواسيس والعيون، وهذه الآية إنما هي في حق المنافقين وهم كانوا مختلطين بالصحابة بينهم فلم يكونوا محتاجين إلى عيون وجواسيس .

وإذا عرف هذا فسمع الإدراك يتعدى بنفسه، وسمع القبول يتعدى باللازم تارة، وبمن أخرى، وهذا بحسب المعنى . فإذا كان السياق يقتضي القبول عدى بمن، وإذا كان يقتضي الانقياد عدى باللام . وأما سمع الإجابة فيتعدى باللام نحو سمع الله لمن حمده لتضمنه معنى استجاب له ولا حذف هناك، وإنما هو مضمن . وأما سمع الفهم فيتعدى بنفسه؛ لأن مضمونه يتعدى بنفسه[١] .

* مقتضى الإيمان باسمه السميع :

والسماع اسم مصدر، وقد أمر الله به في كتابه . وأثنى على أهله . والخبر أن البشرى لهم، فقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ﴾ [المائدة : ١٠٨]، وقال : ﴿ وَاسْمَعُوا

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٥) .

وأطيعوا ﴾ [التغابن : ١٦]، وقال : ﴿ ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ﴾ [النساء : ٤٦]، وقال : ﴿ فبشر عباد (١٧) الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب (١٨) ﴾ [الزمر]، وقال : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ﴾ [الأعراف : ٢٠٤]، وقال : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾ [المائدة : ٨٣] .

وجعل الإسماع منه والسماع منهم دليلاً على علم الخير فيهم، وعدم ذلك دليلاً على عدم الخير فيهم . فقال : ﴿ ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (٢٣) ﴾ [الأنفال] .

وأخبر عن أعدائه : أنهم هجروا السماع ونهوا عنه . فقال : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ﴾ [فصلت : ٢٦] .

فالسماع رسول الإيمان إلى القلب وداعيه ومعلمه . وكم فى القرآن من قوله : ﴿ أفلا يسمعون (٢٦) ﴾ [السجدة]، وقال : ﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ﴾ الآية [الحج : ٤٦] .

فالسماع أصل العقل، وأساس الإيمان الذى انبنى عليه . وهو رائده وجليسه ووزيره . ولكن الشأن كل الشأن فى المسموع . وفيه وقع خبط الناس واختلافهم . وغلط منهم من غلط .

وحقيقة السماع تنبيه القلب على معانى المسموع . وتحريكه عنها : طلبًا وهربًا وحبًا وبغضًا . فهو حاد يحدو بكل أحد إلى وطنه ومألفه .

وأصحاب السماع منهم : من يسمع بطبعه ونفسه وهواه . فهذا حظه من مسموعه : ما وافق طبعه .

ومنهم : من يسمع بحاله وإيمانه ومعرفته وعقله . فهذا يفتح له من المسموع بحسب استعداده وقوته ومادته .

ومنهم : من يسمع بالله ، لا يسمع بغيره . كما فى الحديث الإلهى الصحيح : « فبى يسمع . وبى يبصر »[١] . وهذا أعلى سماعًا ، وأصح من كل أحد[٢] .

*** ثمرة معرفة هذا الاسم :**

(١) سماع الآيات من القرآن ، إدراكًا وفهمًا وتدبرًا وإجابة ، وكل سماع فى القرآن مدح الله أصحابه وأثنى عليهم ، وأمر به أولياءه هذا هو السماع الحق .

وهو سماع حاد يحدو ، القلوب ، إلى جوار علاّم الغيوب ، وسائق يسوق الأرواح إلى ديار الأفراح ، ومحرك يثير ساكن العزمات إلى أعلى المقامات وأرفع الدرجات ، ومناد ينادى للإيمان ، ودليل يسير بالركب فى طريق الجنان ، وداع يدعو القلوب بالمساء والصباح ، من قبَل فالق الإصباح حى على الفلاح حى على الفلاح ، فلم يعدم من اختار هذا السماع إرشادًا لحجة ، وتبصرة لعبرة ، وتذكرة لمعرفة ، وفكرة فى آية ، ودلالة على رشد ، وردًا على ضلالة ، وإرشادًا من غى ، وبصيرة من عمى ، وأمرًا بمصلحة ، ونهيًا عن مضرة ومفسدة ، وهداية إلى نور ، وإخراجًا من ظلمة ، وزجرًا عن هوى ، وحثًا على تُقى ، وجلاء لبصيرة ، وحياة لقلب ، وغذاء ودواء وشفاء ، وعصمة ونجاة ، وكشف شبهة ، وإيضاح برهان ، وتحقيق حق ، وإبطال باطل[٣] .

(٢) وبالجملة سماع كل ما فُرض عليك سماعه ، أو ندبك الله إليه ، كسماع كتابه وسنة رسوله والخطب المشروعات ، وغير ذلك من المسموعات ، التى تدل عليه ، وتقرب إليه[٤] ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) ﴾ [الأعراف] ، وقوله : ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) ﴾ [طه] ، وقوله : ﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ [التغابن : ١٦] .

---

(١) صحيح : البخارى (٦٥٠٢) فى الرقاق بألفاظ متقاربة .

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٧٩) .

(٣) السابق نفسه .

(٤) شجرة المعارف (ص ٧٦) .

• السَّيِّدُ •

وهذا اسم لم يأت به الكتاب ولكنه مأثور عن الرسول ﷺ ، أخبرنا أبو على الروذبارى قال : حدثنا أبو بكر بن يزيد عن أبى نضرة عن مطرف وهو ابن عبد اللَّه بن الشخير قال : قال أبى - رضى اللَّه عنه - : انطلقت فى وفد بنى عامر إلى رسول اللَّه ﷺ فقلنا : أنت سيدنا . فقال رسول اللَّه ﷺ : « السَّيِّدُ اللَّهُ » . قلنا : فأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً . فقال ﷺ : « قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بِبَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ »[(١)] .

قال الحليمى : ومعناه المحتاج إليه بالإطلاق، فإن سيد الناس إنما هو رأسهم الذى إليه يرجعون، وبأمره يعملون، وعن رأيه يصدرون، ومن قوله يستهدون، فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقًا للبارى - جل ثناؤه - ولم يكن بهم غنية عنه فى بدء أمرهم وهو الوجود، إذ لو لم يوجدهم لم يوجدوا، ولا فى الإبقاء بعد الإيجاد، ولا فى العوارض العارضة أثناء البقاء، كان حقًا له - جل ثناؤه - أن يكون سيدًا، وكان حقًا عليهم أن يدعوه بهذا الاسم[(٢)] .

❁ ❁ ❁

---

(١) صحيح : عزاه المتقى الهندى لابن سعد فى كنز العمال (٣/ ٨٣٣٤) .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٢٢) .

• الشَّافِي •

لم يرد به القرآن اسماً لكن ورد فعلاً قال : ﴿ **وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** (٨٠) ﴾ [الشعراء]، وردت به السنة اسمًا وفعلا، روت عائشة - رضى اللَّه عنها - : أن النبى ﷺ كان إذا أتى مريضًا قال : « **أَذْهِبَ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِى، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا** »[١].

قال الحليمى : وقد يجوز أن يقال فى الدعاء : « **يا شافى يا كافى** »؛ لأن اللَّه - عز وجل - يشفى الصدور من الشبه، والشكوك، ومن الحسد والغل. والأبدان من الأمراض والآفات ولا يقدر على ذلك غيره، ولا يدعى بهذا الاسم سواه .

ومعنى الشفاء : رفع ما يؤذى ويؤلم عن البدن، قال الجوهرى : شفاه اللَّه من مرضه شفاء (ممدودًا) وأشفى على الشىء أشرف، وأشفى المريض على الموت. واستشفى طلب الشفاء، وأشفيتك الشىء أعطيتكه تستشفى به. ويقال : أشفاه اللَّه عسلاً، إذا جعله له شفاء، حكاه أبو عبيدة .

فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن لا شافى على الإطلاق إلا اللَّه وحده، وقد بين ذلك رسول اللَّه ﷺ بقوله : « **لا شافى إلا أنت** » فيعتقد أن الشفاء له وبه ومنه، وأن الأدوية المستعملة لا توجب الشفاء، وإنما هى أسباب وأوساط يخلق اللَّه عندها فعله وهى الصحة التى لا يخلقها أحد سواه. فكيف ينسبها عاقل إلى جماد من الأدوية أو سواها، ولو شاء ربك لخلق الشفاء دون سبب، ولكن لما كانت الدنيا دار أسباب جرت السنة فيها بمقتضى الحكمة على تعليق الأحكام بالأسباب وإلى هذا المعنى أشار جبريل عليه السلام وإياه أوضح لرسول اللَّه ﷺ : « **باسْمِ اللَّه أَرْقِيكَ اللَّهُ يَشْفِيكَ** »[٢]. فبين أن الرقية منه وهى سبب لفعل اللَّه وهو الشفاء[٣] .

---

(١) صحيح : البخارى (٥٦٧٥) فى المرضى .

(٢) صحيح : مسلم (٢١٨٦) فى السلام .

(٣) الأسنى للقرطبى (١/ ٥٣٢ ، ٥٣٣) .

• الشَّدِيدُ البَطْشِ وَالأَلِيمُ الأَخْذُ •

وجاء ذكرهما في التنزيل فقال : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) ﴾ [البروج]، وقال : ﴿ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ﴾ [هود] .

يقال : بطش يبطش بطشًا . والبطش : الأخذ بسرعة مع عنف، ومنه : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ [الدخان : ١٦] .

قال الحسن وعكرمة : يوم القيامة . وقال ابن عباس وابن مسعود : يوم بدر . وهذا راجع إلى معنى الانتقام وكذلك الأليم الآخذ قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْه »[1] . وقرأ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ﴾[2] [هود]، أي : أن أخذه مؤلم وعقابه موجع . وقد وصف نفسه سبحانه بأنه ﴿ آخِذٌ ﴾ في قول هود - عليه السلام - : ﴿ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ [هود : ٥٦]، وهو اسم فاعل من أخذ يأخذ أخذًا، فهو آخذ، والمفعول مأخوذ، وهو من صفات الأفعال الصادرة عن القدرة، وأخذه سبحانه يكون على أوجه كلها راجعة إلى كون المأخوذ في ملكه، وقبضته لقوله تعالى : ﴿ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ [هود : ٥٦]، أي : في ملكه وفي قبضته، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢]، أي : أخرجهم من العدم، وأدخلهم تحت ملكه وفي قبضته .

وأما قوله : ﴿ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ [التوبة : ١٠٤]، فالأخذ هنا عبارة عن القبول وصيرورتها في ملكه وقبضته على الوجه المرضي عنده تعالى .

---

(١) يحبسه ولا يطلقه .

(٢) صحيح : متفق عليه : البخاري (٤٦٨٦) في التفسير، ومسلم (٢٥٨٣) في البر والصلة .

وأما قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ﴾ [هود :] ، فالأخذ هنا عبارة عن الانتقام كما قال - عليه الصلاة والسلام - : «إِنَّ اللَّهَ يُمْلِي لِلظَّالِم »[1] . وقس على هذا ما يضاهيه فإن أمثلته كثيرة[2] .

* * *

(١) انظر السابق .

(٢) الأسنى للقرطبي (١/ ٤٩٢) .

• شَـــديـدُ العِـقَـــابِ •

نطق به التنزيل وأجمعت عليه الأمة . ومعناه ظاهر يعاقب الكافرين لكفرهم والعصاة لعصيانهم ، فيعاجل من شاء بعقوبته فى الدنيا ، ويؤخر عقوبة من شاء إلى الآخرة ، لا يُسأل عما يفعل .

قال : عاقبه بذنبه معاقبة وعقابًا : أخذه بجزاء الذنب وبعقبه . والاسم العقوبة . ويقال : أعقبه على ما صنع أى : جازاه به ، فعقاب اللَّه تعالى للخلق ما يكون من جزاء على فعل المذموم ، وذلك على وجهين :

أحدهما : فى الدنيا فيعاقب من شاء بالصواعق المحرقة ، والزلازل المتلفة ، والفتن المهلكة إلى غير ذلك مما شاء أن يعاقب به . وهذا العقاب مهما حل بكافر كان نقمة ، ومهما حل بعصاة المؤمنين كان رحمة لهم ، وكفارة لذنوبهم ، وطهارة لقلوبهم إن استيقظوا وأقلعوا . وإن أصروا فى طغيانهم ولم يسلبهم ما من به عليهم من إيمانهم فهم بين أن يعاقبهم فى الأخرى أو يعفو عنهم تعالى . وأما ما أصاب من هذه المحن الأنبياء والأولياء والصالحين المطهرين من الأوزار فليس ذلك بعقاب . إذ العقاب مشعر بجزاء يقع عقب جناية العبد .

ومن حماه اللَّه من الكفر والفسوق والعصيان وحبب إليه الإيمان ، وحشا قلبه بنور الإيقان فهو مهما امتحنه من الضراء ، أو أصابة بما أصابه من البلاء فذلك إكرام من اللَّه يزيده به تطهيراً وتنويراً ، ويقربه منه تقريباً ، كما قال - عليه السلام - : « **أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ** »(١) .

وقد بينا هذا المعنى فى أول كتاب « التذكرة » ، وفى أول سورة العنكبوت من كتاب أحكام القرآن ، والحمد للَّه .

---

(١) سبق تخريجه .

ثانيًا : وأما العقاب الذى فى الآخرة فيكون عند قبض الروح، وفى القبر، وكرب الموقف، وروعات المبعث، إلى غير ذلك من الشدائد حسبما بيناه فى كتاب التذكرة .

وعقاب بعضهم أشد من عقاب بعض؛ ولذلك قال : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** ﴾ [النساء : ١٤٥]، وقال - عليه السلام - فى عمه أبى طالب : « **إِنَّهُ أَخَفُّ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، وَإِنَّه لَيَلبسُ نَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِى مِنهُمَا دِمَاغه** »(١) . أراد أخف أهل النار من الكفار، وأما من دخل النار من الموحدين فبعضهم أيضًا أشد عذابًا من بعض، وأطول أمدًا، فمنهم من يعاقب بالنار حتى يعود حِمَمًا، ومنهم من تأخذ النار بعضه على ما بيناه فى كتاب التذكرة، ثم كل موحد فينفصل من العذاب، وينال من الله جميل المآب، ويبقى الكافر الجاحد فى العذاب فإن الكافرين ﴿ **لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ** ﴾(٢) [الأعراف : ٤٠] .

❁❁❁

---

(١) صحيح : مسلم (٢١٢) فى الإيمان .

(٢) الأسنى للقرطبى (١/ ٤٨٤ ، ٤٨٥) .

• الشَكُور الشَاكِرُ •

قال تعالى : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨) ﴾ [البقرة]، وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) ﴾ [التغابن]، وقال : ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) ﴾ [فاطر] .

وجاء شكور في عداد الأسماء، ولا خلاف في جواز إجرائه على العبد إن كان وصفًا منكرًا يدل عليه قول الحق : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) ﴾ [الإسراء]، فأما قوله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) ﴾ [سبأ]، فليس يوصف لواحد بعينه، وإنما المراد الجنس[1] .

وقال الحليمي :**الشاكر** : معناه المادح لمن يطيعه والمُثْنِي عليه، والمُثيب له بطاعته فضلاً عن نعمته .

والشكور : هو الذي يدوم شكره ويعم كل مطيع وكل صغير من الطاعة أو كبير[2] .

وقد تكلّم الناس في الحمد والشكر، هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين، فذهب الطبرى والمبرد أنهما بمعنى سواء، وهذا غير مرضى .

والصحيح أن الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان، والشكر ثناء على المشكور بما أَوْلى من الإحسان، هذا قول علماء اللغة : الزجاج والقتبي وغيرهما .

فالله سبحانه يحمد على ما وجب له من صفات الجلال والكمال، ونزاهة ذاته المقدسة عن كل نقص، ويشكر على ما أسداه من معروف، فالشكر مقابلة المنعم على فعله بثناء عليه، وقبول لنعمه واعتراف بها، فيكون شكور على هذا بمعنى مشكور. وقيل : الشكر : الاعتراف بنعمة المنعم على سبيل الخضوع؛ لأن الرجل قد يعترف بنعمة غيره

---

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٣٢١) .

(٢) البيهقي (ص ٧٠) في الأسماء والصفات .

على سبيل الاستهزاء به فلا يقال : يشكره، فلهذا قيل : إن حقيقة الشكر الاعتراف بالتقصير في الشكر للمُنعم، ولهذا قال تعالى : ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾ [سبأ : ١٣]، فقال داود : إلهى كيف أشكرك وشكرى نعمة منك ؟ فقال : الآن قد عرفتنى يا داود وشكرتنى إذ عرفت أن الشكر منى نعمة، والشكر يقتضى زيادة النعم، كما قال : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

فهو سبحانه مختص بالفضل الذى لا ينبغى لغيره، فإنه يقبل اليسير الذى لا ينفعه من الطاعة، ويبذل العظيم الذى ينتفع به كل من سواه[١] .

❊ من مظاهر اسم الله (الشكور) :

أنه سبحانه لا يضيع سعى العاملين لوجهه، بل يضاعفه أضعافًا مضاعفة، فإنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وقد أخبر فى كتابه بمضاعفة الحسنات الواحدة بعشر إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وذلك من شكره لعباده، ومن ترك شيئًا لأجله عوّض خيرًا منه، وهو الذى وفق المؤمنين لمرضاته، ثم شكرهم على ذلك وأعطاهم من كراماته ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وكل هذا ليس حقًا واجبًا عليه، وإنما هو الذى أوجبه على نفسه جودًا منه وكرمًا .

فما أصاب العباد من النعم ودفع النقم فإنه من الله تعالى فضلاً منه وكرمًا، وإن نَعَّمَهم بفضله وإحسانه، وإن عذبهم فبعدله وحكمته، وهو المحمود على جميع ذلك[٢] .

وقد جازى الله عباده فى العاجل ووعدهم بحسن الجزاء فى الآجل، وقد أخبر سبحانه أن يضاعف الحسنات، ويتجاوز عن السيئات، فهو سبحانه المنفرد بشكر الشاكرين، وثواب المطيعين[٣] ، قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ (١٥٢) ﴾ [البقرة] .

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٣٢٣ ، ٣٢٤) .

(٢) الحق الواضح المبين (ص ٧٠ - ٧٢) .

(٣) الأسنى للقرطبى (١/ ٣٢٥) .

وهو سبحانه يعطيك مع استغنائه عنك، وأنت تشكره مع افتقارك إليه، فكيف يقع الشكر الصادر عن الحاجة والضرورة فى مقابلة الإنعام الذى هو محض التفضل والإحسان.

وإذا عرفت هذا فتفكر فى أقسام نعم اللَّه عليك، كنت معدومًا فجعلك موجودًا، ثم أعطاك الصورة الحسنة فى الظاهر، والعقل الذى هو أشرف الصفات فى الباطن، وشق سمعك وبصرك، وهداك إلى معرفته، وعرضك للثواب العظيم، وأثنى عليك فى كتابه الكريم، ثم إنك إذا حركت لسانك وقلت: الحمد للَّه، فاعتقدت أن تحريك اللسان بذكر هذه الكلمات يفى بشكر هذه النعمة العظيمة، فهذا الإنسان فى البعد عن العقل أعظم[1] ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧].

* أثر معرفة هذا الاسم:

(١) يجب على كل مكلف أن يعلم أن اللَّه سبحانه هو الشاكر والشكور على الإطلاق، وأن شكره تعالى واجب على كل مكلف من غير خلاف؛ لأنه الذى يقبل القليل، ويعطى الكثير.

ثم اعلم أن لكل جارحة شكرًا يخصها. وعلى اللسان من ذلك مثل ما على سائر الجوارح، وقد أخبر رسول اللَّه ﷺ أن الأعضاء تقول للسان: « اتقِ اللَّهَ فإنَّما نحنُ بكَ، فإنْ استقمْتَ استقمْنا، وإنْ اعوجَجْتَ اعوجَجْنا »[2].

وشكر كل جارحة إنما هو باستعمالها بتقوى اللَّه العظيم فى امتثال ما يخصها من الطاعات، واجتناب ما يخصها من العصيان، فشكر البدن ألا تستعمل جوارحه فى غير طاعته، وشكر القلب ألا تشغله بغير ذكره ومعرفته، وشكر اللسان ألا تستعمله فى غير ثنائه ومدحه، وشكر المال ألا تنفقه فى غير رضاه ومحبته، ووراء ذلك تطوعات للشاكر والشكور، قام رسول اللَّه ﷺ من الليل حتى تورمت قدماه، فقيل له: تفعل هذا وقد

---

(١) الرازى (ص ٢٤٩، ٢٥٠).

(٢) حسن: الترمذى (٢٤٠٧) فى الزهد

غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** »(١) . أي : طالبًا للمزيد، لقوله تعالى : ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ [إبراهيم : ٧] .

(٢) ثم على المسلم أن يشكر من أسدى إليه معروفًا من الناس. قال ﷺ : « **لا يشكر الله من لا يشكر الناس** »(٢) ، فأمر الله تعالى بشكر الوالدين كما في قول الحق : ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** ﴾ [لقمان : ١٤] . إذا كانا سبب وجوده، وأمر بشكره إذا أوجده بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا، وهداه إلى معرفته، والإقرار بربوبيته ووحدانيته، فأبواه حدبا عليه، وربياه إلى أن صار يقوم بنفسه، فوجب شكرهما لذلك، فإذا عقهما بالإساءة إليهما، والمخالفة لأمرهما، فكأنه لم يشكر الله الذي أوجده وهداه، لارتباط أحد الإحسانين بالآخر .

وبهذا يكون للشكر ثلاثة أركان : الإقرار بنعمة المنعم، والاستعانة بها على طاعته، وشكر من أجرى النعمة له على يده تسخيراً منه وإليه .

وسُئل بعض الصلحاء عن الشكر، فقال : أن لا تتقوى بنعم الله على معاصيه(٣) .

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح** : متفق عليه : البخاري (١١٣٠) في التهجد، ومسلم (٢٨١٩) في صفات المنافقين .

(٢) **صحيح** : الترمذي (١٩٥٥) في البر والصلة .

(٣) الأسنى للقرطبي (١/ ٣٢٦ - ٣٢٨) .

• الشهيد •

قال اللَّه جلّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحج] .

وقال جل وعلا : ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء] .

وقال : ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة] .

قال الحليمي : إنه المطلع على مالا يعلمه المخلوقون إلا بالشهود وهو الحضور (١) .

وهو تعالى عالم الغيب والشهادة ، والغيب عبارة عمّا بطن ، والشهادة عبارة عمّا ظهر ، فإذا اعتبر العلم مطلقًا فهو العليم ، وإذا أضيف إلى الغيبة والأمور الباطنة فهو الخبير ، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة الحاضرة فهو الشهيد (٢) .

ومنها قوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [الرعد : ٩] .

وقال الشيخ السعدى - رحمه اللَّه - : (الرقيب) و(الشهيد) مترادفان ، وكلاهما يدل على إحاطة سمع اللَّه بالمسموعات وبصره بالمبصرات ، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية ، وهو الرقيب على ما دار فى الخواطر ، وما تحركت به اللواحظ ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء] ، وقال : ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [المجادلة] ، وبهذا كانت المراقبة التى هى من أعلى أعمال القلوب هى التعبد للَّه باسمه (الرقيب الشهيد) (٣) .

فإذا كان اللَّه رقيبًا على دقائق الخفيات ، مطلع على السرائر والنيات ، كان من باب أولى شهيدًا على الظواهر والجليات وهى الأفعال التى تفعل بالأركان أى : الجوارح (٤) .

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٤٦) .

(٢) المقصد الأسنى للغزالى (ص ٩٠) .

(٣) الحق الواضح المبين (ص ٥٨ ، ٥٩) .

(٤) شرح النونية للهراس (٢/ ٨٨) .

وقيل : هو الشهيد سبحانه لأنه مشهود له بالوحدانية، وعباده يقرون له بالعبودية، ويتأكد هذا الوجه بقوله تعالى : ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢]. فاللَّه تعالى طلب الشهادة من عباده على وحدانيته فشهدوا له بذلك، فكان مشهودًا له في هذه الدعوى، وهو شهيد قد بيّن توحيده وعدله، وصفات جلاله بنصب الدلائل، ووضع البينات، وفسّر بعضهم قوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران : ١٨]. بنصب الدلائل على التوحيد (١).

※ من معاني قوله تعالى : ﴿ وكفى باللَّه شهيدًا ﴾ :

قال الإمام ابن القيم : قال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩) ﴾ [النساء]، عقب قوله : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النساء : ٧٩] .

وذلك يتضمن أشياء :

منها : تنبيه أمته على أن رسوله الذي شهد له بالرسالة إذا أصابه ما يكره فمن نفسه فما الظن بغيره .

ومنها : أن حجة اللَّه قد قامت عليهم بإرساله، فإذا أصابهم سبحانه بما يسوؤهم لم يكن ظالمًا لهم في ذلك، لأنه قد أرسل رسوله إليهم يعلمهم بما فيه مصالحهم وما يجلبها عليهم، وما فيه مضرتهم وما يجلبها عليهم، فمن وجد خيرًا فليحمد اللَّه ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

ومنها : أنه سبحانه قد شهد له بالرسالة بما أظهره على يديه من الآيات الدالة على صدقه وأنه رسوله حقًا . فلا يضره جحد هؤلاء الجاهلين الظالمين المتطيرين به لرسالته وهو من شهد له رب السموات والأرض .

ومنها : أنهم أرادوا أن يجعلوا سيئاتهم وعقوباتهم حجة على إبطال رسالته فشهد له بالرسالة وأخبر أن شهادته كافية (٢). وذكر الشيخ معاني أخرى لا مجال لذكرها هنا .

---

(١) الرازي (ص ٢٧٨) .

(٢) شفاء العليل لابن القيم (ص ٢٩٧) .

❁ أثر معرفة هذا الاسم :

(١) شهود الأوقات التي تتنزل فيها الرحمات، ويتقرب فيها من الحق عز وجل، وقال الله تعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) ﴾ [الإسراء]، وقيل : يشهده الله عز وجل وملائكته، وقيل : يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، فيتفق نزول هؤلاء البدل عند صعود أولئك فيجتمعون في صلاة الفجر، وذلك لأنها هي أول ديوان النهار وآخر ديوان الليل فيشهده ملائكة الليل والنهار، واحتج لهذا القول بما في الصحيح من حديث الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة : قال : قال رسول الله ﷺ : « فَضْلُ صَلاَةِ الجَمِيعَ عَلَى صَلاَةِ الوَاحِدِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً »، ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر لقول أبي هريرة : « وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ »: ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) ﴾ [الإسراء]، رواه البخارى فى الصحيح[(١)] .

وليس المراد الشهادة العامة فإن الله على كل شيء شهيد، بل المراد شهادة خاصة وهى حضور ودنو متصل بدنو الرب ونزوله إلى سماه فى الشطر الأخير من الليل .

وقد روى الليث بن سعد : حدثنى زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد الأنصارى عن أبى الدرداء عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله عز وجل ينزل فى ثلاث ساعات يبقين من الليل، فيفتح الذكر فى الساعة الأولى الذى لم يره غيره فيمحو الله ما يشاء ويثبت، ثم ينزل فى الساعة الثانية إلى جنة عدن وهى داره التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهى مسكنه لا يسكنها معه من بنى آدم غير ثلاث وهم النبيون والصديقون والشهداء »، ثم يقول : « طوبى لمن دخلك، ثم ينزل فى الساعة الثالثة إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فتنتفض فيقول : قومى بعزتى . ثم يطلع إلى عباده فيقول : هل من مستغفر فأغفر له ؟ ألا من سائل يسألنى فأعطيه؟ ألا داع يدعونى فأجيبه ؟ حتى

---

(١) صحيح : البخارى (٦٤٩) فى الأذان .

تكون صلاة الفجر »؛ ولذلك يقول الله - عز وجل - : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [الإسراء]، يشهده الله عز وجل وملائكته ملائكة الليل والنهار [١]، [٢].

(٢) الخوف والرجاء من شهادته سبحانه، لكل الأحوال، فهو الذي يشهد السر والنجوى، في الدنيا والعقبى [٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) صحيح: كنز العمال (٢/ ٤٤٨٥) .

(٢) طريق الهجرتين (ص ٣٢٥) .

(٣) الرازي (ص ٢٧٩) .

• الصَّـــــادِق •

نطق به القرآن اسمًا وفعلاً، فقال وقوله الحق: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦) ﴾ [الأنعام]، وقال: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (١٢٢) ﴾ [النساء]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) ﴾ [النساء]، و﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾ [الزمر: ٧٤]، لم يذكره جماعة من العلماء في كتبهم كالقشيري وابن الحصَّار وغيرهما وقد خفي على جماعتهم استخراجه من كتاب اللَّه تعالى حتى قال الزجاجي: وهذه الصفة من صفاته سبحانه مستنبطة من سورة مريم من قوله: ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) ﴾ [مريم]، أي: آتيًا مفعول بمعنى فاعل، وإذا كان وعده آتيًا فهو صادق فيه، وكل شيء وعد اللَّه - عز وجل - عباده فهو كائن كما وعدهم لا محالة. وكذلك قال الزجاجي أبو القاسم في كتاب اشتقاق أسماء اللَّه - عز وجل - وصفاته المستنبطة من التنزيل. وقال القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب «الأمد» له: إن هذا الاسم لم يرد به القرآن، وجاء في السنة من حديث أبي هريرة من طريق عبد العزيز بن الترجمان، وورد فعلاً فيهما. وقال الأقليشي: لم ترد هذه الصفة عند الترمذي ولا وردت في القرآن بهذه الصيغة، لكن ورد: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (١٢٢) ﴾ [النساء]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) ﴾ [النساء]، قلت: عجبًا لهؤلاء الأئمة مع تبحرهم في كتاب اللَّه تعالى، والبحث عن معانيه وتفسيره، وتلاوته ليلاً ونهارًا كيف غفلوا عن هذا الاسم العظيم حتى يقولوا: إنه لم يرد في القرآن وإنما ورد فعله؟! فكأنهم - رحمهم اللَّه - لم يقرءوا سورة الأنعام لكن الذهول والنسيان يعتري الإنسان، والكمال إنما هو لذي الجلال.

ويجوز إجراء هذا الوصف منكرًا على العبد من غير خلاف قال اللَّه تعالى: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ [مريم: ٥٤]، ويقال: صدق الرجل فهو صادق

وصدوق للمبالغة. فأما قوله تعالى : ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) ﴾ [التوبة]، فالألف واللام إنما جاءت للتعريف والتفخيم لأمرهم لكثرة تصديقهم . وأكثرهم تصديقًا الصِّديق - بوزن فعِّيل للمبالغة - سماه رسول الله ﷺ بذلك فيما رواه على بن أبى طالب - رضى الله عنهم أجمعين - فمن صدق الآيات، وأتم بالدلالات، وأجال فكره فى الملكوت، وصدق الله فيما عاهده عليه ووفى فهو صدِّيق. وقد يقال لمن كثر صدقه : صدِّيق أيضًا .

والصدق ضد الكذب. وقد صدق فى الحديث، ويقال أيضًا : صدقه الحديث وتصادقًا فى الحديث والمودة، والمصدق الذى يُصَدِّقُكَ فى حديثك والذى يأخذ صدقة الغنم. والصِّدِّيقُ. مثال الفِسِّيق : الدائم الصدق الذى كثر صدقه. ويكون الذى يصدق قوله بالعمل، وصدَّق الله فى آياته وشواهده ودلائله وأسمائه وصفاته وأفعاله وحُكمه وكلماته، قال الله تعالى فى وصف نبيه : ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

والصادق فى وصفه سبحانه صفة ذاتية له راجعة إلى معنى كلامه. إذ الصدق ما تضمنه كلامه، وهو المتكلم به .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ [آل عمران : ١٥٢]، فالله تعالى صادق فى قوله، صادق فى حديثه، صادق فى وعده خاطب عباده فأخبرهم بما يرضيه عنهم ويسخطه عليهم، وبما لهم من الثواب عنده إذا أرضوه، ومن العقاب لديه إذا أسخطوه، فصدقهم ولم يغررهم، ولم يلبس عليهم، قاله الحليمى .

فجيب على كل مكلف أن يعلم أنه لا أحد أصدق من الله، وأن كل صادق وصدق فمن عنده، ثم يجب عليه الصدق فى جميع أقواله وكل أفعاله. قال رسول الله ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى البِرِّ، وَالبِرُّ يَهْدِى إِلَى الجَنَّةِ. وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويتحرى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا »[١] . درجة رفيعة وحلية سنية جليلة وهو أصل لكل حال، وأسٌّ لكل مقام .

---

(١) صحيح : متفق عليه : البخارى (٦٠٩٤) فى الأدب، ومسلم (٢٦٠٧) فى البر والصلة .

فكل من صدق وتحقق فى صدقه فقد نجا، فعليك بدوام الصدق حتى تكتب صديقًا.

والصادقون هم الذين أعطوا المجهود من أنفسهم لربهم فيما بينهم وبينه. وقد مدح من صدقه فيما به أمره فقال: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ [مريم: ٥٤]، وذم آخرين فقال: ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١) ﴾ [محمد].

وفى الحديث: «الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ وَالكَذِبُ رِيبَةٌ»[١]. أى: من دام على الصدق أثمر له طمأنينة فى قلبه إلى الحق، وسكونًا عن التردد فى الأمر ببركة الصدق. وعكسه الكذب، فإنه يُثمر لمن دام عليه ترددًا فى الأمر، واضطرابًا وقلة ثبات حتى لا يستقر على شيء، ولا يثبت على أمر، وهو مع ذلك على خطر لقوله - عليه السلام -: «إِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ؛ فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الفُجُورِ، وَالفُجُورُ يَهْدِى إِلَى النَّارِ. وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىْ الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»[٢]،[٣].

❁ ❁ ❁

(١) صحيح: الترمذى (٢٥١٨) فى صفة القيامة.

(٢) صحيح: متفق عليه: البخارى (٦٠٩٤) فى الأدب، ومسلم (٢٦٠٧) فى البر والصلة.

(٣) الأسنى للقرطبى (١/ ٤٥٣ - ٤٥٧).

• الصَّبُــــور •

لم يرد به التنزيل وإنما ورد في الصحيح : « **مَا أحدٌ أصْبَرُ عَلَى أذىً سَمِعَه مِنَ اللَّهَ عزّوجلّ يدعُونَ لَهُ وَلَدًا وهُوَ يُعَافيهم ويَرْزُقُهم** »(١) .

وفي أسماء الله الحسنى : الصبُور من أمثلة المبالغة (صبّارٌ وصبور) أبلغ من الصابر والصبار ، وقد اختلف في تأويل الصبر على ثلاثة أقوال :

الأول : إنه من صفات ذاته ، وإنه بمعنى حليم .

الثاني : إنه من صفات الذات ، ولكن يرجع إلى إرادة تأخير العقوبة ، والحليم يرجع إلى إسقاطها .

الثالث : إنه من صفات الفعل ، ويرجع إلى تأخير العقوبة .

والصحيح من هذا أن الصبور يرجع إلى الصبر إرادة تأخير العقوبة وهو المختار - كما ذكر القرطبي .

وذلك معنى قوله : « **لا أحد أصبر من الله، فإنه يعافيهم ويرزقهم، وهم يدعون له الصاحبة والولد** » ، فأشار إلى تأخير العقوبة عن الكبائر في الدنيا ، إذا لابد من معاقبته في الآخرة » .

فالصبر يرجع إلى تأخير العقوبة التي قدّر الله لها وقتًا وحدّ لها أجلاً محدودًا .

وهذا المعنى موجود في قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ** ﴾ [النحل : ٦١] .

وقـوله : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢)** ﴾ [إبراهيم] .

---

(١) صحيح : متفق عليه البخاري (٦٠٩٩) في الأدب ، ومسلم (٢٨٠٤) في صفات المنافقين .

وقال الأقليشي : والصبور في وصف اللَّه تعالى يحتمل أن يكون وصفًا لذاته سلبيًا، ويحتمل أن يكون وصفًا ذاتيًا، ويحتمل أن يكون فعليًا .

فأما الصفة السلبية : فلبراءته عن الطّيش والعجلة ولصبره عن دعوى المفترين ؛ ولهذا أشار النبي ﷺ إذ قال : « **لا أحد أصبر من اللَّه** » .

وأما الصفة الثانية : فإن روح الصبر وتحقيقه هو الثبات، واللَّه سبحانه هو الثابت الذي لا يحول، والدائم الذي لا يزول، فإن قلنا : إن الصبر بمعنى الثبوت صحّ أنه وصف ذاتي .

وأما الصفة الفعلية : فهو أن يكون صبور من الصيغ المتعددة كضروب وقطوع من ضرب وقطع، فيكون اللَّه تعالى اتصف بالصبور ؛ لأنه صبّر قلوب عباده الصابرين بخلق الصبر فيها، حتى لم تملْ إلى دواعي الهوى .

وهذا من أبدع ما قيل في هذا الصبر .

والصبور أيضًا اسم يختص بإمهال العُتاة، وتأخير الانتقام - كما ذكرنا في الحليم .

وفي التنزيل : ﴿ **تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١)** ﴾ [مريم]، وقال : ﴿ **وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦)** ﴾ [إبراهيم] .

فمن علم ما وجب للَّه سبحانه من العزة والجلال والعظمة والكمال والكبرياء والجلال، وعلم اقتداره سبحانه على ما يشاء، علم أنه الصبور على إذاية من آذاه، وافترى عليه، وعلم أن صبره سبحانه ليس حبس النفس على ما يُكره، وعلم أنه سبحانه لا يتألم بالإمهال، وكل ما يُؤذى به أولياؤه فهو صبور عليه، وهذه وجوه من الاختصاص لا تصح إلا للَّه تعالى [١] .

وقد فرّق ابن القيم بين صبر اللَّه تعالى، وصبر العباد، وبين الصبر وبين الحلم فقال : وصبر اللَّه تعالى يفارق صبر المخلوق، ولا يماثله من وجوه متعددة :

---

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ١٣٨ - ١٤٠) .

منها : أنه عن قدرة تامة ، ومنها ، أنه لا يخاف الغوث ، والعبد إنما يستعجل الخوف الغوث ، ومنها أنه لا يلحقه بصبره ألم ولا حزن ولا نقص بوجه ما ، وظهور اسمه (الصبور) في العالم مشهود بالعيان كظهور اسمه الحليم .

* الفرق بين الصبر والحلم :

إن الصبر ثمرة الحِلْم وموجبه ، فعلى قدر الحلم العبد يكون صبره ، فالحلم في صفات الرب تعالى أوسع من الصبر ؛ ولهذا جاء اسم الحليم في القرآن في غير موضع ، ولسعته يقرنه سبحانه باسمه العليم كقوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) ﴾ [النساء] ، وفي غير موضع من القرآن ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) ﴾ [النساء] ، ومواضع عدة في القرآن .

والمخلوق عن جهل ويعفو عن عجز ، والرَّبّ تعالى يحلم مع كمال علمه ، ويعفو مع تمام قدرته ، وما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم ، ومن عفو إلى اقتدار ؛ ولهذا كان في دعاء الكرب وصف سبحانه بالحلم مع العظمة وكونه حليمًا من لوازم ذاته سبحانه[١] .

وأما صبره سبحانه ، فمتعلق بكفر العباد ، وشركهم ، ومسبتهم له سبحانه ، وأنواع معاصيهم وفجورهم ، فلا يزعجه ذلك كله إلى تعجيل العقوبة ، بل يصبر على عبده ، ويمهله ، ويستصلحه ، ويرفق به ، ويحلم عنه ، حتى إذا لم يبق فيه موضع للصنيعة ، ولا يصلح على الإمهال والرفق والحلم ، ومن باب البلاء والنقم - أخذه أخذ عزيز مقتدر ، بعد غاية الأعذار إليه ، وبذل النصيحة له ، ودعائه إليه من كل باب . وهذا كله من موجبات صفة حلمه ، وهي صفة ذاتية لا تزول .

وأما الصبر ، فإذا زال متعلقه ، كان كسائر الأفعال التي توجد وجود الحكمة ، وتزول بزوالها . فتأمله ، فإنه فرق لطيف ما عثرت الحذاق بعثره ، وقل من تنبه له ونبه عليه ،

---

(١) عدة الصابرين لابن القيم (ص ٢٨١ ، ٢٨٢) ، والحديث الذي أشار إليه في الكرب سبق تخريجه وبدايته : « لا إله إلا الله العظيم الحليم .... » .

وأشكل على كثير منهم هذا الاسم، وقالوا: لم يأت في القرآن. فأعرضوا عن الاشتغال به صفحًا، ثم اشتغلوا بالكلام في صبر العبد وأقسامه، ولو أنهم أعطوا هذا الاسم حقه، لعلموا أن الرب تعالى أحق به من جميع الخلق، كما هو أحق باسم العليم، والرحيم، والقدير، والسميع، والبصير، والحي، وسائر أسمائه الحسنى - من المخلوقين - وأن التفاوت الذي بين صبره سبحانه وصبرهم، كالتفاوت الذي بين حياتهم وحياته، وعلمه وعلمهم، وسمعه وسمعهم، وكذا سائر صفاته[1].

* من مظاهر صبر الله تعالى على عباده:

(١) وإذا أردت معرفة صبر الرب تعالى وحلمه، والفرق بينهما، فتأمل في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** (٤١) ﴾ [فاطر]، وقوله: ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا** (٨٨) **لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا** (٨٩) **تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا** (٩٠) **أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا** (٩١) ﴾ [مريم]، وقوله: ﴿ **وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ** (٤٦) ﴾ [إبراهيم]، على قراءة من فتح اللام.

فأخبر سبحانه أن حلمه ومغفرته يمنعان زوال السموات والأرض، فالحلم وإمساكهما أن تزولا هو الصبر، فبحلمه صبر عن معالجة أعدائه.

وفي الآية إشعار بأن السموات والأرض تهم وتستأذن بالزوال لعظم ما يأتي به العباد، فيمسكها بحلمه ومغفرته. وذلك حبس عقوبته عنهم، وهو حقيقة صبره تعالى. فالذي عنه الإمساك هو صفة الحلم، والإمساك هو الصبر، وهو حبس العقوبة، ففرق بين حبس العقوبة وبين ما صدر عنه حبسها، فتأمله[2].

(٢) **وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -**: ليس عند ربكم ليلٌ ولا نهار، نور السموات والأرض من نور وجهه، وأن مقدار يوم من أيامكم عنده اثنتا عشرة ساعة

---

(١) عدة الصابرين لابن القيم (ص ٢٨٢).

(٢) السابق: (ص ٢٨٢).

فتعرض عليه أعمالكم بالأمس أول النهار اليوم، فينظر فيها ثلاث ساعات، فيطلع منها على ما يكره فيغضبه ذلك، فأول من يعلم بغضبه حملة العرش يجدونه يثقل عليهم، فتسبحه حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة، حتى ينفخ جبريل فى القرن فلا يبقى شىء إلا يسمع، فيسبحون الرحمن ثلاث ساعات حتى يمتلئ الرحمن رحمة، فتلك ست ساعات. قال: ثم يؤتى بالأرحام، فينظر فيها ثلاث ساعات، فذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٦] ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ [الشورى]، فتلك تسع ساعات. ثم يؤتى بالأرزاق فينظر فيها ثلاث ساعات، فذلك قوله: ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد: ٢٦].

ولما ذكر سبحانه فى سورة الأنعام أعداءه وكفرهم وشركهم وتكذيب رسله، ذكر فى أثر ذلك شأن خليله إبراهيم، وأراه من ملكوت السموات والأرض، وما حاج به قومه فى إظهار دين اللّه وتوحيده.. ثم ذكر الأنبياء من ذريته، وأنه هداهم وآتاهم الكتاب والحكم والنبوة، ثم قال: ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) ﴾ [الأنعام]، فأخبر أنه سبحانه، كما جعل فى الأرض من يكفر به، ويجحد توحيده، ويكذب رسله، كذلك جعل فيها من يؤمن بما كفر به أولئك، ويصدق بما كذبوا به، ويحفظ من حرماته ما أضاعوه.

وبهذا تماسك العالم العلوى والسفلى، وإلا فلو تبع الحق أهواء أعدائه لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ولخرب العالم؛ ولهذا جعل سبحانه من أسباب خراب العالم رفع الأسباب الممسكة له من الأرض، وهى كلامه وبيته ودينه والقائمون به. لا يبقى لتلك الأسباب المقتضية لخراب العالم أسباب تقاومها وتمانعها.

ولما كان اسم الحليم أدخل فى الأوصاف، واسم الصبور فى الأفعال، كان الحلم أصل الصبر، فوقع الاستغناء بذكره فى القرآن عن اسم الصبور.. واللّه أعلم[1].

---

(١) عدة الصابرين: (ص ٣٨٣ - ٣٨٥).

❁ أثر معرفة هذا الاسم :

(١) يجب على العبد أن يصبر، ويتصابر، ويصابر، وقد أمره اللَّه تعالى بذلك فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ومنه الصبر على أذية المؤذين، وإساءة المسيئين، واللَّه تعالى يحب الصابرين، والصابر هو دائم القهر لهواه، ومالك شهواته، والمتصبر: المتكلف ليكسب الصبر مرة بعد أخرى، والصبّار: هو المتمرن في الصبر لتكرره حتى لا يفكر فيما يترقيه من ذلك، وفيهم قال اللَّه تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [البقرة][١].

(٢) قطع الالتفات عن غير اللَّه، وتكميل التوكل عليه تعالى، والاستعانة به وحده، وإفراده بالخوف والرجاء، ودفع الضرّ وجلب الخير، وهو الذي يمس بالضر بمشيئته، وهو الذي يدفعه بمشيئته، وهو المستعاذ بمشيئته من مشيئته، وهو المعيذ من فعله بفعله، وهو الذي سبحانه خلق ما يصبر عليه وما يرضى به، فإذا أغضبه معاصي الخلق وكفرهم وشركهم وظلمهم، أرضاه تسبيح ملائكته وعباده المؤمنين له وحمدهم إياه، وطاعتهم له، فيعيذ رضاه من غضبه كما في دعائه ﷺ: **« أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقوبتك، وأعوذ بك منك »**[٢]، [٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ١٤١، ١٤٢)، والعز في الشجرة (ص ٨٤).

(٢) حسن: الترمذي (٣٥٦٦)، وقال: حسن غريب.

(٣) عدة الصابرين لابن القيم (ص ٢٨٤).

• الصَّمَد •

قال اللَّه - عز وجل - : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) ﴾ [الإخلاص] .

قال الخطابي : الصمد الذى يُصمد إليه فى الأمور ويقصد إليه فى الحوائج والنوازل .

وأصل الصمد : القصد ، ويقال للرجل : اصمد صمد فلان . أى : اقصده قصده [(١)] .

وروى البيهقى بسنده عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **الصمد** ﴾ ، قال : السيد الذى كمل فى سؤدده ، والشريف الذى كمل فى شرفه ، والعظيم الذى قد كمل فى عظمته ، والحليم الذى قد كمل فى حلمه ، والغنى الذى قد كمل فى غناه ، والجبار الذى قد كمل فى جبروته ، والعالم الذى قد كمل فى علمه ، والحكم الذى قد كمل فى حكمه ، وهو الذى قد كمل فى أنواع الشرف والسؤدد ، وهو اللَّه - عز وجل - هذه صفته التى لا تنبغى إلا له ، ليس له كفوًا أحد ، وليس كمثله شىء ، فسبحان اللَّه الواحد القهار .

وعن ابن عباس أيضًا : الصمد الذى لا جوف له .

وقال الزجاجى : كأن البيهقى ذهب إلى نفى التجسيم ، والتحديد عنه - عز وجل .

وقال ابن العربى : الصمد الْمُصْمت الذى هو شىء واحد لقرب صمد من صمت ، فإن الصمد : القصد وقد ذكره الخطابى قريبًا .

وقيل : الصمد هو الذى لا يتبعض ، فنفى عنه التركيب والتبعيض مُطلقًا .

والصمد : هو الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ؛ لأنه ليس شىء يولد إلا سيموت ، وليس شىء يموت إلا سيورث ، وإن اللَّه لا يموت ولا يورث ﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)** ﴾ [الإخلاص] فلا شبيه ولا عدْل ، وليس كمثله شىء .

---

(١) الأسماء والصفات (ص ٥٩) للبيهقى .

والصمد على هذا هو: الذى لا يخرج منه شيء، ولا يأكل ولا يشرب، والباقى بعد فناء خلقه، والمستغنى عن كل أحد، والمحتاج إليه كل أحد، والمقصود فى الرغائب، والمستعان به فى المصائب .

وهو الكامل الذى لا عيب فيه، وبذلك يتشعب من صفات الصمد صفات السؤدد كلها من الجود والحلم وغير ذلك من العزة والعلو والقهر[(١)] .

* من لطائف كلمات الإمام ابن القيم فى اسم الله (الصمد) :

فهذا الرب الذى له هذا الجند العظيم ولا ينزلون إلا بأمره، وهو المالك ما بين أيديهم وما خلفهم، وما بين ذلك. فهو الذى قد كملت قدرته وسلطانه، وملكه، وكمل علمه، فلا ينسى شيئًا أبدًا، وهو القائم بتدبير أمر السموات والأرض وما بينهما، كما هو الخالق لذلك كله، وهو ربه ومليكه، فهذا الرب هو الذى لا سمى له، لتفرده بكمال هذه الصفات والأفعال، فأما من لا صفة له ولا فعل ولا حقائق لأسمائه إن هى إلا ألفاظ فارغة من المعانى، فالعدم سمى له، وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:١١].

فإنه سبحانه ذكر ذلك، بعد ذكر نعوت كماله، وأوصافه فقال: ﴿ حم ۝١ عسق ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦ ﴾، إلى قوله: ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ [الشورى].

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ١٧٧ - ١٨٦) بتصرف، والبيهقى (ص ٥٩) فى الأسماء والصفات، ومعارج القبول (١/ ٨٨، ٨٩)، والصواعق المرسلة (ص ١٠٢٣)، وابن كثير (٨/ ٤١٢، ٤١٣)، والرازى (ص ٣٠٣ - ٣٠٥).

فهذا الموصوف بهذه الصفات والنعوت والأفعال والعلو والعظمة والحفظ والعزة والحكمة والملك والحمد والمغفرة والرحمة والكلام والمشيئة والولاية، وإحياء الموتى، والقدرة التامة الشاملة، والحكم بين عباده، وكونه فاطر السموات والأرض وهو السميع البصير فهذا هو الذى ليس كمثله شيء لكثرة نعوته وأوصافه، وأسمائه، وأفعاله، وثبوتها له على وجه الكمال، الذى لا يماثله فيه شيء، فالمثبت للصفات والعلو والكلام والأفعال وحقائق الأسماء، هو الذى يصفه سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[(١)].

❊ ثمرة التعرف على هذا الاسم:

(١) يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا صمدية ولا وحدانية إلا لله وحده، فلا يقصد غيره، ولا يلجأ فى حوائجه إلا إليه، ثم عليه أن يتخلق بأخلاق السيادة والسادة، حتى يكون مصموداً، وبابه مقصوداً[(٢)].

(٢) أنتهاء الطلب إلى الله بلا واسطة من خلقه كما يفعل القبوريون باللجوء إلى القبور لينل المطالب والمبتغيات، فتجدهم خاشعين أمام القبر كما يخشون الله بل أشد خشية.

(٣) الرجوع إلى الله تعالى فى الاحتكام إلى الشريعة، وردّ كل ما نزل ووقع من الحوادث إليها، والرجوع إلى الكتاب والسنة أنزلهما الله تعالى الصمد الذى تمت صفات كماله وجلاله.

❊ ❊ ❊

---

(١) ابن القيم: الصواعق المرسلة (١٠٢٣).

(٢) الأسنى للقرطبى (١/ ١٨٦).

• الضــــار النــافــــع •

جاء ذكرهما فى حديث أبى هريرة وأجمعت عليهما الأمة وليس لهما فى كتاب اللَّه تعالى ذكر اسم ولا فعل غير قوله : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ [الأنعام : ١٧]، وهما أسمان حاصران لزمامى المملكة دالان على انفراد الخالق سبحانه بالأفعال وتنفيذ مراداته فى خلقه فلا ضرر ولا نفع إلا من عنده وهذا بيِّن لا إشكال فيه، ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الأعراف : ١٨٨]، فكل شىء فى قبضته، ومنفذ بحكم تدبيره عن قضائه ومشيئته، لكن ذوى النظر القاصر نسبوا إلى الأسباب ما ينبغى أن ينسب إلى رب الأرباب؛ وهؤلاء يصدق فيهم قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥) ﴾ [الزخرف]، ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦) ﴾ [الرعد]، خلق كل شىء فقدره تقديراً هو الذى استودع العقاقير منافع الأدوية ومضارها، واستودع الإماتة فى الموت، واستودع الألم فى الضرب، وجميع المؤلمات، واستودع الشبع والرى فى ذوات المطعومات والمشروبات، واستودع التنفيذ كله فى التدبر وافتتح لجميع ذلك بيده وبيده ملكوت كل شىء فلا يصدر صادر من ذلك كله إلا عن إرادته وحكمه وخلقه له واختراعه إياه - تعالى اللَّه عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

قال الحليمى : ولا يجوز أن يدعى بالضار وحده حتى يجمع بين الاسمين، وقال الخطابى : وفى اجتماع هذين الاسمين وصف للَّه تعالى بالقدرة على نفع من شاء وضر من شاء؛ وذلك أن من لم يكن على النفع والضر قادراً لم يكن موجوداً ولا مخلوقاً.

روى ابن عباس قال : كنت ردف رسول اللَّه ﷺ فقال لى رسول اللَّه ﷺ : « يَا غُلاَمُ أَوْ يَا بُنَيَّ، أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ ؟» قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْهُ تَجِدْهُ أَمَامَكَ ؛ تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فَلَوْ أَنَّ

الخلق كلهم جميعًا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يقضه الله لم يقدروا عليه، واعمل لله بالشكر في النعم، واعلم أن اليقين في الصبر على ما تكره وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرًا »[١].

قال أبو محمد عبد الحق: خرجه أبو بكر بن ثابت الخطيب في كتاب الفصل الموصل وهو حديث صحيح وقد خرجه الترمذي وهذا أتم.

* ثمرة معرفة هذا الاسم:

(١) فيجب على كل مسلم أن يعلم أن لا نافع ولا ضار إلا الله وحده وكلاهما فعله وهما من أسماء الأفعال كما ذكرنا بلا خلاف، فلا فاعل في الوجود إلا الله تعالى، فكل نفع يدر على العبد في الدنيا فهو من الله تعالى، وكل عبد صدر منه منفعة فهو مسخر من الله تعالى بها، وكذلك القول في الضر فالدنيا مقسمة بين ضر ونفع، والأخرى كذلك. فالجنة نفع صاف، والنار ضر خالص. وما في الدنيا من ضر فقد يعود إلى محل نفع في الأخرى فيكون ضرًا مجازيًا، وقد يعود إلى محل الضر في الأخرى فيكون ضرًا حقيقيًا. وكذلك إذا استقربت جميع منافع الدنيا وجدت فيها منافع مجازية وحقيقية والمنفعة الحقيقية هي التي تنفعك في الأخرى وترفعك إلى الذروة العليا، فحقك أن تحدق إليها عين قلبك في الدنيا حتى يتيحها لك الله تعالى. ومهما أتاح لك منفعة فانفع غيرك ولا تكنز عنه خيرك فبذلك تكون لنفسك نافعًا ويكون نفعك لك عند الله شافعًا[٢].

(٢) وأن يكون العبد ضارًا بأعداء الله، نافعًا لأولياء الله كما قال تعالى: ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ [المائدة: ٥٤]، ولا يرجو أحدًا، ولا يخشى أحدًا، سوى الله تعالى، ويكون اعتماده بالكليه عليه[٣].

(٣) بذل المنافع لكل دان وساشع[٤].

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) في صفة القيامة.

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١/ ٣٥٢ - ٣٥٤).

(٣) الرازي (ص ٣٣١)، والغزالي في المقصد (ص ١٠٥).

(٤) العز (ص ٩١) في الشجرة.

• الـعَـــــدل •

قال اللَّه العظيم : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام : ١١٥] ، وإذا كانت كلماته العدل فهو العدل ؛ لأن كلماته هى كلامه ، وكل فعل من أفعاله إنما يقع بكلامه فكلامه صدق [١] .

والعدل فى صفة اللَّه تعالى يكون وصفًا ذاتيًا له بمعنى :سلب الجور - الظلم - عنه ، فيرجع إلى حكمه الأزلى فى عباده ، ويكون الإقساط فعله الصادر عن هذا الحكم العدل - كما سيأتى فى وصفه المقسط ، وقد يكون هو (ذو العدل) فيكون ذلك من صفات الأفعال .

فاللَّه تعالى العادل المطلق الذى قوله حق وفعله حق ، وقضاؤه الفصل ، وحكمه العدل ، يقبض ويبسط ويعطى ويمنع ، ويعز ويذل ، ويرفع ويخفض ، ويقدم ويؤخر ، ويضر وينفع ، ويعصم ويفتن ، ويغنى ويفقر ، ويصح ويسقم ، ويعافى ويبتلى ، ويفعل ما يريد بحكم الْمُلك وحكم الوحدانية ، فلو عذّب الخلق أجمعين من نبى مرسل وملك مقرب ، وعبد صالح كتعذيبه للكفار والعصاة لكان ذلك عدلاً منه ، كما لو نعّم الجميع فى جناته لكان ذلك فضلاً منه ، وإذا نوعهم نوعين وفرقهم فريقين فريقًا فى الجنة ، وفريقًا فى السعير ، فتلك حكمة بالغة ، فعذابه للجميع عدل ، ورحمته للجميع فضل ، وتفريقه حكمة ، وعن هذا قال بعض العلماء : نعوذ باللَّه من عدله ، ونسأل اللَّه من فضله ، وترغب إليه فى أفضل وجهى حكمته .

فهذا الاسم يتضمن الحكم والحكمة ، وكل ما تعلق بهما من الصفات ، وإنما يتصف بالجور ونقيض العدل من كان له هوى فاتبع هواه ، أو كان لغيره عليه حق فمنعه ، أو حكم ما يخالف مولاه ، وكل من اتصف بالعدل سواه مجاهد لغرضه وهواه ، ومتبع لما حدّ له مولاه ، وذلك محال على رب العالمين [٢] .

---

(١)الأسنى للقرطبى (١/ ٤٤١) . (٢)الأسنى للقرطبى (١/ ٤٤٣ ، ٤٤٤) .

والعدل : هو الذى له أن يفعل ما يريد، وحكمه ماض فى العبيد[١] .

وهو سبحانه العدل الذى يتصرف فى عباده، فهو على صراط مستقيم فى فعله وقوله، وقضائه، وأمره ونهيه، وثوابه وعقابه، فخبره كله صدق، وقضاؤه كله عدل، وأمره كله مصلحة، والذى نهى عنه كله مفسدة وثوابه لمن يستحق الثواب بفضله ورحمته، وعقابه لمن يستحق العقاب بعدله وحكمته[٢] .

وعلى هذا فالله تعالى قادر على الظلم لكن لا يفعله فضلاً منه، وجوداً وكرماً وإحساناً إلى عباده .

وقد فسّر كثير من العلماء الظلم : بأنه وضع الأشياء فى غير مواضعها، وهذا مستحيل عليه سبحانه وغير مقصور فى حقه .

وقد قال أبى بن كعب يقول : لو أن الله تعالى عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولقد سئل ابن مسعود فقال مثل ذلك، ثم قال زيد بن ثابت مثل ذلك عن النبى ﷺ[٣] .

❊ الفرق بين الحكم والقضاء، ومظاهر عدله سبحانه :

وفرق بين الحكم والقضاء وجعل المضاء للحكم والعدل للقضاء، فإن حكمه سبحانه يتناول حكمه الدينى الشرعى وحكمه الكونى القدرى، والنوعان نافذان فى العبد ماضيان فيه، وهو مقهور تحت الحكمين قد مضيا فيه ونفذا فيه. شاء أم أبى، لكن الحكم الكونى لا يمكنه مخالفته. وأما الدينى الشرعى فقد يخالفه .

ولما كان القضاء هو الإتمام والإكمال، وذلك إنما يكون بعد مضيه ونفوذه قال : عدل فىَّ قضاؤك أى : الحكم الذى أكملته وأتممته ونفذته فى عبدك عدل منك فيه، وأما الحكم

---

(١) الرازى (ص ٢٣٩) .

(٢) الفوائد لابن القيم (ص ٣٢) .

(٣) ابن رجب الحنبلى فى جامع العلوم والحكم (ص ٣٢٣ ، ٣٢٤)، والحديث عند أبى داود (٤٦٩٩) فى السنة .

فهو ما يحكم به سبحانه وقد يشاء تنفيذه وقد لا ينفذه، فإن كان حكمًا دينيًا فهو ماض فى العبد وإن كان كونيًا فإن نفذه سبحانه مضى فيه وإن لم ينفذه اندفع عنه، فهو سبحانه يقضى ما يقضى به، وغيره قد يقضى بقضاء ويقدر أمراً ولا يستطيع تنفيذه. وهو سبحانه يقضى ويمضى فله القضاء والإمضاء.

وقوله : عدل فى قضاؤك يتضمن جميع أقضيته فى عبده من كل الوجوه من صحة وسقم. وغنى وفقر. ولذة وألم. وحياة وموت. وعقوبة وتجاوز وغير ذلك قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾ [الشورى : ٣٠]، وقال : ﴿ **وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ** ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشورى]، فكل ما يقضى على العبد فهو عدل فيه.

(فإن قيل) : فالمعصية عندكم بقضائه وقدره، فما وجه العدل فى قضائها ؟ فإن العدل فى العقوبة عليها غير ظاهر، قيل : هذا سؤال له شأن ومن أجله زعمت طائفة أن العدل هو المقدور والظلم ممتنع لذاته، قالوا : لأن الظلم هو التصرف فى ملك الغير والله له كل شىء، فلا يكون تصرفه فى خلقه إلا عدلاً.

وقالت طائفة : بل العدل أنه لا يعاقب على ما قضاه وقدره، فلما حسن منه العقوبة على الذنب علم أنه ليس بقضائه وقدره فيكون العدل هو جزاؤه على الذنب بالعقوبة والذم إما فى الدنيا وإما فى الآخرة، وصعب على هؤلاء الجمع بين العدل وبين القدر، فزعموا أن من أثبت القدر لم يمكنه أن يقول بالعدل. ومن قال بالعدل لم يمكنه أن يقول بالقدر، كما صعب عليهم الجمع بين التوحيد وإثبات الصفات، فزعموا أنه لا يمكنهم إثبات التوحيد إلا بإنكار الصفات فصار توحيدهم تعطيلاً وعدلهم تكذيبًا بالقدر.

وأما أهل السنة فهم مثبتون للأمرين، والظلم عندهم هو وضع الشىء فى غير موضعه كتعذيب المطيع ومن لا ذنب له، وهذا قد نزه الله نفسه عنه فى غير موضع من كتابه، وهو سبحانه وإن أضل من شاء وقضى بالمعصية والغى على من شاء فذلك محض العدل فيه

أسمائه الحسنى : ﴿ الْعَدْلُ ﴾ الذى كل أفعاله وأحكامه سداد وصواب وحق، وهو سبحانه قد أوضح السبل، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب وأزاح العلل، ومكن من أسباب الهداية والطاعة بالإسماع والإبصار والعقول، وهذا عدله . ووفق من شاء بمزيد عناية وأراد من نفسه أن يعينه ويوفقه فهذا فضله، وخذل من ليس بأهل لتوفيقه وفضله وخلى بينه وبين نفسه، ولم يرد سبحانه من نفسه أن يوفقه، فقطع عنه فضله ولم يحرمه عدله . وهذا نوعان :

أحدهما : ما يكون جزاء منه للعبد على إعراضه عنه وإيثار عدوه فى الطاعة والموافقة عليه وتناسى ذكره وشكره فهو أهل أن يخذله ويتخلى عنه .

والثانى : ألا يشاء له ذلك ابتداء لما يعلم منه أنه لا يعرف قدر نعمة الهداية ولا يشكره عليه، ولا يثنى عليه بها ولا يحبه فلا يشاؤها له لعدم صلاحية محله . قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣) ﴾ [الأنعام]، وقال : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٣]، فإذا قضى على هذه النفوس بالضلال والمعصية، كان ذلك محض العدل، كما إذا قضى على الحية بأن يُقتل وعلى العقرب، وعلى الكلب العقور، ، كان ذلك عدلاً فيه، وإن كان مخلوقًا على هذه الصفة [١] .

❁ أثر معرفة هذا الاسم :

(١) يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا عدل على الإطلاق إلا اللَّه وحده، وأن كل عدل وعدالته فمن اللَّه سبحانه، وأن كل حكم ليس منه فهو جور وباطل، ثم يجب عليه بعد ذلك أن يستسلم لقضائه، وأن يعدل فى أقواله وأفعاله وأحكامه، قال اللَّه تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء : ١٣٥] .

---

(١) الفوائد (ص ٣٣ ، ٣٤) .

قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي أَنْفُسِهِم وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا »(١) .

(٢) أن يخاف الظالم من عدلك ، ويرجو المظلوم فضلك ، والتسوية بين الفقير والغنى ، والضعيف والقوى ، والقريب والأجنبى ، والعدو والولى ، والعدل بين الأهل والعيال(٢) .

* * *

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٤٤٤ ، ٤٤٥) ، والحديث صحيح : مسلم (١٨٢٧) فى الإمارة .

(٢) شجرة المعارف (ص ٨٧) .

• العَزِيزُ •

قال اللَّه تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ④ ﴾ [إبراهيم : ٤] .

قال الخطابى : العزيز : هو المنيع الذى لا يغلب ، والعز قد يكون بمعنى الغلبة ، يقال منه : عز يُعز بضم العين من يعز ، وقد يكون بمعنى الشدة والقوة ، يقال منه : عَز يعَز بفتح العين ، وقد يكون بمعنى نفاسة القَدْر ، يقال منه : عزّ الشىء يعز بكسر العين ، فيتناول معنى العزيز على هذا أنه لا يعادله شىء ، وأنه لا مثل له . واللَّه أعلم [(١)] .

وقال ابن القيم : وهو أنه سبحانه العزيز الذى يقضى بما يشاء ، وأنه لكمال عزته حكم على العبد وقضى عليه ، بأن قلب قلبه وصرف إرادته على ما يشاء . وحال بين العبد وقلبه . وجعله مريداً شائيًا لما شاء منه العزيز الحكيم . وهذا من كمال العزة . إذ لا يقدر على ذلك إلا اللَّه . وغاية المخلوق : أن يتصرف فى بدنك وظاهرك . وأما جعلك مريداً شائيًا لما يشاؤه منك ويريده : فلا يقدر عليه إلا ذو العزة الباهرة [(٢)] .

وقال الغزالى : العزيز : هو الذى يقل وجود مثله ، وتشتد الحاجة إليه ، ويصعب الوصول إليه ، فما لم تجتمع هذه المعانى الثلاثة فيه ، لم يطلق عليه اسم العزيز ، فكم من شىء يقل وجوده ، ولكن لا يُحتاج إليه فلا يسمى عزيزاً ، وقد يكون بحيث لا مثل لها ، والانتفاع بها عظيم جداً ، ولكن يسهل الوصول إليه ، فلا يسمى عزيزاً كالشمس مثلاً ، فإنه لا مثيل لها ، والانتفاع بها عظيم جداً ، ولكن لا توصف بالعزة ، فإنه لا يصعب الوصول إليها [(٣)] .

فهو سبحانه الذى يُحتاج إليه فى كل شىء فى ذاته وصفاته وبقائه ، ولا قدرة لأحد

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٣٤) .

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٠٥) .

(٣) المقصد الأسنى للغزالى (ص ٤٧) .

عليه، وقدرته على الكل حاصلة، ولا سبيل للعقول إلى الإحاطة به، ولا سبيل للأبصار إلى الإحاطة بعظيم جلاله، ولا سبيل لأحد من الخلق إلى القيام بشكر آلائه ونعمائه، فثبت أن كمال هذه الصفات حاصلة للَّه سبحانه وتعالى لا لغيره، فوجب القطع بأنه سبحانه وتعالى هو العزيز المطلق[١].

* ثمرة معرفة هذا الاسم:

(١) فإذا عرف العبد عز سيده ولاحظه بقلبه، وتمكن شهوده منه، كان الاشتغال به عن ذل المعصية أولى به وأنفع له؛ لأنه يصير مع اللَّه لا مع نفسه.

(٢) **ومن معرفة عزته في قضائه**: أن يعرف أنه مدبر مقهور، ناصيته بيد غيره. لا عصمة له إلا بعصمته. ولا توفيق له إلا بمعونته. فهو ذليل حقير، في قبضة عزيز حميد.

(٣) **ومن شهود عزته أيضًا في قضائه**: أن يشهد أن الكمال والحمد، والغناء التام، والعزة كلها للَّه، وأن العبد نفسه أولى بالتقصير والذم، والعيب والظلم والحاجة. وكلما ازداد شهوده لذله ونقصه وعيبه وفقره، ازداد شهوده لعزة اللَّه وكماله، وحمده وغناه. وكذلك بالعكس. فنقص الذنب وذلته يطلعه على مشهد العزة.

(٤) **ومنها**: أن العبد لا يريد معصية مولاه من حيث هي معصية، فإذا شهد جريان الحكم، وجعله فاعلاً لما هو غير مختار له، مريد بإرادته ومشيئته واختياره. فكأنه مختار غير مختار، مريد غير مريد، شاء غير شاء. فهذا يشهد عزة اللَّه وعظمته، وكمال قدرته[٢].

* * *

---

(١) الرازي (ص ١٩١).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٠٥).

• الـعَـظِـيــــمُ •

قال اللَّه تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) ﴾ [البقرة] ، [الشورى : ٤] .

وعن ابن عباس - رضى اللَّه عنهما - قال : كان النبى ﷺ يقول عند الكرب : « لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ ، لاَ إِلَه إلاَّ اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ ، لاَ إِلَه إلاَّ اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ، لاَ إِلَهُ إلاَّ اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأرْضِين ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيم »(١) .

قال الحليمى : العظيم : هو الذى لا يمكن الامتناع عليه بالإطلاق ؛ ولأن عظيم القوم إنما يكون مالك أمورهم الذى لا يقدرون على مقاومته ومخالفة أمره إلا أنه وإن كان كذلك ماهيته فقد يلحقه العَجز بآفات قد تدخل عليه فيما بيَده فيوهنه ويضعفه حتى يستطاع مقاومته ، بل قهره وإبطاله ، واللَّه تعالى - جلّ ثناؤه - قادر لا يعجزه شيء ، ولا يمكن أن يُغصَ كَرْهًا أو يُخَالَف أمره قهرًا ، فهو العظيم حقًا وصدقًا ، وكان هذا الاسم لمن دونه مجازًا(٢) .

وقال الخطابى : العظيم : هو ذو العظمة والجلال ، ومعناه ينصرف إلى عظم الشأن وجلالة القدر ، دون العظيم الذى هو من نعوت الأجسام(٣) .

وهو سبحانه أعظم من كل عظيم من وجوده ، فإنه دائم الوجود أزلاً وأبدًا ، وغيره ليس كذلك ، وإنه أعظم من كل عظيم فى أن العقول لا تصل إلى كنه صمديته ، والأبصار لا تحيط بسرادقات عزته ، وما سواه حقير بالنسبة إليه ، فالمخلوق وإن حصل عنده علوم كثيرة لكنها متناهية ، فالكل بالنسبة إلى اللَّه تعالى فى كماله وعظمته كالعدم المحض والنفى الصرف كما قال سبحانه : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] .

---

(١) صحيح : متفق عليه : البخارى (٦٣٤٥) ، ومسلم (٢٧٣٠) ، فى الذكر والدعاء .

(٢ ، ٣) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٣٣) .

فسبحانه من ملك تحيرت العقول في أنوار صمديته، وبطلت الأفهام في إشراق عزته. وهو الذي ليس لعظمته بداية، ولا لجلاله نهاية[(١)].

* من معاني عظمته سبحانه وتعالى :

(١) فهو سبحانه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله وأعظمه، وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء والعظمة، ومن عظمته أن السموات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة، كما قال ذلك ابن عباس وغيره.

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ **تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ** ﴾ [الشورى: ٥]، وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ: « **أن الله يقول: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما عذبته** »[(٢)]. فلله الكبرياء والعظمة، الوصفان اللذان لا يقدر قدرهما ولا يبلغ كنههما.

(٢) ولا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله تعالى، فيستحق جلّ جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته، ومن تعظيمه أن يُتقى حق تقاته، فيطاع فلا يعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ومن تعظيمه تعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)** ﴾ [الحج]، وقال: ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ** ﴾ [الحج: ٣٠]، ومن تعظيمه أن لا يعترض على شيء مما خلقه أو شرعه[(٣)].

وفي هذا معنى ثمرة التعرف على اسم الله (العظيم - جلّ جلاله).

---

(١) الرازي (ص ٢٤٦، ٢٤٧) بتصرف يسير.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الحق الواضح المبين (ص ٢٧، ٢٨)، وشرح النونية للهراس (٢/ ٦٨).

• العَفُوُّ •

قال اللَّه - عز وجل - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ [الحج: ٦٠]، وعن عائشة - رضى اللَّه عنها - قالت : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَنَا وَافَقْتُ لَيْلَةَ القَدْرِ مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : « **قُولِي : اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي . أَوْ اعْفُ عَنَّا** »[١] .

قال الحليمى فى معنى : العفو : إنه الواضع عن عباده تبعات خطاياهم وآثامهم، فلا يستوفيها منهم، وذلك إذا تابوا واستغفروا، أو تركوا لجهة أعظم بما فعلوا، ليكفر عنهم ما فعلوا بما تركوا، أو بشفاعة من يشفع لهم، أو يجعل ذلك كرامة لذى حرمة لهم به، وجزاء .

قال أبو سليمان : العفو : وزنه فعول من العفو وهو بناء المبالغة، والعفو الصفح عن الذنب، وقيل : إن العفو مأخوذ من عفت الريح الأثر إذا درسته، فكأن العافى عن الذنب يمحو بصفحه عنه[٢] .

ويجوز إجراؤه على المخلوق، وفى التنزيل : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٣٤] .

قال الخليل : كل من استحق عقوبة فتركته ولم تعاقبه عليها فقد عفوت عنه عفواً .

وقال الأقليشى : هذا الوصف من أوصاف الفعل مضاف إلى من يعفو اللَّه فى الدنيا من المذنبين التائبين وإلى من يعفو عنه فى الآخرة من الموحدين المصرين[٣] .

والعفو : هو الذى لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفًا، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها[٤] .

---

(١) صحيح : الترمذى (٣٥١٣) فى الدعوات .
(٢) البيهقى فى الأسماء والصفات (ص ٥٥) .
(٣) الأسنى للقرطبى (١/ ١٤٨ ، ١٤٩) .
(٤) تفسير السعدى (٥/ ٦٢٣) .

والعفو : فى حق اللَّه تعالى عبارة عن إزالة آثار الذنوب بالكلية، فيمحوها من ديوان الكرام الكاتبين، ولا يطالب العباد بها يوم القيامة، وينسيها من قلوبهم، كَيْلاَ يخجلوا عند تذكرها، ويثبت مكان كل سيئة حسنة، قال تعالى : ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** (٣٩) ﴾ [الرعد]، وقال : ﴿ **فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ** ﴾ [الفرقان : ٧٠] .

والعفو : أبلغ من المغفرة؛ لأن الغفران يُشعر بالستر، والعفو يشعر بالمحو، والمحو أبلغ من الستر .

والعفو : هو سبحانه الذى يعطى الكثير، ويهب الفضل، ولا يتعب المُنعَم عليه البتة[1] .

* من مظاهر عفو اللَّه تعالى :

أنه سبحانه وتعالى جعل العفو الشامل من الذى وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا بما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة والإيمان، والأعمال الصالحة، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، وهو عفو يحب العفو، ويحب من عباده أن يسعوا فى تحصيل الأسباب التى ينالون بها عفوه : من السعى فى مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع غفر له جرمه صغيره وكبيره، وأنه جعل الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب - أى تمحو ما قبلها[2] .

(٢) وهو سبحانه قد قال : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** (٥٣) ﴾ [الزمر] . وفى الحديث : « **إنَّ الله يقول : يا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أتَيْتَنى بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنى لاَ تُشْرِكُ بِى شَيْئًا**

---

(١) الرازي (ص ٣٢٥ ، ٣٢٦) .

(٢) شرح النونية للهراس (٢/ ٨٦) .

لأتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً »[١]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ [النجم : ٣٢]، وقد فتح اللَّه - عز وجل - الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة والاستغفار، والإيمان والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد اللَّه، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل اللَّه، وحسن الظن باللَّه وغير ذلك مما جعله اللَّه مقربًا لمغفرته[٢].

* ثمرة التعرف على هذا الاسم :

(١) فيجب على كل مكلف أن يعلم أن اللَّه سبحانه العفو على الإطلاق : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨]، ثم يجب عليه أن يستعمل العفو ويتخلق به حتى يدخل في مدح اللَّه للعافين وثنائه عليهم من ذلك قوله : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى : ٤٠]، وقال : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٣٤]. وقال لنبيه ﷺ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) ﴾ [الأعراف : ١٩٩].

وروى أنس عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ »[٣].

(٢) وعليك بالعفو على كل من جنا عليك، أو أساء إليك، فإن اللَّه يحب العافين[٤].

* * *

(١) صحيح : الترمذي (٣٥٤٠) في الدعوات .

(٢) الحق الواضح المبين (٧٣ ، ٧٤) .

(٣) حسن : أبو داود (٤٧٧٧) في الأدب، وانظر : الأسنى للقرطبي (١/ ١٤٨) .

(٤) الشجرة للعز (ص ٨٥) .

• العَـلاَّمُ ـ العَـالِـم •

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [التوبة] .

وهو في دعاء الاستخارة : « وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ »[(١)] .

وفي الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق : قل : « اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، رَبَّ كُلِّ شَيءٍ وَمَلِيكَهُ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي ، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ وَأَنْ نَقْتَرِفَ سُوءًا عَلَى أَنْفُسِنَا أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ »[(٢)] . وفي هذا الحديث ذكر اسم (العالم) .

قال الحليمي : العالم : هو مدرك الأشياء على ما هي به ، وإنما وجب أن يوصف القديم عزّ اسمه بالعالم ؛ لأنه قد ثبت أن ما عداه من الموجودات فعل له ، وأنه لا يمكن أن يكون فعل باختيار وإرادة ، والفعل على هذا الوجه لا يظهر إلا من عالم كما لا يظهر إلا من حي[(٣)] .

وفي معنى العلاّم : قال الحليمي : هو العالم بأصناف المعلومات على تفاوتها فهو يعلم الموجود ، ويعلم ما هو كائن ، وأنه إذا كان كيف يكون ، ويعلم ما ليس بكائن ، وأنه لو كان كيف يكون .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ [طه] . قال : يعلم السر ما أسر ابن آدم في نفسه ، وأخفى ما خفي على ابن آدم وهو فاعله قبل أن يعمله . فإن الله تعالى يعلم ذلك كله ، فعلمه فيما مضى من ذلك وما بقي

---

(١) صحيح البخاري (١١٦٦) في الجمعة .

(٢) صحيح الترمذي (٣٣٨٩) في الدعوات .

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٢٠) .

علم واحد، وجميع الخلائق عنده فى ذلك كنفس واحدة[1] .

* مخالفة علم الحق سبحانه وتعالى لعلم العباد :

(١) أن علم الواحد سبحانه يشمل جميع المعلومات بخلاف العبد .

(٢) وأن علمه سبحانه لا يتغير بتغير المعلومات بخلاف العبد .

(٣) وعلمه غير مستفاد من الحواس ولا من الفكر بخلاف العبد .

(٤) وعلمه ضرورى الثبوت ممتنع الزوال، قال تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم]، وعلم العبد جائز الزوال .

(٥) والحق سبحانه وتعالى لا يشغله علم عن علم بخلاف العبد .

(٦) ومعلومات الحق غير متناهية، بخلاف العبد .

(٧) ولا تخفى عليه سبحانه خافية، ولا يعزب عن علمه قاصية ولا دانية[2] .

* ثمرة معرفة هذا الاسم :

من عرف أنه سبحانه علام عالم عليم بحاله صبر على تلبيته، وشكر على عطيته، واعتذر عن قبيح خطيئته، وقد سبق ذلك فى اسم (العليم الخبير) فارجع إليه .

* * *

(١) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٤٥) .

(٢) الرازى (ص ٢٢٨) .

• العَلىُّ - الأعْلى - المُتَعَالِ •

قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) ﴾ [البقرة] .

وقال سبحانه : ﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩) ﴾ [الرعد] .

وقال - جلّ ثناؤه - : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) ﴾ [الأعلى] .

فالعلى : فعيل من العالى ، وهو مشتق من العلو ، وهو مقابلة السفل(١) .

وهو سبحانه الذى لا رتبة فوق رتبته ، وجميع المراتب منحطة عنه ، وذلك لأن العلى مشتق من العلو ، والعلو مأخوذ منه العلو المقابل للسفل(٢) .

وهو الذى تاهت الألباب فى جلاله ، وعجزت العقول عن وصف كماله ، وهو الذى علا عن الدرك ذاته ، وكبر عن التصور صفاته .

فلا تفرض مرتبة شريفة إلا والحق تعالى فى أعلى الدرجات منها ، وذلك لأن الموجود إما مؤثر وإما أثر ، والمؤثر أشرف من الأثر ، والحق سبحانه مؤثر فى الكل ، والكل أثره ، فكان أعلى من الكل فى هذا المعنى .

وهو سبحانه الواجب لذاته فكان أعلى من الكل .

وهو سبحانه الكامل بالإطلاق فكان أعلى من الكل ، وكذا القول فى كمال العلم والقدرة ، وكمال الحياة ، والدوام ، والجود ، والرحمة ، وقس عليها نظائرها ، فثبت أنه سبحانه أعلى من جميع الموجودات فى المراتب العقلية ، وجلّ وتقدس عن أن يكون علوه عليها فى المكان والجهة(٣) .

---

(١) الرازى (ص ٢٥٢) .

(٢) المقصد الأسنى للغزالى (ص ٧٥) .

(٣) الرازى (ص ٢٥٢ ، ٥٢٣) بتصرف يسير .

والمتعال : بمعنى العلى ولكن مع نوع من المبالغة (١).

* إثبات العلو والفوقية للحق سبحانه وتعالى والرد على نفاة هذه الصفة :

(١) وذلك قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام : ١٨]، وفي قوله : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٥٠] .

فالعلو هنا هو : شيء في الشرف والمجد والعزة، وهو قادر على الكل، والكل تحت قدرته وقهره، فيكون هذا الاسم من أسماء الصفات المعنوية، أو أنه متصرف في الكل فيكون من أسماء الأفعال (٢).

(٢) إن تعطيل ذاته المقدسة عن وصفها بذلك وجعل ذلك مجرد أمر معنوي يقتضي سلب ذلك عنه بالكلية ولا سيما عند الجهمية النفاة لصفاته وأفعاله، فإنه عندهم لا تقوم به صفة ثبوتية يستحق بها أن يكون أعظم من غيره، وأكبر منه وفوقه وأعلى منه فإنهم لا يجعلون ذلك عائدًا إلى ذاته لأنه يلزم منه عندهم التجسيم، فليست ذاته عندهم موصوفة بكبر ولا عظمة ولا علو ولا فوقية، وليس له عندهم صفة ثبوتية تكون عظمته وفوقيته وعلوه لأجلها، فإن إثبات الصفات عندهم يستلزم التركيب، ولا له فعل يقوم به يكون به أعظم وأكبر من غيره، فإن ذلك يستلزم عندهم حلول الحوادث وقيامها به، فلا حقيقة عندهم لكونه أكبر وأعظم وأجل من غيره إلا ما يرجع إلى مجرد السلب والنفي والعدم، مثل كونه لا داخل العالم ولا خارجه ولا تحله الحوادث ولا يفعل لحكمة ولا مصلحة، ولا له وجه ولا يدان، ولا ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، ولا هو مستو على عرشه، ولا يأتي يوم القيامة لفصل القضاء، ولا يراه المؤمنون في الجنة، ولا يكلمهم ولا كلم موسى في الدنيا ولا أحدًا من الخلق، ولا يشار إليه بالأصابع، ولا يرفع إليه الكلم الطيب، ولا تعرج الملائكة والروح إليه، ولا عرج رسول الله ﷺ إليه ولا دنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى ونحو ذلك من النفي والسلب الذي يفرون عنه بنفي التشبيه والتجسيم والتركيب

---

(١) الرازي (ص ٣٢١) .

(٢) نفسه (ص ٢٥٣) .

فيوهمون السامع أن إثبات ذلك تشبيه وتجسيم ثم ينفونه عنه، وحقيقة ذلك نفي ذاته وصفاته وأفعاله فهذا حقيقة كونه أكبر من كل شيء، وأعظم منه وفوقه وعاليًا عليه عندهم، وحقيقة ذلك نفي هذا عنه وجعل كل شيء أكبر منه لأن ما لا ذات له ولا وصفة، ولا فعل، فكل ذات لها صفة أكبر منه فالقوم كبروه وعظموه ونزهوه في الحقيقة عن وجوده فضلاً عن صفات كماله وأفعاله (١).

❁ أثر معرفة هذا الاسم:

فمن شهد مشهد علو الله على خلقه وفوقيته لعباده واستواءه على عرشه كما أخبر به أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق المصدوق وتعبد بمقتضى هذه الصفة بحيث يصير لقلبه صمد يعرج القلب إليه ناجيًا له مطرقًا واقفًا بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كلامه وعمله صاعد إليه معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه، فيستحي أن يصعد إليه من كلامه ما يخزيه ويفضحه هناك، ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير والمصرف - من الإماتة والإحياء والتولية والعزل والخفض والرفع والعطاء والمنع وكشف البلاء وإرساله وتقلب الدول ومداولة الأيام بين الناس - غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا أثر معرفة العبد أن الله عليم يتصرف فيها سواه، فمراسمه نافذة فيها كما يشاء: ﴿ **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ** (٥) ﴾ [السجدة] فمن أعطى هذا المشهد حقه معرفة وعبودية استغنى به (٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) الصواعق المرسلة (١/ ١٣٧٩).

(٢) طريق الهجرتين (ص ٧٨)، ومعارج القبول (١/ ٧٧، ٧٨).

• الغافر ـ الغفار ـ الغفور •

قال تعالى : ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ [غافر] .

وقال سبحانه : ﴿ أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝٥ ﴾ [الزمر] .

وقال جلّ ثناؤه : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٤٩ ﴾ [الحجر] .

وأصل الغفر : الستر ، ومن ذلك المِغْفَر للذى يجعل على الرأس من الدروع ، وغفر الثوب زئبره [١] الذى يستر سداه ، ويقال : جاء القوم جماءً غفيراً أى : بجماعتهم ، ويقال لخرقة يغطى بها الرأس : غفارة ، وقيل : هو مأخوذ من الغفر نبت تداوى به الجراح إذا ذر عليها دمَّلها وأبرأها [٢] .

قال الحليمى : وهو الذى يستر على المذنب ولا يؤاخذه به فيشهره ويفضحه [٣] .

وكل ذلك صفات الأفعال ، وقد يكون معنى الغفر الإصلاح ؛ ولذلك قيل : غفرت الذنب : أصلحته بما يكون له فمعنى قول القائل : اللهم اغفر لى ، اللهم أصلح لى ، وبالجملة فهذا الاسم قريب القرابة من اسمه العفو ، فالعفو مشعر بمحو الظلمة والغفر مشعر بوضع النور موضعها وبه يستر عورة العبد ؛ ولذلك قرن بينها فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٦٠ ﴾ [٤] [الحج] .

أما اسمه تعالى : الغفَّار :

فقال الحليمى : وهو المبالغ فى الستر فلا يشهر الذنب لا فى الدنيا ولا فى الآخرة [٥] .

وتقول : غفر اللّه لك ، واليوم يغفر اللّه لكم غفراً فهو الغفور والغفور والغافر وهو

---

(١) الزئبر : الوبر والشوك .

(٢) الأسنى للقرطبى (١/ ١٥٢) .

(٣) البيهقى (ص ٥٥) .

(٤) الأسنى للقرطبى (١/ ١٥٣) .

(٥) البيهقى (ص ٥٦) .

يدل على الستر والإمهال وترك العجلة والاستعجال إذ قلنا : إن المغفرة من الغفر وهو الستر، والستر يكون في الحال وفي المال، وينقسم إلى ستر يقترن بالعفو وإسقاط الحق، وإلى تغطية القبيح عن اطلاع الغير عليه، ويتضمن الصبر والحلم والأناة وكرم الذات والصفات إلى غير ذلك، ويتضمن نفي النقائص التي تضاد هذه الصفات[(١)] .

وقال الزجاجي : وغفور من أبنية المبالغة؛ لأنه يفعل ذلك بعباده مرة بعد أخرى إلى ما لا يحصى، وليست من أوصاف المبالغة في الذات، وإنما هي من أوصاف المبالغة في الفعل؛ لأنه لا يقع المستر إلا بمستور ويغطى .

وقال الحليمي : **الغفور** : هو الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده ويزيد غفره على مؤاخذته[(٢)] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعت النبي ﷺ قال : « إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا وَرُبَّما قَالَ : أَذْنَبَ ذَنْبًا . فَقَالَ : رَبِّ أَذْنَبْت، وَرُبَّما قَالَ : أَصَبْتُ ، فَاغْفِر لِي ، فَقَالَ رَبُّه : أَعلَمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًا يَغفِرُ الذَّنْبَ ويَأخُذُ به ؟! غَفَرْتُ لِعَبْدِي ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَقَالَ : رَبِّ أَذْنَبْتُ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ فَقَالَ : أَعلَم عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًا يَغفِرُ الذَّنبَ ويَأخُذُ به ؟! غَفَرت لِعَبْدِي ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا رُبَّمَا قَالَ : أَصَابَ ذَنْبًا ، قَالَ : رَبِّ أَصَبْتُ ، أو قَالَ : أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرهُ لِي ، فَقَالَ : أَعلَم عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغفِر الذَّنْبَ ويَأخُذُ به ؟! غَفَرتَ لِعَبْدِي ثَلاثًا ، فَلْيَعْمَل مَا شَاء»[(٣)] .

والعبد له أيضًا أسماء ثلاثة مشتقة من المعصية :

أحدها : الظالم . كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ [فاطر : ٣٢] .

ثانيها : الظلوم . قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

---

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ١٥٥) .

(٢) الأسنى للقرطبي (١/ ١٦٤) .

(٣) **صحيح** : متفق عليه : البخاري (٧٥٠٧) في التوحيد، ومسلم (٢٧٥٨) في التوبة .

ثالثها : الظلاّم . قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

ومن أسرف فى المعصية كان ظلاّمًا ، وكأنه قال : عبدى لك ثلاثة أسماء فى الظلم والمعصية ولى ثلاثة أسماء فى الرحمة بالمغفرة ، فإن كنت ظالمًا فأنا غافر ، وإن كنت ظلومًا فأنا غفور ، وإن كنت ظلاّمًا فأنا غفار ، ثم إن صفاتك متناهية كما يليق بك ، وصفاتى غير متناهية كما يليق بى ، وغير المتناهى يغلب المتناهى ، منا مسكين لا تكن من القانطين . ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر] .

والآيات الواردة فى المغفرة كثيرة جداً :

منها : ما ورد بلفظ الماضى ، قال تعالى فى قصة داود - عليه السلام - : ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ﴾ [ص] ، وهذا يدل على أن كل من استغفر وأناب إلى اللَّه وصلت له المغفرة .

ومنها : ما ورد بلفظ المستقبل ، قال تعالى : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] . وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٥٣] .

ومنها : ما ورد بلفظ الأمر تعليمًا للعباد : ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

ومنها : ما ورد بلفظ المصدر قال : ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وقال[١] : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ [الرعد : ٦] .

والمعنى أنه سبحانه : أظهر الجميل ، وستر القبيح ، والذنوب من جملة القبائح التى سترها بإرسال الستر عليها فى الدنيا ، والتجاوز عن عقوبتها فى الآخر[٢] ، وهو سبحانه تام الغفران كامله حتى يبلغ أقصى درجات المغفرة[٣] .

---

(١) الرازى (ص ٢٠٦ - ٢٠٨) .

(٢) المقصد الأسنى (ص ٥٢) للغزالى .

(٣) السابق (ص ٧٣) .

❊ ثمرة التعرف على هذا الاسم :

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه هو الغفار على الإطلاق وبكل وجه من الاستحقاق، وأنه لا يغفر ذنوب عباده غيره، ومغفرته لمن تاب عليه بعد زلته منصوص في كتابه، وهذا ليس فيه اختلاف؛ لأنها نصوص تناولت العموم لا الخصوص فكل من أقلع عن زلته. وصدق الله في توبته عفا الله عنه، وغفر له، وعاد كمن لا ذنب له. قال الله تعالى : ﴿ **إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ** ﴾ [الأنفال : ٣٨]، وقال : ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ** ﴾ [طـه : ٨٢]، وهذا كثير متكرر في آي الكتاب وقد قامت عليها أدلة النقل .

وهذا الاسم مما انفرد به أهل السنة وحجب عنه المبتدعة من القدرية ودونهم وزعموا أنه لا يغفر إلا لمن تاب. وأما من مات على المعصية فهو مخلد في النار . والمعتزلي يضيف إليها حاكم العقل، ويجعل العفو والمغفرة مما يجب للعبد التائب على الرب .

ومذهب أهل الحق أنه لا يجب على الله شيء للخلق، بل يجب عليهم أن يسألوه المغفرة، فإنه واسع المغفرة ولا يقنطوا، وقد مدح الله المستغفرين وأثنى عليهم فقال : ﴿ **وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ** (١٧) ﴾ [آل عمران : ١٧]، وقال : ﴿ **كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ** (١٧) **وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** (١٨) ﴾ [الذاريات] .

وقال : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

ويجب عليه أن يستتر عن الناس بذنبه ويعترف به لربه، ففي البخاري ومسلم عن عائشة عن النبي ﷺ : « **إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَى اللَّهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ** »[١]، وفي

---

(١) صحيح : متفق عليه : قطعة من حديث البخاري (٢٦٦١) في الشهادات، ومسلم (٢٧٧٠) في التوبة .

البخاري : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ »(١) . ويستر غيره ولا يفضحه ، ففي مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ : « وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ »(٢) ، وفيهما أن رسول الله ﷺ قال : « لاَ يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »(٣) ، وكما يجب أن يغفر له فكذلك يغفر لغيره كما قال : ﴿ أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾(٤) [النور : ٢٢] .

❁ ❁ ❁

(١) صحيح : متفق عليه : البخاري (٦٠٦٩) في الأدب ، ومسلم (٢٩٩٠) في الزهد .

(٢) صحيح : مسلم (٢٦٩٩) في الذكر والدعاء .

(٣) صحيح : مسلم (٢٥٩٠) في البر والصلة .

(٤) الأسنى للقرطبي (١/ ١٥٨ - ١٦٢) .

• الغَنِى - المُغْنِى •

قال سبحانه : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ [الأنعام : ١٣٣] .

وقال سبحانه مثبتًا كونه مغنيًا : ﴿ الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۝ ﴾ [طه] .

فاللَّه تعالى الغنى بنفسه عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه بنفسه، وأنه لا ينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضله ورحمته . ولا ذرة من الشر فما فوقها إلا بعدله وحكمته، ويشهد من خطابه عتابه لأحبابه ألطف عتاب، وأنه مع ذلك مقيل عثراتهم وغافر زلاتهم . ومقيم أعذارهم . ومصلح فسادهم . والدافع عنهم، والحامى عنهم والناصر لهم، والكفيل بمصالحهم والمنجى لهم من كل كرب، والموفى لهم بوعده، وأنه وليهم الذى لا ولى لهم سواه، فهو مولاهم الحق ونصيرهم على عدوهم فنعم المولى ونعم النصير(١) .

فاللَّه سبحانه واجب الوجود لذاته وفى صفاته، فكان غنيًا عن كل ما سواه، أما كل ما سواه فممكن لذاته، فوجوده بإيجاده، فكان هو الغنى لا غير، ومن الناس من يعبر عن الغنى بالتام، وعن المغنى بأنه فوق التام(٢) .

فهو سبحانه الغنى الذى لا تعلق له بغيره لا فى ذاته ولا فى صفات ذاته، بل يكون منزهًا عن العلاقة مع الأغيار، فمن تتعلق ذاته أو صفات ذاته بأمر خارج من ذاته يتوقف عليه وجوده، أو كماله فهو فقير محتاج إلى الكسب ولا يتصور ذلك إلا للَّه تعالى، وهو سبحانه المغنى أيضًا، ولكن الذى أغنى لا يتصور أن يصير بإغنائه غنيًا مطلقًا، فإن أقل أموره أنه يحتاج إلى الغنى فلا يكون غنيًا بل يستغنى عن غير اللَّه بأن يمده بما يحتاج إليه

---

(١) الفوائد (ص ٣٨) لابن القيم .

(٢) الرازى (ص ٣٣٠) .

لا بأن يقطع عنه أصل الحاجة، والغنى الحقيقى هو الذى لا حاجة له إلى أحد أصلاً، والذى يحتاج ومعه ما يحتاج إليه فهو غنى بالمجاز [١].

فاللَّه هو الغنى المطلق، والخلق فقراء محتاجون إليه.

قال اللَّه سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر]، بين سبحانه فى هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتى لهم لا ينفك عنهم، كما أن كونه غنيًا حميدًا ذاتى له، فغناه وحمده ثابت له لذاته لا أمر أوجبه وفقر من سواه إليه ثابت لذاته لا أمر أوجبه، فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان، بل هو ذاتى للفقير فحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعلة أوجبت تلك الحاجة، كما أن غنى الرب سبحانه لذاته لا لأمر أوجب غناه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

الفقر لى وصف ذات لازم أبدا   كما الغنى أبدا وصف له ذاتى [٢]

❁ حال الإنسان فى الفقر والغنى :

والغنى، بل لم يزل عبدًا فقيرًا بذاته إلى بارئه وفاطره. فلما أسبغ عليه نعمته، وأفاض عليه رحمته وساق إليه أسباب كمال وجوده ظاهرًا وباطنًا، وخلع عليه ملابس إنعامه، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، وعلمه وأقدره وصرفه وحركه، ومكنه من استخدام بنى جنسه، وسخر له الخيل والإبل، وسلطه على دواب الماء، واستنزال الطير من الهواء وقهر الوحش العادية، وحفر الأنهار، وغرس الأشجار، وشق الأرض، وتعلية البناء، والتحايل على مصالحه، والتحرز والتحفظ لما يؤذيه، ظن المسكين أنه له نصيبًا من الملك، وادعى لنفسه ملكًا مع اللَّه سبحانه، ورأى نفسه بغير تلك العين الأولى، ونسى ما كان فيه من حالة الإعدام والفقر والحاجة، حتى كأنه لم يكن هو ذلك الفقير المحتاج، بل كأن ذلك شخصًا آخر غيره، كما روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث بسر بن جحاش القرشى أن رسول اللَّه ﷺ بصق يومًا فى كفه فوضع عليها إصبعه

---

(١) المقصد الأسنى للغزالى (ص ١٥٤).

(٢) طريق الهجرتين (ص ٢٣).

ثم قال : « **قال الله تعالى : يا ابن آدم، أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد ، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت : أتصدق ، وأنى أوان الصدقة** ». ومن هنا خذل من خذل، ووفق من وفق، فحجب المخذول عن حقيقته ونسي نفسه فنسي فقره وحاجته وضرورته إلى ربه، فطغى وعتا فحقت عليه الشقوة، قال تعالى : ﴿ **كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧)** ﴾ [العلق]، وقال : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠)** ﴾ [الليل].

* أكمل الخلق عند الله :

فأكمل الخلق أكملهم عبودية وأعظمهم شهودًا لفقره وضرورته وحاجته إلى ربه وعدم استغنائه طرفة عين؛ ولهذا كان من دعائه ﷺ : « **أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّه ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ** »[(١)]، وكان يدعو : « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** »[(٢)]. يعلم ﷺ أن قلبه بيد الرحمن - عز وجل - لا يملك منه شيئًا، وأن الله سبحانه يصرفه كما يشاء كيف وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤)** ﴾ [الإسراء]، فضرورته ﷺ إلى ربه وفاقته إليه فحسب معرفته به، وحسب قربه منه ومنزلته عنده. وهذا أمر إنما بدا منه لمن بعده ما يرشح من ظاهر الوعاء؛ ولهذا كان أقرب الخلق إلى الله وسيلة وأعظمهم عنده جاهًا وأرفعهم عنده منزلة، لتكميله مقام العبودية الفقر إلى ربه، وكان يقول لهم : « **أَيُّهَا النَّاسُ ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ** »[(٣)]، وكان يقول : « **لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُه** »[(٤)].

---

(١) حسن : أبو داود (٥٠٩٠) في الأدب .

(٢) صحيح ابن ماجه (١٩٩) في المقدمة .

(٣) صحيح أحمد (٣/ ١٥٣ ، ٢٤٩) .

(٤) صحيح البخاري (٣٤٤٥) في أحاديث الأنبياء، والفقرة من طريق الهجرتين (ص ٢٥) .

❋ ثمرة التعرف على هذا الاسم :

(١) فإذا شهدت القلوب من القرآن ملكًا عظيمًا رحيمًا جوادًا جميلاً هذا شأنه . فكيف لا تحبه وتنافس فى القرب منه وتنفق أنفاسها فى التودد إليه ، ويكون أحب إليها من كل ما سواه ، ورضاه آثر عندها من رضا كل ما سواه ، وكيف لا تلهج بذكره ويصير حبه والشوق إليه والأنس به هو غذاؤها وقوتها ودواؤها بحيث إن فقدت ذلك فسدت وهلكت ، ولم تنتفع بحياتها[١] .

(٢) ولما كان الفقر إلى اللَّه سبحانه هو عين الغنى به - فأفقر الناس إلى اللَّه أغناهم به ، وأذلهم له وأعزهم ، وأضعفهم بين يديه أقواهم ، وأجهلهم عند نفسه أعلمهم باللَّه وأمقتهم لنفسه أقربهم إلى مرضاة اللَّه - كان ذكر الغنى باللَّه مع الفقر إليه متلازمين متناسبين ، فنذكر فصلاً نافعًا فى الغنى العالى . واعلم أن الغنى على الحقيقة لا يكون إلا باللَّه الغنى بذاته عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فموسوم بسمة الفقر كما هو موسوم بسمة الخلق والصنع ، وكما أن كونه مخلوقًا أمر ذاتى له فكونه فقيرًا أمر ذاتى له كما تقدم بيانه ، وغناه أمر نسبى إضافى عارض به ، فإنه استغنى بأمر خارج عن ذاته فهو غنى به فقير إليه ، ولا يوصف بالغنى على الإطلاق إلا من غناه من لوازم ذاته ، فهو الغنى بذاته عما سواه ، وهو الأحد الصمد الغنى الحميد[٢] .

❋ ❋ ❋

---

(١) طريق الهجرتين (ص ٢٤) .

(٢) السابق (ص ٥٩) .

• الفـاطـــر •

قال اللَّه - جل ثناؤه - : ﴿ الحمدُ للَّه فاطر السَّموات والأرْض ﴾ [فاطر : ١].

وعن أبي هريرة أن أبا بكر - رضي اللَّه عنهما - قال: يارسول اللَّه، علمني شيئًا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال ﷺ : « قل : اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه. قله إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك »[١] .

قال الحليمي : في معنى الفاطر : إنه فاتق المرتتق من السماء والأرض. قال اللَّه - عز وجل - : ﴿ أو لمْ ير الَّذين كفـرُوا أنَّ السَّمـوات والأرْض كانتا رتْقًا ففتقْناهُما ﴾ [الأنبياء : ٣٠] فقد يكون المعنى كانت السماء دخانًا فسواها ، ﴿ وأغْطش ليْلها وأخْرج ضُحاها (٢٩) ﴾ [النازعات]، وكانت الأرض غير موجودة فدحاها ، ﴿ أخْرج منْها ماءها ومرْعاها (٣١) ﴾ [النازعا] ، ومن قال هذا قال : ﴿ أو لمْ ير الَّذين كفـرُوا ﴾ [الأنبياء : ٣٠]، معناه : أو لم يعلموا. وقد يكون المعنى ما روى في بعض الآثار عن ابن عباس في قول اللَّه تعالى : ﴿ أو لمْ ير الَّذين كفـرُوا أنَّ السَّمـوات والأرْض كانتا رتْقًا ففتقْناهُما ﴾ [الأنبياء : ٣٠]، قال : فتقت السماء بالغيث، وفتقت الأرض بالنبات. قال الحليمي : والإقرار بالإبداع يأتي على هذا المعنى ويقتضيه .

وقال أبو سليمان : الفاطر : هو الذي فطر الخلق، أي : ابتدأ خلقهم كقوله : ﴿ فسيقُولُون من يُعيدُنا قُل الَّذي فطركُمْ أوَّل مرَّةٍ ﴾ [الإسراء : ٥١]، ومن هذا قولهم : فطر ناب البعير، وهو أول ما يطلع. وعن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - لم أكن أعلم معنى فاطر السموات والأرض حتى اختصم أعربيان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها، يريد استحدثت حفرها[٢] .

---

(١) سبق تخريجه وهو صحيح . (٢) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٢٦ ، ٢٧) بتصرف يسير .

• فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَفَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى •

ورد بهما التنزيل فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ [الأنعام : ٩٥]، ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ ﴾ [الأنعام : ٩٦] ، وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا إِذَا أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا أَنْ نَقُولَ : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى » . . . الحديث[1] ، ورواه عن فاطمة - رضي اللَّه عنها - ولم يأتِ في عداد الأسماء في حديث أبي هريرة وهو متفق عليه ، وكان سفيان إذا طاف يقول : (يا فالق الإصباح أنت ربي وأنت مولاي وأنت حسبي)؟ .

ويجوز إجراؤه على من دون اللَّه .

والفلق: الشق . فلقت الشيء فلقًا : شققته . والفلق - بالتحريك - الصبح بعينه، يقال : فلق الصبح فالقه . وأما قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) ﴾ [الفلق]، فيقال : الصبح - ومعناه : أعوذ بفالق الإصباح من شر ما يجيء به الليل والنهار، ويقال : الخلق كله . وقيل : الصبح والصباح أول النهار، وكذلك الإصباح فالمعنى فالق الصبح كل يوم، يريد الفجر والإصباح مصدر الصبح والمعنى شاق الصبح أي : عن الظلام وكاشفه .

وقال الضحاك : **فالق الإصباح** : فالق النهار فاللَّه سبحانه فالق الحبِّ والنوى وفالق الإصباح أي : شاقها بعد ظلمة الليل وهو عرض يبسطه اللَّه تعالى على الهواء شيئًا بعد شيء، فلا يزال يتزيد حتى تطلع الشمس فينتشر الضوء إلى أن يغيب الشفق فيعقبه الظلام . وأما فالق الحب والنوى فيشق النواة الميتة فيخرج منها ورقًا أخضر، وكذلك الحبة، ويخرج من الورق الأخضر نواة ميتة وحبة وهذا معنى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ [الروم : ١٩]، عن الحسن وقتادة وغيرهما .

---

(١) **صحيح** : مسلم (٢٧١٣) في الذكر والدعاء .

وقال ابن عباس : **معنى فالق** : خالق . وقال مجاهد : عنى بالفلق الشق الذى فى الحب وفى النوى وهذا كله مما لا يقدر عليه إلا اللَّه وحده . والنَّوى جمع نواة . ويجرى فى كل ماله عجم كالمشمش والخوخ وغيرهما .

وتضمن هذا الاسم جميع الصفات من الحياة والقدرة والعلم والإرادة وغيرها من الصفات .

وليست الحبة والنواة موجبتين للنبات كما زعم بعض الطبائعيين بل نسبة الحبة والنواة إلى النبات كنسبة النطفة إلى النَّسمة . فكما أن اللَّه سبحانه ينزل النسمة من أمره على النطفة فيكون بمجموعهما الإنسان إنسانًا والبهيمة بهيمة . كذلك يُنزل اللَّه سبحانه من أمره على النواة والحبة ما يخرج به النبات فيكون نباتًا ظاهرًا بعد أن كان فى الغيب عدمًا . وقد يخرج اللَّه النبات من التراب بل من الحجر الصلد دون حبة ولا نواة كما أخرج ما شاء من بنى آدم دون نطفة ، فأين ضل الطبيعى عن هذه الحكمة وجهل اتساع القدرة ونظر إلى الامتزاج والتولد فى عالم العناصر ولم ينظر إلى السر المستكن فى قدرة القادر . وإنما يؤمن بهذا أهل البصائر ؛ ولذلك كان الحبر على بن أبى طالب كثيرًا ما يجعل قَسَمَه لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة . لما فيهما من الحكمة التى يعلمها إلا العلماء بأمر اللَّه- عز وجل .

❊ ثمرة التعرف على هذا الاسم :

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن لا خالق على الإطلاق إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأنه القادر على كل ما ذكرناه بكل اعتبار وفلق قلوب عباده المؤمنين للإيمان به وشرفها لمعرفته وفتحها تفضلاً منه لا إله إلا هو سبحانه[1] .

❊ ❊ ❊

---

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٣٤٥ - ٣٤٧) .

• الفَتّاحُ •

قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سبأ] .

قال الحليمى : **هو الحاكم** : أى : يفتح ما انغلق بين عباده ويميز الحق من الباطل ، ويعلى المحق ، ويخزى المبطل ، وقد يكون ذلك منه فى الدنيا والآخرة .

قال الخطابى : ويكون معنى الفتاح أيضًا الذى يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده ، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم وأسبابهم ، ويفتح قلوبهم وعيون بصائرهم ليبصروا الحق ، ويكون الفاتح أيضًا بمعنى الناصر . كقوله تعالى : ﴿ **إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ** ﴾ [الأنفال : ١٩] .

قال أهل التفسير : معناه : إن تستنصروا فقد جاءكم النصر ، ثم ساق بسنده عن ابن عباس - رضى اللّه عنهما - فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ **الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ** ﴿٢٦﴾ ﴾ [سبأ] .

يقول القاضى [١] : فهو سبحانه وتعالى يفتح الخير على عباده ويسهل عليهم ما كان صعبًا ، ثم يفتح عليهم فى أمور الدين وهو العلم ، وفى أمور الدنيا ، فيغنى فقيرًا ، وينصر مظلومًا ، ويزيل كربة .

وهو سبحانه الذى ميّز بين الحق والباطل ، وأوضح الحق وبينه ، ودحض الباطل وأبطله فهو الفتّاح الذى فتح قلوب المؤمنين بمعرفته ، وفتح على العاصين أبواب مغفرته ، ولم يغلق وجوه النعمة بالعصيان ، ولا يترك إيصال الرحمة إليهم بالنسيان [٢] .

* أثر معرفة هذا الاسم :

(١) يجب على كل مكلف أن يعتقد أن لا فاتح ولا حاكم على الإطلاق إلا اللّه

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٦١ ، ٦٢) .

(٢) الرازى (ص ٢٢٣ ، ٢٢٤) .

تعالى، وإذ لا فاعل إلا الله، ولا حاكم إلا الله، فلا ينبغي لمسلم أن يعتقد أن الحكم لغير الله تعالى، ولا أن يبتغي حكمًا غير حكم الله ﴿ **أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا** ﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون (٤٤)** ﴾ [المائدة]، ﴿ **فأولئك هم الظالمون (٤٥)** ﴾ [المائدة]، ﴿ **فأولئك هم الفاسقون (٤٧)** ﴾ [المائدة]، ثم يجب عليه أن ينقاد إلى حكم الله وإلى من حكم به عليه قال الله تعالى: ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥)** ﴾ [النساء].

وقال سبحانه: ﴿ **ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين (٤٧) وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون (٤٨) وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين (٤٩) أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون (٥٠) إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون (٥١) ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون (٥٢)** ﴾ [النور].

(٢) ثم يجب عليه أن يعلم أن الله سبحانه هو الفتاح لكل مستغلق، وأنه الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم وأسبابهم ويفتح قلوبهم وعيون بصائرهم ليبصروا الحق، ويشرح صدورهم بعد الضيق، ويفتح عليهم كل مشكل غلق، قال الله تعالى: ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال: ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** ﴾ [الزمر: ٢٢]، وهذا الفتح والشرح ليس له حد، وقد أخذ كل مؤمن منه بحظ، ففاز منه الأنبياء بالقسم الأعلى، ثم من بعدهم الأولياء، ثم العلماء، ثم عوام المؤمنين، ولم يخيب الله منه سوى الكافرين.

فيا من فتح الله أقفال قلبه، وأفاض عليه نورًا من عنده، حل أقفال القلوب الجاهلة بمفاتيح العلوم، وكن فتاحًا، كما فتح الله عليك ﴿ **وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾ [القصص: ٧٧]، وإن كنت لم تصل إلى هذا المقام، وفتح عليك من الرزق الظاهر

رزق الأشباح، فكن ذا يد سمحة، وقلب فتاح، فإنما تنفق من خزائنه التي لا تغلق ولا يضيع لها مفتاح، وإن كنت قد عدمت هذا فاسع أن تكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر كما قال ﷺ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ»[1]، [2].

***

(١) حسن: ابن ماجه (٢٣٧) في المقدمة.

(٢) الأسنى للقرطبي (١/ ٢٢٤ - ٢٢٦).

بترك ما لا يقدر على فعله ولا على فعل ما لا قدرة له على تركه، وأنه حكيم كريم جواد ماجد محسن ودود صبور شكور يطاع فيشكر ويعصى فيغفر، ولا أحد أحب إليه العذر منه، ولا أحد إليه الإحسان منه، فهو محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، جميل يحب الجمال، طيب يحب كل الطيب، نظيف يحب النظافة، عليم يحب العلماء من عباده، كريم يحب الكرماء، قوي يحب المؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، بر يحب الأبرار، عدل يحب أهل العدل، حيي ستير يحب أهل الحياء والستر، غفور عفو يحب من يعفو عن عباده ويغفر لهم، صادق يحب الصادقين، رفيق يحب الرفق، جواد يحب الجود وأهله، رحيم يحب الرحماء، وتر يحب الوتر، ويحب أسماءه وصفاته، ويحب المتعبدين له بها، ويحب من يسأله ويدعوه بها ويحب من يعرفها ويعقلها ويثني عليه بها ويحمده ويمدحه بها، كما في الصحيح عن النبي ﷺ: «**لاَ أَحَدَ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ، وَلاَ أَحَدَ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلاَ أَحَدَ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**»(١). وفي حديث آخر صحيح: «**لاَ أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ، يَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ**»(٢).

(٥) ولمحبته لأسمائه وصفاته أمر عباده بموجبها ومقتضاها، فأمرهم بالعدل والإحسان والبر والعفو والجود والصبر والمغفرة والرحمة والصدق والعلم والشكر والحلم والأناة والتثبت. ولما كان - سبحانه - يحب أسماءه وصفاته كان أحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يكرهها، فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت لأن اتصافه بها ظلم، إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه، لمنافاتها لصفات العبيد، وخروج من اتصف بها من ربقة العبودية ومفارقته لمنصبه ومرتبته، وتعديه طوره وحده، وهذا خلاف ما تقدم من الصفات كالعلم والعدل والرحمة والإحسان والصبر والشكر، فإنها لا تنافي العبودية، بل اتصاف العبد

---

(١) **صحيح** متفق عليه: البخاري (٤٦٣٤) في التفسير، ومسلم (٢٧٦٠) في التوبة.

(٢) سبق تخريجه وهو صحيح.

والقادر المطلق هو الذى يخترع كل موجود اختراعًا ينفرد به ويستغنى فيه عن معاونة غيره، وهو اللَّه تعالى، وأما العبد فله قدرة على الجملة لكنها ناقصة إذ لا يتناول إلا بعض الممكنات، ولا يصلح للاختراع بل اللَّه تعالى هو المخترع لمقدورات العبد (١).

* من مظاهر قدرة اللَّه تعالى:

(١) ولكمال قدرته يهدى من يشاء، ويضل من يشاء، ويجعل المؤمن مؤمنًا، والكافر كافراً، والبَر برًا، والفاجر فاجراً، وهو الذى جعل إبراهيم وآله يدعون إليه ويهدون بأمره، وجعل فرعون وقومه أئمة يدعون إلى النار.

(٢) ولكمال قدرته لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء أن يعلمه إياه، ولكمال قدرته خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام، وما مسه من لغوب (٢). ولا يعجزه أحد من خلقه، ولا يفوته، بل هو من قبضته أين كان، فإن فرّ منه، فإنما يطوى المراحل فى يديه.

(٣) ولكمال غناه استحال إضافة الولد والصاحبة والشريك والشفيع بدون إذنه إليه لكمال عظمته وعلوه، وسع كرسيه السموات والأرض، ولم تسعه أرضه ولا سمواته، ولم تحط به مخلوقاته، بل هو العالى على كل شيء وهو بكل شيء محيط، ولا تنفد كلماته ولا تبدل، ولو أن البحر يمده من بعده سبعة أبحر أمدادًا، وأشجار الأرض أقلامًا، فكتب بذلك المداد وبتلك الأقلام، ينفد المداد، وفنيت الأقلام، ولم تنفد كلماته إذ هى غير مخلوقاته، ويستحيل أن ينفد المداد غير مخلوق بالمخلوق، ولو كان كلامه مخلوقًا كما قاله من لم يقدره حق قدره، ولا أثنى عليه بما هو أهله - فكان أحق بالفناء من هذا المداد وهذه الأقلام؛ لأنه إذا كان مخلوقًا فهو نوع من أنواع المخلوقات، ولا يحتمل المخلوق إفناء هذا المداد، وهذه الأقلام، وهو باق غير فان.

(٤) وأنه سبحانه لا يعاقب أحدًا بغير فعله ولا يعاقبه على فعل غيره، ولا يعاقبه

---

(١) المقصد الأسنى (ص ٩٦).

(٢) اللغوب: التعب والنصب.

• القـاهـر ـ القـهـار ـ الغـالـب •

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام : ١٨] .

وقال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦) ﴾ [الرعد] .

فالقاهر - قال فيه الحليمي : معناه أنه يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق ويثقل ، ويغم ويحزن ، ويكون منه سلب الحياة ، أو بعض الجوارح فلا يستطيع أحد رد تدبيره والخروج من تقديره .

والقهار : هو الذي لا يُقهر ولا يُقهر بحال .

وقال الخطابي : هو الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة ، وقهر الخلق كلهم بالموت [١] .

❊ من مظاهر قهر الله تعالى لخلقه :

(١) فالملك والقدرة والقوة والعزة كلها لله الواحد القهار ، ومن سواه مربوب مقهور ، له ضد ومناف ومشارك : فخلق الرياح وسلط بعضها على بعض تصادمها وتكسر سورتها وتذهب بها ، وخلق الماء وسلط عليه الرياح تصرفه وتكسره ، وخلق النار وسلط عليها الماء يكسرها ويطفئها ، وخلق الحديد وسلط عليه النار تذيبه وتكسر قوته ، وخلق الحجارة وسلط عليها الحديد يكسرها ويفتتها ، وخلق آدم وذريته وسلط عليهم إبليس وذريته ، وخلق إبليس وذريته وسلط عليهم الملائكة يشردونهم كل مشرد ويطردونهم كل مطرد ، وخلق الحر والبرد والشتاء والصيف وسلط كلا منهما على الآخر يذهبه ويقهره ، وخلق الليل والنهار وقهر كلا منهما بالآخر ، وكذلك الحيوان على اختلاف ضروبه من حيوان البر والبحر لكل منه مضاد ومغالب [٢] .

---

(١) البيهقي (ص ٦١) في الأسماء والصفات .

(٢) طريق الهجرتين (ص ٢٣٣) .

بها من كمال عبوديته، إذ المتصف بها من العبيد لم يتعد طوره، ولم يخرج بها من دائرة العبودية .

والمقصود أنه سبحانه لكمال أسمائه وصفاته موصوف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص، له كل ثناء حسن، ولا يصدر عنه إلا كل فعل جميل، ولا يسمى إلا بأحسن الأسماء، ولا يثنى عليه إلا بأكمل الثناء، وهو المحمود المحبوب المعظم ذو الجلال والإكرام على كل ما قدره وخلقه، وعلى ما أمر به شرعه[1] .

* أثر معرفة هذا الاسم :

الإجلال والمهابة، ورجاء الإنعام، وخوف الانتقام؛ لشمول قدرته لأنواع ما نفع وضرّ، وساء وسرّ[2] .

* * *

(1) طريق الهجرتين (ص ٢١١) .

(2) الشجرة للعز (ص ٧٣) .

أي : فمن استرشدك فأرشده، ومن سألك فأجبه ولا تنهره .

وفي مقابلة: ﴿ ووجدك عائلا فأغنى (٨) ﴾، ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث (١١) ﴾[الضحى] .

وهذه هي النعمة العظمى، وهي ما منّ الله عليه من الرسالة والنبوة، والخلة والمحبة، والعلم والحكمة، فأوجب عليه أن يُظهر ذلك ويشيعه، ويحدث به، ويعلم الجاهل غير ممتن عليه، ولا متطاول ولا قاهر له[1] .

وأما (الغالب) ففيه قول الله تعالى : ﴿ والله غالب على أمره ﴾ [يوسف : ٢١] . وهو من صفات الأفعال، وغلبة الله تعالى لمن طالبه هي قدرته عليه وأخذه على ما يريد فُمغالب الله مغلوب .

ويجب على كل عبد مكلف أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الغالب على الإطلاق فمن تمسك به فهو الغالب، ولو أن جميع من في الأرض طالب، قال تعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾ [المجادلة : ٢١] .

ومن أعرض عن الله تعالى وتمسك بغيره كان مغلوبًا، وفي حبائل الشيطان مقلوبا . ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا (٧٦) ﴾ [النساء : ٧٦] .

وإنما ذكرنا الغالب مع القاهر والقهار لاقتراب المعنى والله أعلم.

❊ ❊ ❊

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٢١٥، ٢١٦) .

(٢) وهو سبحانه قهار لأهل السموات بالتسخير، ولأهل الأرض بالتعبد والتذليل، الذي يقصم ظهور الجبابرة، ويذل رقاب الأكاسرة، ويقطع الآمال بالحافرة[١] ويتمنى المرء أن يولد له فلا يولد له، وأن لا يشيب فيشيب، ويريد أن يعز فيذل، وأن يستغني فيفتقر بقهر اللَّه وغلبه تصده عن مراده، وتصرفه عن آماله، وذلك من آيات كمال القاهر والغالب، ونقص المقهور المغلوب وفعل ذلك فكان قاهراً، وكرره فكان قهّاراً[٢].

(٣) وجميع الخلق مقهورون فى مشيئته كما قال: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وبالجملة فلا ترى شيئًا سواه إلا كان مقهوراً تحت أعلام عزته، ذليلاً فى ميادين صمديته[٣].

* ثمرة التعرف على هذا الاسم:

(١) الخوف الشامل، والوجل الكامل، وقهر نفسك وعدوك، وكل قاطع يقطعك عن إصلاح أخراك، وطاعة مولاك[٤].

(٢) ويجب على العبد أن يقهر أعداء اللَّه بما استطاع من القهر، قال اللَّه العظيم: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ﴾ [محمد: ٤]، ولا يقهر يتيمًا ولا ضعيفًا، فإن ذلك حرام. قال اللَّه العظيم: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) ﴾ [الضحى].

فأمره بثلاثة مقابل ثلاثة:

فقال فى مقابلة: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) ﴾، ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) ﴾.

وفى مقابلة: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) ﴾، ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) ﴾.

---

(١) يقطع الآمال فى الدنيا.

(٢، ٣) الأسنى للقرطبى (١/ ٢١٣، ٢١٤)، والرازى (ص ٢١٦، ٢١٧).

(٤) الشجرة (ص ٨٤).

* من كلام ابن القيم فى معنى (القدوس) :

فالقدوس : المنزه من كل شر ونقص وعيب ، كما قال أهل التفسير : هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به . وهذا قول أهل اللغة . وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة . ومنه بيت المقدس ؛ لأنه مكان يتطهر فيه من الذنوب ، ومن أمَّهُ لا يريد إلا الصلاة فيه رجع من خطيئته كيوم ولدته أمه . ومنه سميت الجنة : حظيرة القدس ، لطهارتها من آفات الدنيا . ومنه سمى جبريل روح القدس ؛ لأنه طاهر من كل عيب .

ومنه قول الملائكة : ﴿ **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** ﴾ [البقرة : ٣٠] .

فقيل : المعنى ونقدس أنفسنا لك ، فعدى باللام . وهذا ليس بشىء . والصواب أن المعنى نقدسك وننزهك عما لا يليق بك . هذا قول جمهور أهل التفسير .

وقال ابن جرير : ونقدس لك ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس ، ومما أضاف إليك أهل الكفر بك . قال : وقال بعضهم : نعظمك ونمجدك . قاله أبو صالح . وقال مجاهد : نعظمك ونكبرك . انتهى . وقال بعضهم : ننزهك عن السوء فلا ننسبه إليك .

واللام فيه على حدها فى قوله : ردف لكم ؛ لأن المعنى تنزيه الله لا تنزيه نفوسهم لأجله . قلت : ولهذا قرن هذا اللفظ بقولهم : نسبح بحمدك فإن التسبيح تنزيه الله سبحانه عن كل سوء . قال ميمون بن مهران : سبحان الله كلمة يعظم بها الرب ويحاشى بها من السوء . وقال ابن عباس : هى تنزيه لله من كل سوء . وأصل اللفظة من المباعدة . ومن قولهم : سبحت فى الأرض ، إذا تباعدت فيها .

ومنه : ﴿ **كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٣٣ ، يس : ٤٠] (١) .

---

(١) شفاء العليل (ص ٣١٩) .

• القُـــدُّوس •

قال تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ ﴾ [الحشر : ٢٣] .

فالقـدوس : مأخوذ من قدّس بمعنى : نزهه وأبعده عن السوء مع الإجلال والتعظيم

قـال الحليـمى : ومعناه الممدوح بالفضائل والمحاسن ، فالتقديس مضمن فى صريح التسبيح ، والتسبيح مضمن فى صريح التقديس ؛ لأن نفى المذام إثبات للمدائح كقولنا : (لا شريك له ولا شبيـه) إثبات أنه واحد أحد ، وكقولنا : لا يعجزه شىء ، إثبات أنه قادر قـوى ، وكقـولنا : إنه لا يظلم أحـدًا ، إثبـات أنه عـدل فى حكمـه ، وإثبات المدائح نفى للمذام عنه ، كقولنا : إنه عالم نفى للجهل عنه ، وكقولنا : إنه قادر نفى للعجز عنه ، إلا أن قولنا : هو كذا ظاهره التقديس . وقولنا : ليس بكذا ظاهره التسبيح ، ثم التسبيح موجود فى ضمن التقديس ، والتقديس موجود فى ضمن التسبيح ، وقد جمع اللَّه تبارك وتعالى بينهما فى سورة الإخلاص ، فقال عزّ اسمه : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) ﴾ [الإخلاص] ، فهذا تقديس . ثم قال : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ [الإخلاص] ، فهذا التسبيح .

والأمران راجعان إلى إفراده وتوحيده ونفى الشريك والشبيه عنه[١] .

وقال القرطبى : القدوس هو المنزه عن كل نقص ، والطاهر عن كل عيب[٢] .

---

(١) البيهقى (ص ٣٨) فى الأسماء والصفات .

(٢) القرطبى (١٠/ ٦٧٦٩) فى تفسيره ، وابن كثير (٨/ ٦٣) فى التفسير ط/ دار الفجر للتراث بتحقيقنا .

• القريب - المجيب •

قال الله - تبارك وتعالى - : ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، وقال - جل وعلا - : ﴿ **إنه سميع قريب** (٥٠) ﴾ [سبأ] .

وعن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال : كنا مع النبى ﷺ كلما أشرفنا على واد هللنا وسبحنا وارتفعت أصواتنا فقال النبى ﷺ : « **يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا ، إنه معكم سميع قريب** » .

وفى رواية : « **إن الذى تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته** »(١) .

قال الحليمى : ومعناه أنه لا مسافة بين العبد وبينه ، فلا يسمع دعاءه أو يخفى عليه حاله ، كيفما تصرفت به كان ذلك يوجب أن يكو له نهاية ، وحاشا له من النهاية .

وقال الخطابى : معناه أنه قريب بعلمه من خلقه قريب ممن يدعوه بالإجابة(٢) .

وقربه سبحانه وتعالى من خلقه نوعان :

(١) قرب عام : وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء ، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد ، وهو بمعنى المحبة العامة .

(٢) وقرب خاص : بالداعين والمحبين ، وهو قرب يقتضى المحبة ، والنصرة ، والتأييد فى الحركات والسكنات ، والإجابة للداعين ، والقبول والإثابة للعابدين(٣) ، وقال سبحانه : ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

---

(١) **صحيح** : متفق عليه : البخارى (٢٩٩٢) فى الجهاد والسير ، ومسلم (٢٧٠٤) فى الذكر والدعاء .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٤٠) .

(٣) شرح النونية للهراس (٢/ ٩٢) .

* ثمرة التعرف على هذا الاسم :

(١) التعظيم والإجلال، والتطهير من كل حرام، ومكروه، وشبهة، وفضل مباح شاغل عن مولاك[١] .

(٢) تطهير الروح والبدن عن الالتفات إلى اللذات الجسمانية، وتحصيل العلوم النافعة، والأخلاق الحميدة، ومجامعها فى شيئين :

أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به[٢] .

* * *

---

(١) شجرة المعارف للعز بن عبد السلام (ص ٨١) .

(٢) الرازى (ص ١٨٢) .

والوعيد فى الآية يدل على وجوب الدعاء، واعلم أن للإسعاف والاستجابة أسبابًا: منها ما يرجع إلى حالة الداعى، ومنها ما يرجع إلى المدعو فيه، ومنها ما يرجع إلى الزمان والمكان، وكذلك الموانع من الاستجابة لا تكاد تنحصر.

(٢) الافتقار إلى الله والاعتماد عليه، والعلم بأنه سامع لدعائك، عالم ببلائك، خابر لسرائك وضرائك، ثم إجابته فيما دعا سبحانه من القربات، وإجابة كل داع إلى ما يرضى المولى من الطاعة والعبادة[١].

***

(١) الشجرة (ص ٩٣).

ولا تعارض إذا فهم القرب بهذا المعنى فى العموم والخصوص، وبين ما هو معلوم من وجوده تعالى فوق عرشه، فسبحان من هو عَلِىّ فى دنوه قريب فى علوه[(١)] .

وأما اسمه المجيب :

فقد ورد به القرآن فى قوله الحق : ﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) ﴾ [الصافات]، وجاء وصفًا منكرًا فقال : ﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١) ﴾ [هود]، وورد فعلاً فى عدة مواضع منها قوله : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل : ٦٢]، وقال : ﴿ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وهو من أجاب يجيب فهو مجيب والمصدر الإجابة، وأصله من الجواب، والجيب : هو القطع، ومنه قولهم : جبت الفلاة أجوبها جوبًا. واجتبتها : قطعتها، فأنا جايب، وبذلك سمى جيب القميص، قال الله - عز وجل - : ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) ﴾ [الفجر]، أى : قطعوا الصخر، واستاقوا الوادى فيه، فإذا كان بمعنى الإجابة كان بمعنى القطع، فكأن مجيب الدعوة قطع ما بينه وبين الداعى بالإجابة منه له فاستاق الغيات إليه على ذلك البعد[(٢)] .

قال الحليمى : وأكثر ما يدعى بهذا الاسم مع القريب فيقال : القريب المجيب، أو يقال : مجيب الدعاء، ومجيب دعوة المضطرين، ومعناه : الذى ينيل سائله ما يريد، لا يقدر على ذلك غيره[(٣)] .

* ثمرة التعرف على هذا الاسم :

(١) يجب على كل مكلف أن يعتقد بهذا الأسم، ويدعو به ربه، كما قال الله العظيم : ﴿ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) ﴾ [غافر] .

---

(١) شرح النونية للهراس (٢/ ٩٣) .

(٢) الأسنى للقرطبى (١/ ١٨٨ ، ٢٨٩) .

(٣) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٦٧)

*** أثر معرفة هذا الاسم :**

(١) من عرف قوة اللَّه ترك عزيمته، ولزم يمته[١] - سبحانه.

(٢) ويستفاد من هذا الاسم معرفة مهابة اللَّه تعالى وإجلاله والاعتماد على قوته.

(٣) ويستفاد منه أيضًا أن تكون قويًا في دينك، متينًا في يقينك، مليًا بطاعة مولاك - أي: متمتعًا بطاعة ربك - جلّ وعلا - مدة عيشك[٢].

* * *

---

(١) يمته: ناحيته.

(٢) الرازي (ص ٢٨٦)، والشجرة (ص ٩٦).

• القـــوى ـ المتيـــن •

قال اللّه - عز وجل - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) ﴾ [الحج] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴾ [الذاريات] .

قال الخطابى : القوى: قد يكون بمعنى القادر، ومن قوى على شىء فقد قدر عليه، وقد يكون معناه: التام القوة الذى لا يستولى عليه العجز فى حال من الأحوال، والمخلوق وإن وصف بالقوة فإن قوته متناهية وعن بعض الأمور قاصرة [١] .

قال الحليمى : **فى معنى المتين** : وهو الذى لا تتناقص قوته ويفتر، إذ كان يحدث ما يحدث فى غيره لا فى نفسه، وكان التغيير لا يجوز عليه .

وعن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ الْمَتِينُ ﴾ يقول : الشديد[٢] .

وقد اتفق الخائضون فى تفسير أسماء اللّه على أن القوة - فى قوله : ﴿ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ - هى كمال القدرة، والمتانة عبارة كمال القوة، فعلى هذا القوة المتينة اسم للقدرة البالغ فى الكمال إلى أقصى الغايات، والقوى لا يقبل الأثر ولكنه يؤثر فيمن خلق .

وقال الخطابى : المتين: هو المبين أمره فى صفات الإلهية والوحدانية يقال : بان الشىء وأبان وبين واستبان بمعنى واحد، والمحفوظ : هو المتين، كما قال تعالى : ﴿ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[٣] .

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٤٣) .

(٢) السابق نفسه .

(٣) الرازى (ص ٢٨٤ ، ٢٨٥) بتصرف .

كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢) ﴾ [غافر] .

وقال قتادة : المتكبر الذى تكبر عن السوء .

وقال أيضًا : الذى تكبر عن السيئات .

وقال مقاتل : المتعظم عن كل سوء .

وقال أبو إسحاق : الذى يكبر عن ظلم عباده (١) .

وقد يكون المتكبر بمعنى الكبير الذى ليس لكبريائه نهاية ، والعظيم الذى ليس لعظمته غاية ، والمتكبر فى صفاته سبحانه ، تكبرٌ عن ظلم عباده - قاله الزَّجاج (٢) .

وقال الغزالى : **المتكبر** : هو الذى يرى الكل حقيرًا بالإضافة إلى ذاته ، فلا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه ، وينظر إلى غيره نظرة الملوك إلى العبيد ، فإن كانت هذه هى الرؤية صادقة كان التكبر حقًا ، وكان صاحبها محيبًا فى ذلك التكبر ، ولا يتصور أن يكون ذلك على الإطلاق إلا فى حق اللَّه سبحانه وتعالى ، ولئن كانت تلك الرؤية باطلة ، ولم يكن ما يراه من التفرد بالعظمة كما يراه ، كان التكبر باطلاً مذمومًا وقد قال سبحانه : « **الكبرياء ردائى والعظمة إزارى من نازعنى واحدًا منهما قذفته فى النار** » ، ولما كان الأمر كذلك ظهر أن التكبر فى حقه سبحانه وتعالى صفة مدح وكمال ، وفى حق غيره نقص واختلال (٣) .

والمتكبر : هو الذى انفرد بالكبرياء والملكوت ، وتوحد بالعظمة والجبروت ، وهو الذى بيده الإحسان ، ومنه الغفران ، وليس لملكه زوال ، ولا فى عظمته انتقال (٤) .

---

(١) شفاء العليل لابن القيم (ص ٣١٩) .

(٢) الرازى (ص ١٩٦) .

(٣) المقصد الأسنى للغزالى (ص ٤٨) .

(٤) الرازى (ص ١٩٧) .

• الكَبِيرُ - المُتَكَبِّرُ •

قال اللَّه تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝ ﴾ [الرعد] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ [الحشر : ٢٣] .

قال الخطابى : **الكبير** : هو الموصوف بالجلال وكبر الشأن وصَغُرَ دون جلاله كل كبير ، ويقال : الذى كبر عن سنه المخلوقين[١] .

أما المتكبر : فهو المتعالى عن صفات الخلق ، وهو الذى يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيقصمهم ، والتاء فى المتكبر تاء التفرد ، والتخصص بالكبر لا تاء التعاطى والتكلف ، والكبر لا يليق بأحد من المخلوقين ، وإنما سمة العبيد الخشوع والتذليل .

وقيل : المتكبر من الكبرياء الذى هو عظمة اللَّه تعالى ، لا من الكبر الذى هو مذموم عن الخلق ، كقوله ﷺ يحكى عن ربه عز وجل : « **الكبرياء ردائى فمن نازعنى فى ردائى قصمته** »[٢] .

وقوله : « **الكبرياء ردائى** » : يريد صفتى ، يقال : فلان شعاره الزهد ، ورداؤه الورع أى : نعته وصفته[٣] .

واللَّه تعالى موصوف بصفات المجد ، والكبرياء ، والعظمة والجلالة ، الذى هو أكبر من كل شيء ، وأعظم من كل شيء وأجلّ وأعلى ، وله التعظيم والإجلال فى قلوب أوليائه وأصفيائه ، قد مُلئت من تعظيمه ، وإجلاله ، والخضوع له ، والتذلل لكبريائه[٤] .

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٣٥) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٧٢ ، ٧٣) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٦٢٢) .

• الكاشف - الكافي - الكفيل •

قال تعالى : ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ﴾ [الأنعام : ١٧ ، يونس : ١٠٧] .

قال الحليمي: ولا يدعى بهذا الاسم إلا مضافًا إلى شيء فيقال : يا كاشف الضر أو كاشف الكرب ، ومعناه الفارج والمجلي يكشف الكرب ويجلي القلب ، ويفرج الهم ، ويزيح الضَّر والغم(١) .

وأما الكافي : وقد ورد الكتاب بهذا ، قال الله تعالى : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ [الزمر : ٣٦] .

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال : « **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لاَ كَافِي لَهُ وَلاَ مُؤْوِي** »(٢) .

لأنه إذا لم يكن له في الإلهية شريك ، صح أن الكفايات كلها واقعة به وحده ، فلا ينبغي أن تكون العبادة إلا له ، والرغبة إلا إليه ، والرجاء إلا منه(٣) .

وأما الكفيل : فقد قال عز وجل : ﴿ وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ﴾ [النحل : ٩١] .

وروى في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ في الرجل الذي أسلف قال : « **كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلاً** »(٤) .

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٦٢) ، والأسنى للقرطبي (١/ ٢٢٨) .

(٢) **صحيح** : مسلم (٢٧١٥) في الذكر والدعاء .

(٣) البيهقي (ص ١٥) في الأسماء والصفات .

(٤) **صحيح** : البخاري (٢٢٩١) في الكفالة تعليقًا .

والكبير سبحانه : هو ذو الكبرياء، والكبرياء عبارة عن كمال الذات وهو كمال الوجود أيضًا، فهو سبحانه دائم أزلي أبدي يستحيل في حقه العدم، ووجوده هو الوجود الذي يصدر عنه وجود كل موجود: فإن كان الذي تمّ وجوده في نفسه كاملاً وكبيراً فالذي حصل منه وجود جميع المخلوقات أولى بأن يكون كاملاً وكبيراً[(١)] .

وقال القرطبي :المتكبر : هو الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله، متكبر عن كل سوء، متعظم عمّا لا يليق به من صفات الحدث والذم، وأصل الكبر والكبرياء الامتناع وقلة الانقياد، والمتكبر أيضًا هو العالي سبحانه وتعالى[(٢)] .

* ثمرة التعرف على هذا الاسم :

والتكبر المحمود في حق العبد أن يتكبر عن كل ما سوى الحق سبحانه، فهو يعبد الحق للحق، لا لطلب ثواب أو هرب من عقاب، وإلا فقد جعل الخلق غاية، والحق وسيلة، وهو عكس الحق وضد الصدق، ويستلزم ذلك معرفة الإجلال والمهابة في جميع الأحوال، والتكبر عن كل النقائص والدنايا .

* * *

(١) المقصد للغزالي (ص ٧٧) .

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٦٧٧١) .

ومن حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا ، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْه فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ »[1] ، [2] .

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح : مسلم (٢٦٩٩) في الذكر والدعاء .

(٢) الأسنى للقرطبي (١/ ٢٢٩) .

قال الحليمي : ومعناه المتقبل للكفايات، وليس ذلك بعقد وكفالة ككفالة الواحد من الناس، وإنما هو على معنى أنه لما خلق المحتاج وألزمه الحاجة وقدر له البقاء الذى لا يكون إلا مع إزالة العلة وإقامة الكفاية، لم يخله من إيصال ما علق بقاؤه به إليه، وإدراره فى الأوقات والأحوال عليه، وقد فعل ذلك ربنا - جل ثناؤه - إذ ليس فى وسع مرتزق أن يرزق نفسه، وإنما اللّه - جل ثناؤه - يرزق الجماعة من الناس والدواب والأجنة فى بطون أمهاتها، والطير التى تغدو خماصًا وتروح بطانًا، والهوام والحشرات والسباع فى الفلوات[١] .

والكفيل هو الملتزم، وذلك من صفات الكلام، فقد ضمن عباده والتزم بهم وكفلهم وقد يكون من الإعالة والإنفاق، وقد يقال للعائل : كافل إذا عال المرء وأنفق عليه؛ لأنه فعل الملتزم؛ لذلك فإنه سبحانه كفيل بالمعيشين جميعًا فى باب الدنيا والدين .

أمّا فى الدين فبقوله : ﴿ **أَنِّى لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم** ﴾ [آل عمران : ١٩٥]، وشبهه .

وأما فى الدنيا فلأن الخلق عباده يستدرون خزائنه ويستعيذون من نقمه[٢] .

❊ ثمرة التعرف على هذه الأسماء :

يجب على كل مكلف أن يعلم أنه لا كاشف للكروب والهموم إلا اللّه وحده لا شريك له، ثم عليه أن يسعى فى ذلك فيكون مفرجًا للهموم عن إخوانه، مزيلاً للأحزان عن أقربائه وأصدقائه، بما أمكنه من بذل مال أو جاه، وعن أبى قتادة أنه طلب غريمًا له فتوارى عنه ثم وجده فقال : إنى مُعْسر، قال : آللّه ؟ قال : آللّه . قال : فإنى سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « **مَنْ سرّه أنْ يُنَجِّيَه اللّه منْ كُرب يَوْم القيَامَة فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أوْ يَضعُ عَنْه** »[٣] .

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٦٧) .

(٢) الأسنى للقرطبى (١/ ٥٠٩) .

(٣) **صحيح** : مسلم (١٥٦٣) فى المساقاة .

(٣) ولطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعاً بمعاصيهم .

(٤) رفيق بهم .

(٥) لطيف بهم في العرض والمحاسبة .

(٦) يلطف بهم في الرزق من وجهين : **أحدهما** : أنه جعل رزقك من الطيبات، **والثاني** : أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة فتبذره .

(٧) لطف بأوليائه حتى عرفوه، ولطف بأعدائه لما جحدوه .

(٨) اللطيف بمن لجأ إليه من عباده إذا يأس من الخلق توكل عليه ورجع إليه فحينئذ يقبله، ويُقبل عليه .

(٩) وهو الذى ينشر من عباده المناقب، ويستر عليهم المثالب .

(١٠) وهو الذى يقبل القليل ويبذل الجزيل .

(١١) وهو الذى لا يقاص[١] أحداً في الدنيا من رزقه، ولا ييأس أحد في الآخرة من رحمته .

(١٢) وهو الذى لا يخاف إلا عدله ولا يرجى إلا فضله .

(١٣) وهو الذى يبذل لعبده فوق الهمة، ويكلفه من الطاعة ما دون الطاقة . قال تعالى : ﴿ **وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾ [لقمان : ٢٠]، وقال : ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ** ﴾ [النساء : ٢٨] .

(١٤) وهو الذى لا يعاجل من عصاه، ولا يخيب من رجاه .

(١٥) وهو الذى يعين على الخدمة، ويكثر المدحة .

(١٦) وهو الذى لا يرد سائله، ولا يؤنس آمله .

(١٧) وهو الذى يعفو عمن يهفو .

---

(١) يقاص : ينقص قصاصاً من المعصية .

• اللَّطِيفُ •

قال الله تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾ [الأنعام] .

قال الخطابي : **اللطيف** : هو البر بعباده ، الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون ، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ ﴾ [الشورى : ١٩] .

وحُكِيَ عن ابن الأعرابي قال : **اللطيف** : هو الذي يوصل إليك أربك في رفق . ومن هذا قولهم : لطف الله بك . أي : أوصل إليك ما تحب في رفق .

ويقال : هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية[(١)] .

وأضاف الغزالي أن اللطيف : هو العالم بحقائق المصالح وغوامضها ثم يسلك في إيصالها إلى مستحقها سبيل الرفق دون العنف ، فإذا اجتمع هذا العلم وهذا العمل تم معنى اللطف ، ثم لا يتصور كمال هذا إلا لله سبحانه وتعالى ، أما علمه للغوامض والخفايا فلا شك فيه ، فإن الخفي والجلي بالنسبة إليه في العلم سيان ، وأما رفقه في الأفعال ولطفه فيها ، فلا يدخل تحت الحصر[(٢)] .

قال القرطبي وللعلماء في معنى (اللطيف) معان وعبارات كثيرة جماعها اثنان وعشرون قولاً وهي :

(١) قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾ . قال : حفي بهم .

(٢) وبَارٌّ بهم .

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٦٢ ، ٦٣) ، والأرب : الحاجة والغرض .

(٢) المقصد الأسنى للغزالي (ص ٧٠) .

فكان ظاهر ما امتحن به يوسف من مفارقة أبيه وإلقائه فى السجن وبيعه رقيقًا، ثم مراودة التى هو فى بيتها عن نفسه وكذبها عليه وسجنه محنًا ومصائب، وباطنها نعمًا وفتحًا جعلها اللَّه سببًا لسعادته فى الدنيا والآخرة.

(٣) ومن هذا الباب ما يبتلى به عباده من المصائب، ويأمرهم به من المكاره، وينهاهم عنه من الشهوات، هى طرق يوصلهم بها إلى سعادتهم فى العاجل والآجل، وقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، وقد قال ﷺ: «**لا يقضى اللَّه للمؤمن قضاء إلا خيرًا له، إن أصابته سراء شكر وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك إلا للمؤمن**».

(٤) فالقضاء كله خيرٌ لمن أعطى الشكر والصبر جالبًا ما جلب. وكذلك ما فعله بآدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى اللَّه عليه تعالى وسلم من الأمور التى هى فى الظاهر محن وابتلاء وهى فى الباطن طرق خفية أدخلهم بها إلى غاية كمالهم وسعادتهم.

فتأمل قصة موسى وما لطف له من إخراجه فى وقت ذبح فرعون للأطفال، ووحيه إلى أمه أن تلقيه فى اليم، وسوقه بلطفه إلى دار عدوه الذى قدر هلاكه على يديه، وهو يذبح الأطفال فى طلبه، فرماه فى بيته وحجره على فراشه، ثم قدر له سببًا أخرجه من مصر وأوصله به إلى موضع لا حكم لفرعون عليه، ثم قدر له سببًا أوصله به إلى النكاح والغنى بعد العزوبة والعيلة، ثم ساقه إلى بلد عدوه، فأقام عليه به حجته، ثم أخرجه وقومه فى صورة الفارين منه وكان ذلك عين نصرتهم على أعدائهم وإهلاكهم وهم ينظرون.

وهذا كله مما أبين أنه سبحانه يفعل ما يفعله لما يريده من العواقب الحميدة، والحكم العظيمة التى لا تدركها عقول الخلق مع ما فى ضمنها من الرحمة التامة والنعمة السابغة، والتعرف إلى عباده بأسمائه وصفاته، فكم فى أكل آدم من الشجرة التى نهى عنها،

(١٨) هو الذى يرحم من لا يرحم نفسه .

(١٩) هو الذى أوقد فى أسرار العارفين من المشاهدة سراجًا، وجعل الصراط المستقيم لهم منهاجًا، وأنزل من السماء ماءً ثجاجًا .

(٢٠) وهو الذى لا ينال بوهم .

(٢١) وهو الذى يختص بدقائق الأفعال كخلق الجنين فى بطن أمه وإخراجه اللبن من الضرع من بين فرث ودم .

(٢٢) وهو اللطيف الميسر لكل عسير، الجابر لكل كسير[١] .

* من مظاهر لطف اللَّه تعالى :

(١) قال الرازى : وهاهنا نذكر دقائق حكمة اللَّه تعالى فى خلق السموات ، والكواكب ، والعناصر ، والإنسان ، وسائر الحيوان، والنبات ، فلو أردنا أن نذكر لطفه سبحانه فى تفسير لقمة يتناولها العبد من غير كُلْفة يتجشمها[٢] ، لعجزنا عنه ، فإنه قد تعاون على إصلاح تلك اللقمة خلق لا يحصى عددهم، من مصلح الأرض وزارعها وساقيها وحامل حبها ، ومنبتها، وطاحنها ، وعاجنها، إلى غير ذلك ، فهو سبحانه وتعالى من حيث تدبير الأمور حكيم ، ومن حيث أوجدها جواد ، ومن حيث رتبها مصور ، ومن حيث وضع كل شىء فى موضعه عدل ، ومن حيث لم يترك فيها دقائق وجوه اللطف والرفق لطيف، ولن يعرف حقيقة هذه الأسماء البتة من لم يعرف حقيقة هذه الأفعال[٣] .

(٢) واسمه اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية، ومنه التلطف ، كما قال أهل الكهف: ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الكهف] .

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٣٣٣ - ٣٣٦) .

(٢) يتجشم : يتكبر .

(٣) الرازى (ص ٢٤١) .

• المُبْدِئُ - المُعِيد - المُحْصِى - المُحِيط •

وقد جمعنا هذه الأسماء سويًا لتقارب المعنى بينها :

قال - جلا وعلا - : ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) ﴾ [البروج] .

قال أبو سليمان : المبـدئ :الذى أبدأ الإنسان أى : ابتدأه مخترعًا، فأوجده من عدم، يقال : بدأ وأبدأ وابتدأ بمعنى واحد .

والمعيد :الذى يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات ثم يعيدهم بعد الموت إلى الحياة كقوله- عز وجل : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) ﴾ [البقرة] [١] .

والله تعالى هو الذى بدأ الوجود أولاً بالإنشاء والإظهار، فظهر بعد أن كان فى غيابة العدم، ويبدئ فى كل وقت يريد موجودًا لم يكن له تقدم، ثم يعيده إلى الحالة الأولى وهكذا كل معاد، وإن العودة ليست اختراعًا لعين أخرى، بل العين التى كانت هى تعاد، والإنسان بعينه فى الدنيا هو المعاد يوم القيامة، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام : ٩٤] .

وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم : ٢٧] .

وقال سبحانه : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِى الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) ﴾ [يس]، فجعل النشأة الأولى دليلاً على جواز النشأة الآخرة، لأنها فى معناها ثم قال : ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٧٤) .

وإخراجه من الجنة بسببها من حكمة بالغة لا تهتدى العقول إلى تفاصيلها، وكذلك ما قدره لسيد ولده من الأمور التى أوصله بالطرق الخفية فيها إلى أحمد العواقب [١].

❊ أثر معرفة هذا الاسم :

(١) الرفق بعباد اللَّه، واللطف بهم فى الدعوة إلى اللَّه كما قال : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾ [طه : ٤٤] .

وقال بعض المحققين : العارف إذا أمر بالمعروف أمر برفق ناصح، لا بعتق معسر، وكيف لا وهو مستبصر بسر اللَّه فى القدر [٢].

(٢) الاشتغال بالشكر لمن لطفه بك خفى، وبره إليك واصل فى سرائك وضرائك [٣]، وحياؤك من معرفته بدقائق أحوالك، وخفايا أقوالك وأعمالك، إذ لا يعزب عن خالق الأشياء مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء [٤]. ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ﴾ [الملك] .

❊ ❊ ❊

---

(١) شفاء العليل (ص ٨٠) لابن القيم .

(٢) الرازى (ص ٢٤١) .

(٣) الأسنى للقرطبى (١/ ٢٣٦) .

(٤) شجرة المعارف للعز (ص ٦٧) .

وقال أبو سليمان : **المحيط** : هو الذى أحاط قدرته بجميع خلقه، وهو الذى ﴿ **قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** (١٢) ﴾ [الطلاق]، ﴿ **وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** (٢٨) ﴾ [الجن] [(١)].

والله تعالى قد أحاط بكل شىء علمًا وقدرة، ورحمة، وقهرًا، وقد أحاط بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسموات، وقهر بعزته كل مخلوق ودانت له جميع الأشياء [(٢)].

❊ ثمار معرفة هذه الأسماء :

(١) يجب على كل مسلم أن يعلم أن الله سبحانه هو المبدئ المعيد، وأنه بدأ الخلق على غير مثال، ثم يعيدهم على ذلك المثال قدرة وحكمة لا حاجة، وأنه سبحانه تفضل على العباد بالنعم ابتداء، وقد يعيدها ويكررها وقد يقطعها، ذلك بحسب تحصينها بالشكر وإدامته بالذكر كما قال : ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** (٧) ﴾ [إبراهيم] .

كما روى عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : « **قيدو النعم بالشكر، فقلما نفرت عن قوم فعادت إليهم** » .

(٢) واعلم أن نفسك وكل جزء فيك إنما خلق وخلقت والله لأمر عظيم لم يخلق له أحد من العالم، وفكر فى الإعادة، ففيها تظهر حقيقة الشقوة والسعادة، وكن فى دنياك مبتدئًا للخير ومعيدًا، تكن فى ذلك اليوم سعيدًا، ومهما ابتدأت بفعل الصالحات فأعدها أبدًا حتى يأتيك الممات فإن العود أجمل، وبه تتطهر النفوس وتكمل، وخير العمل مادام عليه صاحبه وإن قل [(٣)].

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٤٠) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٧٩) .

(٣) الأسنى للقرطبى (١/ ٣٨٩ ، ٣٩٠) .

الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ﴿٨٠﴾ ﴾ [يس] ، فجعل من ظهور النار على حرها ويبسها من الشجر الأخضر على نداوته ورطوبته دليلاً على جواز خلق الحياة الرمة البالية ، والعظام النخرة ، ثم قال : ﴿ أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ [يس : ٨١] ، فجعل قدرته على خلق الشيء دليلاً على قدرته على الخلق مثله ﴿ بلى وهو الخلاق العليم ﴿٨١﴾ ﴾ [يس] ، ثم ذكر - جل وعلا - ما به يوجد ويخلق فقال : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس : ٨٢] . وهذا يجمع معنى البدء والإعادة [١] .

وقد ذكر تعالى فقال : ﴿ وأحصى كل شيء عددا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجن] .

قال الحليمى : **المحصى** : معناه العالم بمقادير الحوادث ما يحيط به منها علوم العباد ، وما لا يحيط به منها علومهم كالأنفاس والرزق ، والطاعات والمعاصى ، والقرب ، وعدد القطر والرمل والحصى والنبات ، وأصناف الحيوان والموات ، وعامة الموجودات ، وما يبقى منها ، أو يضمحل ويفنى ، وهذا راجع إلى نفى العجز الموجود المخلوقين عن إدراك ما يكثر مقداره ، ويتوالى وجوده وتتفاوت أحواله عنه عزّ اسمه [٢] .

وقيل : **المحصى** : هو الذى بالظاهر بصير ، وبالسرائر خبير ، وهو الذى بالظاهر راقبك ، وبالباطن راعى حواسك ، وهو الحافظ لأعداد طاعتك ، العالم بجميع حالاتك [٣] .

وقال الله - عز وجل - : ﴿ ألا إنه بكل شيء محيط ﴿٥٤﴾ ﴾ [فصلت] .

قال الحليمى : **فى معنى (المحيط)** : ومعناه أنه الذى لا يقدر على الفرار منه ، وهذه الصفة ليست حقًا إلا لله جل ثناؤه ، وهى راجعة إلى كمال العلم والقدرة ، وانتفاء الغفلة والعجز عنه .

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٣٨٧ ، ٣٨٨) .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٤٢) .

(٣) الرازى (ص ٢٩٠) .

• المَجِيـد •

قال سبحانه : ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣) ﴾ [هود] .

وقال عز من قائل : ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) ﴾ [البروج] .

قال الخطابي : **المجيد** : الواسع الكريم، وأصل المجد فى كلامهم : السعة، يقال : رجل ماجد إذا كان سخيًا واسع العطاء[1] .

وقد يكون المجد بمعنى الغنى المغنى، فالواجد يدل على كونه قادرًا على كل ما أراد، والماجد يدل على أنه مع كمال قدرته كثير الجود والرحمة والفضل والإحسان .

وهو الذى كثر شرفه، وتم جلاله وكماله فى ذاته وصفاته[2] .

فالمجيد سبحانه له صفة المجد، والمجد هو عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه، فهو العليم الكامل فى علمه، الرحيم الذى وسعت رحمته كل شىء، القدير الذى لا يعجزه شىء، الحليم الكامل فى حلمه، الحكيم الكامل فى حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته التى بلغت غاية المجد فليس فى شىء منها يتصور قصور أو نقصان[3] .

وهو سبحانه الشريف ذاته، الجميل أفعاله، الجزيل عطاؤه ونواله، فكما أن شرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمى مجدًا، وهو الماجد أيضًا، ولكن أحدهما على المبالغة، وهو اسم جامع - أى المجيد - للجليل والوهاب والكريم[4] .

---

(1) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٤٧) .
(2) الرازى (ص ٢٧٥) .
(3) الحق الواضح المبين (ص ٣٣) .
(4) المقصد للغزالى (ص ٨٧) .

(٣) ومتى علم العبد أن ربه تعالى يحصي عليه الكليات والجزئيات، ومحيط بالسرائر والخفيات، فللعبد أن يحصيها هو الآخر على نفسه .

سأل بعضهم داود الطائي عن الرمي، فقال : الرمي حسن، ولكن أيامك انظر بماذا ترميها [١] .

❁ ❁ ❁

(١) الرازي (ص ٢٩٠) .

❁ من آثار الحميد المجيد :

وهو سبحانه الحميد المجيد ، وحمده ومجده يقتضيان آثارهما :

ومن آثارهما : مغفرة الزلات ، وإقالة العثرات ، والعفو عن السيئات ، والمسامحة على الجنايات . مع كمال القدرة على استيفاء الحق . والعلم منه سبحانه بالجناية ومقدار عقوبتها . فحلمه بعد علمه ، وعفوه بعد قدرته ، ومغفرته عن كمال عزته وحكمته ، كما قال المسيح ﷺ : ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (١١٨) ﴾ [المائدة] ، أى : فمغفرتك عن كمال قدرتك وحكمتك . لست كمن يغفر عجزاً . ويسامح جهلاً بقدر الحق ، بل أنت عليم بحقك . قادر على استيفائه ، حكيم فى الأخذ به .

فمن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات فى العالم ، وفى الأمر ، تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد ، وتقديرها : هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال . وغاياتها أيضًا : مقتضى حمده ومجده ، كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته .

فله فى كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة ، والآيات الباهرة ، والتعرفات إلى عباده بأسمائه وصفاته ، واستدعاء محبتهم له ، وذكرهم له ، وشكرهم له ، وتعبدهم له بأسمائه الحسنى . إذ كل اسم له تعبد مختص به ، علماً ومعرفة وحالاً . وأكمل الناس عبودية : المتعبد بجميع الأسماء والصفات التى يطلع عليها البشر . فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر ، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم أو يحجبه عبودية اسمه المعطى عن عبودية اسمه المانع ، أو عبودية اسمه الرحيم والعفو والغفور عن اسمه المنتقم ، أو التعبد بأسماء التودد ، والبر ، واللطف ، والإحسان عن أسماء العدل ، والجبروت ، والعظمة ، والكبرياء ، ونحو ذلك .

وهذه طريقة الكُمَّل من السائرين إلى الله . وهى طريقة مشتقة من قلب القرآن . قال الله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، والدعاء بها يتناول

❊ بين الحميد والمجيد :

– وأما المجد فهو مستلزم للعظمة والسعة والجلال ، والحمد يدل على صفات الإكرام ، والله سبحانه ذو الجلال والإكرام ، وهذا معنى قول العبد : لا إله إلا الله والله أكبر ، فلا إله إلا الله دال على ألوهيته وتفرده فيها ، فألوهيته تستلزم محبته التامة ، والله أكبر دال على مجده وعظمته ، وذلك يستلزم تمجيده وتعظيمه وتكبيره ؛ ولهذا يقرن سبحانه بين هذين النوعين فى القرآن كثيراً ، كقوله : ﴿ **رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** (٧٣) ﴾ [هود] ، وقوله سبحانه : ﴿ **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا** (١١١) ﴾ [الإسراء] فأمر بحمده وتكبيره .

وقال تعالى : ﴿ **تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** (٧٨) ﴾ [الرحمن] ، وقال : ﴿ **وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** (٢٧) ﴾ [الرحمن] .

وفى المسند وصحيح أبى حاتم وغيره : من حديث أنس ، عن النبى ﷺ أنه قال : « **أَلِظُّوا بِيَاذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** »[(١)] ، يعنى : الزموها وتعلقوا بها ، فالجلال والإكرام هو الحمد والمجد . ونظير هذا قوله : ﴿ **فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** (٤٠) ﴾ [النمل] ، وقوله : ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا** (١٤٩) ﴾ [النساء] ، وقوله : ﴿ **وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (٧) ﴾ [الممتحنة] ، وقوله : ﴿ **وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ** (١٤) **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ** (١٥) ﴾ [البروج] ، وهو كثير فى القرآن[(٢)] .

---

(١) سبق تخريجه وهو صحيح .

(٢) جلاء الأفهام (ص ٢٤٣) لابن القيم .

• المحسن •

لم يرد في القرآن اسمًا وإنما ورد فعلاً قال : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾ [يوسف : ١٠٠]، ومعناه راجع إلى معنى المفضل وذي الفضل، والمنان، والوهاب.

قال ابن العربي: وأما محسن ومجمل ومفضل (فلم يرد بها توقيف أكثر من أن الفعل منها قد جاء، والتصريف لها قد ورد. ولكنها ألفاظ كريمة المعاني، ولا يسمَّى سبحانه إلا بما سمَّى به نفسه)، فمما ورد قال تعالى : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ [يوسف : ١٠٠]، وجاء في الحديث: « جميل »[١]. وقيل: إنه بمعنى « مجمل » وجاء : ﴿ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥) ﴾ [البقرة]. وأما المنعم فقد جاء فعله في القرآن كثيرًا، قال : ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ [القصص : ١٧]، والنعمة عبارة عن كل عطاء فيه منفعة، وإن لم تحسن فيه العاقبة، والدليل عليه قوله تعالى للكفار: ﴿ فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ ﴾ [الأعراف : ٦٩]، قلت : قد ورد المنعم المفضل كما ذكرنا في الاسم قبله وإليهما يرجع المحسن اسم فاعل من أحسن. ولا خفاء بإحسان اللَّه تعالى إلى خلقه ومنِّه عليهم بما غمرهم من الإحسان والفضل والجود والإنعام. قال الأقليشي : وذلك ينحصر في ثلاثة أقسام : قاعدة وواسطة ومُتممة.

❊ **أما القاعدة:** فتشتمل من الإحسان والإنعام والمنِّ على ثلاث شعب .

الشعبة الأولى : إخراجه (الإنسان) من عدم وجود بمقتضى صفة الكرم والجود. وقد ذكره بهذا في معرض الامتنان فقال - عز وجل - : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) ﴾ [الإنسان] .

الشعبة الثانية : بعد خلقه تصويره في صورة آدم وهي أحسن صور العالم، وقد امتنَّ

(١) سبق تخريجه وهو صحيح .

دعاء المسألة، ودعاء التعبد. وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها[١].

* ثمرة التعرف على هذا الاسم:

المعرفة والإجلال لله تعالى، واليقين من أن هذا الاسم شامل لجميع الصفات التي شملها ذو الجلال والإكرام سبحانه وتعالى، فهو الذي بره جميل، وعطاؤه جزيل، وعزه غير مستفتح، وفعله غير مستقبح[٢].

* * *

(١) مدارج السالكين (١/ ٤١٩).

(٢) الرازي (ص ٢٧٦).

الخامسة : ما أحسن به إليه وأنعم عليه من العمل بما علم وهذا هو ثمرة العلم وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

السادسة : إحسانه إليه وتوفيقه حتى ينشر ما علم في عباده ، ويكون نور بلاده يستضاء بسراجه ويقتفى واضح منهاجه ، وبهذا يستحق أن يدعى عظيمًا في ملكوت السماء ، ويكون من أشراف العلماء الوارثين للأنبياء .

* **وأما المتممة**: فهو ما أنعم به عليه وأحسن إليه من إظهار عوارف ، وإدرار لطائف شرف بها نوعه وأكمل بها وصفه ويشتمل على خمس شعب :

الأولى : ما أنعم به عليه من كمال الصورة واعتدال الخلقة وفصاحة اللسان وسلامة الهيئة من تشوه ونقص عضو ولحوق خلل حتى يبقى صحيحًا سليمًا ، ويسلك من طاعة اللَّه طريقًا قويمًا ، وتستحسن الأبصار والبصائر صورته ولا تمجُّ الطباع خلقته . وهذه نعمة من اللَّه عليه وهي موهبة وخصوصية .

الثانية : ما أنعم به عليه من انتظام الحال واتساع المال حتى لا يحتاج إلى أحد من الخلق في اكتساب الرزق ويحتاج إليه غيره فيعمهم خيره . وهذه نعمة يجب شكرها إذ ليس كلُّ أحدٍ يُعْطاها .

الثالثة : ما أنعم به عليه من عصبة وعشيرة ، وأصحاب وأتباع تآلفت قلوبهم على محبته واصطفائه ، وقاموا جُنَّة بينه وبين أعدائه ، فلم يطرقه من الأعداء طارقٌ ، بل عاش في أمن من جميع الخلائق ، يُنْظَرُ إليه بعين الإجلال والوقار ، وتُقْضى حوائجه في قُطره وفي جميع الأقطار ، وتُثْنى عليه الخناصر ، وتفخرُ بذكره الأعاصر .

الرابعة : ما ينعم به عليه من المرأة الصالحة الموافقة ، فتسكن إليها نفسه ، ويتم له بها أنسه ، ويكثر منها نسله حتى يكون من ذريته في أمة محمد ﷺ عدد وافر كلهم للَّه موحد ، ولآلائه ذاكر شاكر ، فيشتد بهم في الدنيا أزره ، وينحطُّ بهم في الآخرة وِزْرُهُ ، قلت وشعبة .

عليه بذلك فى قوله : ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٤]، إلى غير ذلك من الآى المتكررة فى هذا النوع .

الشعبة الثالثة : جعله إياه عاقلاً لا معتوهًا ولا سفيهًا حتى يمتاز من البهائم، وقد ذكره بهذا [ممتنًا] عليه فقال : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝ ﴾ [الإنسان] وقال : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝ ﴾ [البلد]، وقال : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ [النحل : ٧٨]، إلى غير ذلك من هذه الأمثلة .

*** وأما الواسطة** : فهى للقسمين رابطة وتشتمل من الإحسان والإنعام والمنّ على ست شعب :

الأولى : هدايته إياه للإسلام وهذا أعظم الإحسان والإنعام، وهو المراد بما ذكر فى القرآن من الهدى والنور، والشرح للصدور، وغير ذلك من هذا النوع، قلت : ومن هذا المعنى ما روى عن وهب بن منبه قال : رءوس النعم ثلاثة، فأولها : نعمة الإسلام التى لا تتم نعمة إلا بها . والثانية : نعمة العافية التى لا تطيب الحياة إلا بها . والثالثة : نعمة الغنى التى لا يتم العيش إلا بها .

الثانية : إحسانه إليه أن جعله من أمة محمد - عليه السلام - خير الأنبياء، وخير الأمم . وعلى هذا نبه بقوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠]، أى : كنتم فى الغيب حتى خرجتم إلى الوجود على وفاق العلم .

الثالثة : إحسانه إليه بأن حفّظه كتابه العظيم حتى يكون معبرًا عن كلام ربه بلسانه وراغبًا له بجنانه وهذا من أعظم إحسانه، وقد قال ابن عباس فى قوله - عز وجل - : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨ ﴾ [يونس]، أنه القرآن .

الرابعة : علمه بعد حفظه من معانيه ومن شريعة نبيه ومن حقائق علمه أثرًا ونظرًا، وقد قال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة : ١١]، وقال : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .

• المُصَوِّر •

قال اللَّه – جل ثناؤه – : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر : ٢٤] .

قال الحليمي : المصور : معناه المهيئ لمناظر الأشياء على ما أراده من تشابه أو تخالف ، والاعتراف بالإبداع يقتضي الاعتراف بما هو من لواحقه .

قال الخطابي : المصور : الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها ، ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل ، وخلق اللَّه – عز وجل – الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خلق يعرف بها ويتميز عن غيره بسمتها ، جعله علقة ، ثم مضغه ، ثم جعله صورة ، وهو التشكيل الذي يكون به ذا صورة وهيئة ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾ [المؤمنون] ، أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغداد ، حدثنا إسماعيل بن الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري قال : أخبرني القاسم بن محمد أن عائشة – رضي اللَّه عنها – أخبرته أن رسول اللَّه ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَهِيَ مُسْتَتِرَةٌ بِقِرَام فيه صُورَةُ تَمَاثِيلَ ، فَتَلَونَ وَجهُهُ ثُمَّ أَهْوَى إلى القِرَام فَهَتَكَهُ بيده ، ثُمَّ قَالَ : « **إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى** »[1] . رواه مسلم ، وأخرجه البخاري من وجه آخر عن أبي زرعة قال : دخلت أنا وأبو هريرة – رضي اللَّه عنه – وغسل يديه حتى بلغ إبطيه وغسل رجليه حتى بلغ ركبتيه فقلت : ما هذا يا أبا هريرة ؟ قال : إنه منتهى الحلية . قال فرأى مصوراً يصور في الدار فقال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً** »[2] ، [3] .

وقال القرطبي : والمصور : هو مصور الصور ومركبها على هيئات مختلفة ،

---

(١) صحيح مسلم (٢١٠٧) في اللباس والزينة .

(٢) صحيح متفق عليه : البخاري (٢٩٥٣) في اللباس ، ومسلم (٢١١١) في اللباس والزينة .

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٢٧) .

الخامسة : وهى ما أنعم عليه من صحة الجسم وفراغ البال، قال ﷺ : « **نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ** »[١] .

وقال وهب بن منبه : عَبَدَ اللَّه تعالى عابد خمسين سنة . فأوحى اللَّه إليه أن قد غفرت لك . قال : أى رب وما تغفرُ لى ولم أذنبْ ؟ فأذن اللَّه لعرقٍ فى عنقه فضرب عليه فلم ينم، ولم يصل ثم سكن فنام فأتاه الملك فشكا إليه فقال : ما لقيت من ضربان العرق فقال له الملك : إن ربك يقول عبادتك خمسين سنة تعدل سكون هذا العرق . ذكره أبو نعيم الحافظ فى باب وهب بن منبه[٢] .

***

(١) **صحيح** : البخارى (٦٤١٢) فى الرقاق .

(٢) الأسنى للقرطبى (١/ ٥١٣ - ٥١٧) .

• المُحيِـي المُمِـيت •

معناهما بيِّن. قال: ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الجاثية: ٢٦]، وقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) ﴾ [ق]، ولم يرد في القرآن المميت اسمًا وورد المحيي في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ [الروم: ٥٠] وهما عند الترمذي. والصفتان فعليتان؛ لأن الإحياء والإماتة من فعل اللَّه تعالى.

قال الخطابي: **في معنى المحيي**: هو الذي يحيي النطفة الميتة فتخرج منها النسمة الحية، ويحيي الأجسام البالية بإعادة الأرواح إليها بعد المبعث، ويحيي الأجسام البالية بإعادة الأرواح إليها بعد المبعث، ويحيي القلوب بنور المعرفة ويحيي الأرض بعد موتها بإنزال الغيث وإنبات الرزق.

وقال في معنى المميت: هو الذي يميت الأحياء، ويوهن بالموت قوة الأصحاء الأقوياء. يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير. تمدَّح سبحانه بالإماتة، كما تمدَّح بالإحياء، ليعلم أن مصدر الخير والشر والنفع والضر من قبلَه، وأنه لا شريك له في الملك، استأثر بالبقاء، وكتب على خلقه الفناء. قلت: وكما أن حياة القلوب بنور العلم والمعرفة ومجالسة الفضلاء والصالحين - كذلك موتها وقسوتها بالجهل والبعد عن الجُمعات والجماعات ومجمع الصالحين والذاكرين، ومتابعة الخيل واللهو بالصيد، والأحتيال في طلب الدنيا إماتة للقلوب بالغفلة[1].

* ثمرة التعرف على هذا الاسم:

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن اللَّه سبحانه المحيي المميت على الإطلاق، لا ما ظنه النمرود اللعين وإخوانه من القدرية، حيث حاجه إبراهيم الخليل بقوله: ﴿ رَبِّيَ الَّذِي

---

(١) القرطبي (١/ ٣٨٣، ٣٨٤) في الأسنى، والرازي (ص ٢٩٠، ٢٩١).

فالتصوير مرتب على الخلق والبراية وتابع لهما، ومعنى التصوير : التخطيط والتشكيل، وخلق اللَّه الإنسان فى أرحام الأمهات ثلاث خلق :

جعله علقة، ثم مضغة، ثم جعله صورة، وهو التشكيل الذى يكون صورة وهيئة يعرف بها ويتميز عن غيره بسمتها، فتبارك اللَّه أحسن الخالقين، وهو نفس ما ذكره الخطابى .

وقال ابن كثير : هو الذى إذا أراد شيئًا قال له : كن فيكون على الصفة التى يريد، والصورة التى يختار، كقوله تعالى : ﴿ **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** ۝٨ ﴾ [الانفطار]؛ ولهذا قال المصور : أى الذى ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التى يريدها[1] .

والمصور أيضًا : هو الذى سوى قامتك، وعدّل خلقتك، قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ۝٤ ﴾ [التين] .

وقيل المصور : من زين الظواهر عمومًا، ونوّر السرائر عمومًا[2] .

ولا ثمرة للتعرف على هذه الصفة وهذا الاسم إلا أن يعلم العبد استحقاق العبودية للَّه تعالى، والعبودية هى الطاعة فى غاية الذل والخضوع، وذلك مختص بخالق الأعيان، ومكون الأكوان ومدبر الزمان .

* * *

(١) انظر : تفسير القرطبى (١٠/ ٦٧٧١)، و ابن كثير (٨/ ٦٣) .

(٢) الرازى (ص ٢٠٥) .

• الـمَـلِكُ الـمَـلِيـكُ •

قال تعالى : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116) ﴾ [المؤمنون] .

وقال تعالى : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (55) ﴾ [القمر] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) ﴾ [آل عمران] .

فهو سبحانه الموصوف بصفة الملك وهى صفات العظمة والكبرياء والقهر والتدبير، الذى له التصرف المطلق فى الخلق، والأمر والجزاء، وله جميع العالم العلوى والسفلى، كلهم عبيد ومماليك ومضطرون إليه[1] .

ومعنى الملك الحقيقى ثابت له سبحانه بكل وجه، وهذه الصفة تستلزم سائر صفات الكمال .

إذ من المحال ثبوت الملك الحقيقى التام لمن ليس له حياة ولا قدرة ولا إرادة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا فعل اختيارى يقوم به . وكيف يوصف بالملك من لا يأمر ولا ينهى ولا يثيب ولا يعاقب ولا يعطى ولا يمنع ولا يعز ويذل ويهين ويكرم وينعم وينتقم ويخفض ويرفع ويرسل الرسل إلى أقطار مملكته ويتقدم إلى عبيده بأوامره ونواهيه . فأى ملك فى الحقيقة لمن عدم ذلك .

وهذا يبين أن المعطلين لأسمائه وصفاته جعلوا مماليكه أكمل منه، ويأنف أحدهم أن يقال فى أميره وملكه ما يقوله هو فى ربه . فصفة مليكة الحق مستلزمة لوجود ما لا يتم التصرف إلا به . والكل منه سبحانه فلم يتوقف كمال مليكه على غيره، فإن كل ما سواه

---

(1) تيسير الكريم الرحمن (5/ 620) .

يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] ، فقال له الكافر : و﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] ، وعمد إلى رجل مسجون على الموت فأطلقه ، وإلى حيٍّ فقتله فقال : هأنا قد أحييت وأمت ، وقد أبطل فى هذا القول ، فإنه لم يخلق حياة ولا موتًا ، وإنما اكتسب ما يكتسبه غيره من المخلوقين من تناول القتل ، والمنة فى العفو ، وأعرض عن الدليل كذبًا فى وجه الحجّة ، وتلبيسًا على العامة . فعدل له الخليل إلى الأمر الذى لا يتعلق بكسب وهو تصريف الشمس ما بين مشرق ومغرب فبهت الذى كفر فى قوله ، وآخلفت حجته وقيل : إن إبراهيم - عليه السلام - لمّا وصف ربه تعالى بما هو صفة له من الإحياء والإماتة ، وهو أمر له حقيقة ، ومجاز قصد إبراهيم إلى الحقيقة ، وفزع نمرود إلى المجاز ، وموّه على قومه فسلّم له إبراهيم تسليم الجدل ، وانتقل معه إلى المثال وجاءه بأمر لا مجاز فيه ، فبهت الذى كفر ، وانقطعت حجته ، ولم يمكنه أن يقول : أنا الآتى بها من المشرق ؛ لأن ذوى الألباب يكذبونه ، ثم أمر نمرود بإبراهيم فألقى فى النار ، وهكذا عادة الجبابرة أنهم إذا عورضوا بشيء وعجزوا عن الحجة اشتغلوا بالعقوبة فأنجاه اللَّه من النار[1] .

***

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٣٨٤ ، ٣٨٥) .

* ثمرة التعرف على هذا الاسم :

وإذا كان هو وحده - سبحانه - ربنا، وملكنا، وإلهنا، فلا مفزع لنا في الشدائد سواه، ولا ملجأ لنا منه إلا إليه، ولا معبود لنا غيره، فلا ينبغي أن يُدعى، ولا يُخاف، ولا يُرجى، ولا يُحب سواه، ولا يُذل لغيره، ولا يُخضع لسواه، ولا يتوكل إلا عليه؛ لأن من ترجوه وتخافه وتدعوه وتتوكل عليه إما أن يكون مربيك والقيم بأمورك، ومتولي شأنك، وهو ربك فلا رب سواه، أو تكون مملوكه وعبده الحق، فهو ملك الناس حقًا وكلهم عبيده ومماليكه، أو يكون معبودك وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى حياتك، وروحك، وهو الإله الحق، إله الناس الذي لا إله لهم سواه فمن كان ربهم وملكهم وإلههم فهم جديرون ألاّ يستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه، ولا يلجأوا إلى غير حماه فهو كافيهم، وحسبهم، وناصرهم، ووليهم ومتولي أمورهم جميعًا بربوبيته، وملكه وإلهيته، فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل ونزول عدوه به إلى ربه ومالكه وإلهه[1].

* * *

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٨).

مسند إليه، ومتوقف في وجوده على مشيئته وخلقه. يوضحه أن كمال ملكه بأن يكون مقارنًا بحمده، فله الملك وله الحمد. والناس في هذا المقام ثلاث فرق:

فالرسل وأتباعهم أثبتوا له الملك والحمد. وهذا مذهب من أثبت له القدر والحكمة وحقائق الأسماء والصفات، ونزهه عن النقائص ومشابهة المخلوقات. ويوحشك في هذا المقام جميع الطوائف غير أهل السنة الذين لم يتحيزوا إلى نحلة ولا مقالة ولا متبوع من أهل الكلام.

فهو سبحانه الرب الحق، الملك الحق، الإله الحق خلقهم بربوبيته، وقهرهم بملكه، واستعبدهم بإلهيته، فتأمل هذه الجلالة، وهذه العظمة التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام، وأحسن سياق (رب الناس - ملك الناس - إله الناس). وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان وتضمنت معاني أسمائه الحسنى، أما تضمنها لمعاني الأسماء الحسنى:

فإن الرب: هو القادر، الخالق، البارئ، المصور، الحي، القيوم، العليم، السميع، البصير، المحسن، المنعم، الجواد، المعطي المانع، الضار النافع، المقدم المؤخر، الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحق من الأسماء الحسنى.

وأما الملك: فهو الآمر، الناهي، المعز، المذل، الذي يصرف أمور عباده كما يجب ويقلبهم كما يشاء، وله من معنى الملك ما يستحق من الأسماء الحسنى: كالعزيز، الجبار، المتكبر، الحكم، العدل، الخافض، الرافع، المعز المذل، العظيم، الجليل، الكبير، الحسيب، المجيد، الولي، المتعالي، مالك الملك، المقسط الجامع إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك.

وأما (الإله): فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فيدخل في الاسم جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، فقد تضمت هذه الأسماء الثلاثة جميع معاني أسمائه الحسنى، فكان المستعيذ بها جديراً بأن يُعاذ، ويُحفظ، ويُمنع من الوسواس الخناس، ولا يسلط عليه[1].

---

[1] بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٢٤٩).

فقال : بشرط أن تكون كلبى فقال صاحبه : نعم فجعل خيطًا فى فمه وجعل يجره كما يقاد الكلب فقال فتح للسائل : أما إنه لو رضى بخبزه ولم يطمع فى كامخه لم يصر كلبًا لصاحبه[1].

وكمال الروح فى أن تعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، فإذا صبر العبد بحيث يصير مستغرقًا فى شهود أنوار الربوبية، منقطع الفكر عن كل ما سوى اللَّه، فهذا هو الإعزاز المطلق، وإن كان بالضد[2] من ذلك فهو الإذلال المطلق .

وفيما بين هذين الطرفين أوساط مختلفة، وتحقيقه هو أن العزة فى عدم الحاجة، وكمال معنى العزة إنما هو للَّه سبحانه؛ ولذا قال - عز وجل - : ﴿ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٣٩] . ثم كل من كان أقرب إلى حضرة اللَّه كان حصول هذا المعنى فى حقه أكثر، فلهذا قال : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨]، وهذا ما يتعلق بالإعزاز والإذلال فى أحوال الأرواح .

وأما ما يتعلق بعالم الأجساد : فالصحة، والحسن، والمال، والجاه، وشرف النسب، وكثره الأعوان والأنصار، واحتياج الخلق إليه، وقلة احتياجه إليهم .

وبالمعنى السابق يصير المعز المذل من صفات الأفعال، ومن الناس من فسّر الإعزاز بمدح اللَّه إياه، والإذلا لا بذمه إياه فيكونان من صفات الذات[3] .

ثمرة التعرف على هذا الاسم :

(١) إعزاز القلب بالمعارف والطاعات، وإعزاز الدين ومن اتبعه من عباد اللَّه المؤمنين .

(٢) الخوف من الإذلال بالمعاصى والمخالفات، وإذلال أهل الباطل وأشياعه، وإخمال العدوان وأتباعه[4] .

(٣) إذلال النفس للَّه تعالى، وذلك هو عزها[4] .

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٣٧٠ - ٣٧٢) .　(٢) بالعكس .　(٣) الرازى (ص ٢٣٢) .

(٤) الشجرة للعز (ص ٨٦) والرازى (ص ٢٣٢) .

• المعـــز المـــذل •

وهما يتبعان الخافض الرافع ولم يرد بهما القرآن اسمًا وإنما ورد فعلاً . قال اللَّه تعالى : ﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ [آل عمران : ٢٦] ، ووردت بهما السنة فى حديث أبى هريرة وأجمعت عليهما الأمة فكل من رفعه اللَّه فقد أعزه وكل من خفضه فقد أذله .

يقال من ذلك : أعز يعزا إعزازًا فهو معز وأذل يذل إذلالاً فهو مذل . والإعزاز ، والإذلال يكونان فى الدنيا والآخرة : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ⦗١٩⦘ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ⦗٢٠⦘ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ⦗٢١⦘ ﴾ [الحاقة] .

ونقيضه الشمال ووراء الظهر ، قال الخطابى : أعز أولياءه وأظهرهم على أعدائه وأحلهم دار الكرامة فى العقبى وأذل أهل الكفر فى الدنيا بأن ضربهم بالرق والجزية والصغار ، وفى الآخرة بالعقوبة والخلود فى النار فهما من أسماء الأفعال . وقال بعض العلماء : أن يكون معزًا من صفات الذات بمعنى أنه أخبر عن عزته فيكون أعز نفسه بمعنى أنه أخبر عن عزته . وهذا مما استبعده بعض العلماء والغالب أنه من صفات الأفعال أعز أولياءه بمدحه لهم كما قال : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، وأذل أعداءه بإظهار ذمهم كما قال : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ⦗١⦘ ﴾ [المسد] ، أعز أولياءه بأن خلق لهم توفيق الطاعة فلا عز إلا عز طاعته ، وأذلَّ العاصين بخذلانه حتى واقعوا المعصية . أعز أولياءه بعز القناعة وأذل غيرهم بالحرص على الدنيا ، أعز أولياءه بالإخلاص فى الأعمال ، وأذل غيرهم بالرياء فيها . أعز أولياءه بترك الشهوات وأذل غيرهم بالوقوع فيها . وقيل : إذا أراد اللَّه - عز وجل - إعزاز عبده قربه من بساطه وأهَّله لمناجاته وإذا أراد اللَّه إذلال عبده ربطه بشهواته وحال بينه وبين قربه ومخاطباته . يقال : إن فتحا الموصلى كان قاعدًا فسئل عمن يتابع الشهوات كيف صفته وكان بقربه صبيان مع أحدهما خبز بلا إدام ومع الأخير خبزٌ مع كامخ فقال الذى لم يكن معه كامخ لصاحبه : أطعمنى مما معك

الدنيا معرفته وطاعته ولم يجعل ذكره بضاعته فهذا هو الممنوع على الحقيقة كل خير والذي يعود عليه من منع الدنيا في الأخرى أعظم ضير، ويتم له فيها أسباب المنع فيقطع عن السعادة أتم القطع ولا يكون له فيما أوتي من الدنيا نفع .

قال الحليمي : **المعطي** : هو الممكن من نعمه والمانع هو الحائل دون نعمه، قال : ولا يُدْعى اللَّه - عز وجل - باسم المانع حتى يقال معه المعطي .

قال الخطابي : فهو يملك المنع والعطاء وليس منعه بخلاً منه ولكن منعه حكمة وعطاؤه جود ورحمة .

وقيل: المانع : هو الحافظ والحائط والناصر، أي : يمنع أولياءه، أي : يحوطهم ويحفظهم وينصرهم على عدوهم، ويقال : فلان في منعة من قومه، أي : في جماعة تمنعه وتحفظه وتحوطه ومنه قول الطفيل بن عمرو الدوسي للنبي ﷺ : هل لك في حصن حصين ومنعة ؟ قال البيهقي : وعلى هذا المعنى يجوز أن يُدْعى به دون اسم المعطي، وقد ذكرنا في خبر الأسامي المانع دون أسمه المعطي . وبعضهم قال : الدافع بدل المانع وذلك يؤكد هذا المعنى في المنع . واللَّه أعلم .

* ثمرة التعرف على هذا الاسم :

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن لا مانع إلا اللَّه وحده، كما يجب عليه أن يعلم أن لا معطي إلا هو . قال اللَّه العظيم : ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ** ﴾ [فاطر : ٢]، وقال تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ** ﴾ [الزمر : ٣٨]، فيحق على من علم أن اللَّه هو المعطي والمانع أن يقطع من قلبه من الخلق المطامع وأن يقف مع اللَّه بقلب راض قانع . فإن أغناه صرف في طاعته غناه وإن منعه علم أنه لم يمنعه من بخل ولا عدم بل ليكون منعه معقبًا له ما هو أشرف وأكرم من الغنى الذي لا ينصره فإن جاءه من أحد من الخلق سبب من أسباب الرزق فليرد ذلك إلى

• المعطى المانع •

روى المغيرة بن المغيرة بن شعبة : أن رسول الله ﷺ كَانَ يَقُولُ فِى دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ : « **لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَه لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ . اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلاَ مُعْطِىَ لِمَا مَنَعْتَ وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ** »[1]. أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما وقال - عليه السلام - : « **أَرَأَيْتَ إِنْ مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَةَ فَبِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُم مَالَ أَخِيهِ بِغَيْرِ حَقٍّ** »[2].

ولا خلاف فى جواز إجرائهما على المخلوق ، وقد قال الله فى ذم قوم كفار : ﴿ **وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ** ⑦ ﴾ [الماعون] .

يقال : منع يمنع منعًا فهو مانع ، وأعطى يعطى فهو معط ، ويقال : جبل مانع ، وحصن مانع : إذا تمنع به من لجأ إليه ، ومنه قوله الحق : ﴿ **وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ** ﴾ [الحشر : ٢] ، فالله سبحانه المانع المعطى بالحقيقة ، ومعنى الإعطاء والمنع بين ، ولا يختص بشىء دون شىء . فالمنع فى مقابلة الإعطاء وهو الذى أراد - عليه السلام - بقوله : « **اللَّهُم لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلاَ مُعْطِىَ لِمَا مَنَعْتَ** »[3] . ومنع الله تعالى قد يكون فى الدنيا والأخرى ؛ أما فى الدنيا فقد يكون منع فى ضمنه عطاء وقد يكون منع أعظم منه فى البلاء . أما من منعه أعراض الدنيا فعلق قلبه بالله تعالى فقد أعطاه بهذا المنع أشرف النُّهَى ؛ ولذلك رغب فى الفقر أولو النهى . وأما من منعه أسباب الدنيا فتقطعت نفسه عليها حسرة ، ورأى المنع نقمة لا نعمة فهذا ممنوع الخير فى الدارين . وأما من منعه فى

---

(١) صحيح : متفق عليه : البخارى (٨٤٤) فى الأذان ، ومسلم (٥٩٣) فى المساجد .

(٢) صحيح : متفق عليه : البخارى (٢١٩٩) فى البيوع ، ومسلم (١٥٥٥) فى المساقاة .

(٣) انظر الحديث قبل السابق .

• المُقَدِّمُ المُؤَخِّرُ •

وليسا فى القرآن بهذه الصيغة، ولا ورد فى القرآن فعل يشتق منه مقدم، وورد فعل المؤخر فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤٢] .

وجاء فى حديث ابن عباس قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيلِ يَتَهجَّدُ. الحديث وفيه : « أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ »(١) . خرجه الأئمة وأجمعت عليهما الأمة .

ولا يجوز الدعاء بأحدهما دون الآخر، قاله الحليمى، وكلاهما ظاهر المعنى، وهما من صفات الأفعال، يرفع من يشاء، ويخفض من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويقرب من يشاء، ويبعد من يشاء. فمن قدم فقد نال المراتب العلى، ومن أخر فقد رد إلى السفلى .

قال الحليمى : المقدم : هو المعطى لعوالى المراتب، والمؤخر : هو الدافع عن عوالى الرتب. فقرب أنبيائه وأولياءه بتقريبه وهدايته، وأخر أعداءه بإبعاده، وضرب الحجاب بينه وبينهم. قدر المقادير قبل أن يخلق الخلق، وقدم من أحب من أوليائه على عبيده، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض درجات، ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) ﴾ [الأنبياء](٢) .

وقال ابن القيم فى نونيته :

وهـــو المقـدم والمؤخـــر ذانك	الصفتـان للأفعـــال تابعتـــان
وهمـــا صفـات الذات أيضًا إذ هما	بالـــذات لا بالغيـر قـائمتـان
والوصف بالتقديم والتأخير كــونى	ودينــى همـــــا نوعــــان

---

(١) صحيح : متفق عليه : البخارى (١١٢٠) فى الجمعة، ومسلم (٧٦٩) فى صلاة المسافرين .

(٢) الأسنى (١/ ٣٧٣، ٣٧٤) .

الواحد الحق، وإن منعه أحد من الناس فلا يرى المانع إلا اللَّه فيطرح الأواسط طرحًا ويضرب عن الأسباب صفحًا، ويجعل اللَّه و الكل وكل موجود مع القدرة كالظل لا حكم له في الفعل فلا يذم مانعًا بوجه ولا يمدح معطيًا إلا من حيث ينظر إلى اللَّه فيمدحه لمدح اللَّه إياه إذ جرت بالخير يداه على ما أجراهما اللَّه (١).

* * *

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٣٥٥ - ٣٥٧).

* ثمر التعرف على هذا الاسم :

(١) فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن الله تعالى هو المقدم المؤخر لكل اعتبار، قدم من شاء، وأخر من شاء، فى الخلق والرتبة، أو الرتبة دون الخلق، بإرادة خصصها بذلك وهو الله تعالى .

فإرادته اقتضت ذلك، ثم صدرت الموجودات من القدرة على وفق الإرادة متدرجة شيئًا بعد شيء، ومتقدمة بعضها على بعض، كما صرح القرآن أن السموات والأرض وما بينهما موجودة فى ستة أيام - فالسموات منها فى يومين، والأرض بما فيها فى أربعة أيام - على ما تقدم فى اسمه « الخالق » .

وإذا كان هذا فحق الإنسان أن يقدم ما قدمه الله، ويؤخر ما أخره الله، حسبما تقدم فى أسمه الخافض الرافع، فيعز من أعزه الله بطاعته من إخوانه المؤمنين، ويهجر من أذله الله بمعصيته، ثم إذا تاب، عطف عليه، وقدمه بحسب درجته[١] .

(٢) ومن عرف أن المقدم والمؤخر هو الله تعالى لم يكن له أمان، بسبب كثرة الطاعات، ولا يأس بسبب كثرة المعاصى والسيئات، فرُب إنسان كان فى الظاهر من المطرودين ثم ظهر أنه كان من المقربين وبالعكس .

كان ببغداد رجل صالح، أذن خمس عشرة سنة، ثم صعد المنارة - المئذنة - فوقع بصره على نصرانية فعشقها، ثم دخل عليها فأبت إلا أن يشرب الخمر، ويأكل الخنزير فلما سكر عدا خلفها، فانزلق رجله وسقط من السطح ومات، نعوذ بالله من سواء الخاتمة، وتقديم المعصية، وتأخير الطاعة[٢] .

* * *

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٣٧٤، ٣٧٥) .

(٢) الرازى (ص ٣١٠، ٣١١) .

وكلاهما أمــــر حقيقى ونسبى ... لا يخفى المثال على أولى الأذهان

والله قــــدر ذاك أجمعه بإحكا ... مِ وإتقـــان مـن الرحمــن[١]

وعمد ابن القيم إلى إيضاح أن (المقدم والمؤخر) صفتا فعل وذات، وهى صفات كلها متعلقة وصادرة عن الصفات الثلاث (القدرة الكاملة والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة التامة) وهى كلها قائمة بالله تعالى، والله متصف بها، وآثارها ومقتضياتها جميع ما يصدر عنها فى الكون كله من التقديم والتأخير، والنفع والضر، والعطاء والحرمان، والخفض والرفع، لا فرق بين محسوسها ومعقولها، ولا بين دينيها ودنيويها، فهذا معنى كونها أوصاف أفعال لا كما ظنه أهل الكلام الباطل[٢].

وقال الخطابى : فى المقدم والمؤخر : هو المنزل للأشياء منازلها، يقدم ما شاء منها، ويؤخر ما شاء، قدّر المقادير قبل أن يخلق الخلق، وقدّم من أحب من أوليائه على غيرهم من عبيده، ورفع الخَلق بعضهم فوق بعض درجات، وقدّر من شاء بالتوفيق إلى مقامات السابقين، وأخر من شاء عن مراتبهم وثبطهم عنها، وأخر الشىء عن حين توقعه لعلمه بما فى عواقبه من الحكمة، لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم، قال : والجمع بين هذين الاسمين أحسن من التفرقة[٣].

وإنه سبحانه قد قدّم البعض بالشرف بإعطاء العلم والطاعة والتوفيق، وجعل البعض مخذولاً مؤخراً عن هذه الدرجات، ورفع محمداً ﷺ إلى أعلى الدرجات، فقال : ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** (٤) ﴾ [الشرح]، وجعل أبا لهب فى أسفل الدركات، فهذان طرفان ظاهران وبينهما أوساط متباينة[٤].

---

(١) القصيدة النونية لابن القيم (١٥٣).

(٢) توضيح الكافية الشافية للسعدى (١٣١، ١٣٢).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٨٦).

(٤) الرازى (ص ٣٠٨).

وقال قتادة : حافظًا .

وقال ابن كثير : حفيظًا .

وقيل : قديرًا ، وهو الرازق ، وهو مقيت لكل إنسان بقدر عمله[1] .

فهو سبحانه الذى أوصل إلى كل موجود ما به يقتات ، وأوصل إلى الموجودات أرزاقها بتدبيره وصرفها كيف يشاء بحكمته وحده[2] .

واعلم أن أحوال الأقوات مختلفة ، فمنهم من جعل قوته المطعومات ، ومنهم من جعل قوته الذكر والطاعات ، ومنهم من جعل قوته المكاشفات والمشاهدة . فقال سبحانه فى الأولين[3] ﴿ **خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا** ﴾ [البقرة : ٢٩] .

* ثمرة التعرف على هذا الاسم :

(١) يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا قائم بمصالح العباد إلا الله سبحانه ، ولا مدبر لها غيره ، وأنه هو الذى يقوتهم ويرزقهم ، وأفضل رزق يرزقه العقل ، فمن رزقه الله العقل أكرمه ومن أحرمه ذلك فقد أهانه وأذله[4] .

(٢) إقاتة كل محتاج تقدر على إقاتته من قريب وأجنبى ، وضعيف وقوى ، مقدمًا لمن تلزمك إقاتته الأقرب ، فالأقرب فـ « **كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت** »[5] .

* * *

(١) ابن كثير فى تفسيره (٢/ ١٤٤) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٦٢٥) .

(٣) الرازى (ص ٢٦٠) .

(٤) الأسنى للقرطبى (١/ ٢٧٦) .

(٥) صحيح مرفوعًا ، أبو داود (١٦٩٢) فى الزكاة ، وله شاهد عند مسلم (٩٩٦) فى الزكاة ، وانظر : الشجرة (ص ٨٩) .

• المدبر - المُقيت •

قال تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ [يونس : ٣] .

قال الحليمي : والمدبر : معناه مصرف الأمور على ما يوجب حسن عواقبها ، واشتقاقه من الدبر ، فكان هو الذى ينظر إلى دبر الأمور فيدخل فيها على علم بها ، والله جلّ جلاله عالم بكل ما هو كائن قبل أن يكون ، فلا يخفى عليه عواقب الأمور[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا (٨٥) ﴾ [النساء] .

والمقيت سبحانه : هو الذى يعطى كل إنسان وحيوان قوته على الأوقات شيئًا بعد شىء ، فهو يمدها فى كل وقت بما جعله قوامًا لها إلى أن يزيل إبطال شىء منها فيحبس عنه ما جعله مادة لبقائه فيهلك[2] .

ولا شك أن المقيت هنا يرتبط بالمدبر فى تدبير الرزق والقوت وقوامه ، ووقت الحصول عليه ، بتدبيره سبحانه وتعالى .

وقيل : المقيت هو الحافظ للشىء .

وقيل : هو المقتدر الذي يقدر على أن يعطى كل رجل قوته .

وقيل : هو القادر سبحانه وهذا يعنى أنه من صفات الذات ، وإذا كان المقيت اسم لمن يعطى القوت فهو اسم للوهاب والرزاق ، ويكون من صفات الأفعال[3] .

وقال ابن عباس : مقيتًا : مقتدرًا أو مجازيًا .

وقال مجاهد : شاهدًا ، وشهيدًا ، وحسيبًا .

---

(١) البيهقى فى الأسماء والصفات (ص ٤٧) .

(٢) الأسنى للقرطبى (١/ ٢٧٣) .

(٣) السابق ، نفسه .

رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)﴾ [آل عمران](١).

(٢) وهو الذي منّ على عباده بالخلق والرزق، والصحة في الأبدان، والأمن في الأوطان، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة، ومن أعظم المنّ وأكملها وأنفعها، بل أصل النعم - الهداية للإسلام ومنّه بالإيمان، وهذا أفضل من كل شيء(٢).

* المن المذموم، والمن الممدوح :

القسم الأول : الذي هو ممدوح، هو أن يكون عطاؤه أو منه لوجه الله تعالى لا لنيل عوض من الدنيا. ومن هذا القسم قوله - عليه السلام - : « وإِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ أَبَا بَكْرٍ »، وقوله : « مَا أَحَدٌ مِنْ عَلَيَّ مِنِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ »(٣).

والمنة هنا بمعنى النعمة الثقيلة كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٦٤].

وقال : ﴿ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء : ٩٤].

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١١٤)﴾ [الصافات].

وقوله : ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧)﴾ [الطور].

وقوله : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم : ١١].

وهذا كله على الحقيقة لا يكون إلا من الله تعالى، فهو الذي منّ على عباده بهذه النعم العظيمة فله الحمد حتى يرضى، وله الحمد بعد رضاه، وله الحمد في الأولى والآخرة، وهذه كلها منن بالفعل محمودة(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٤٤٩).

(٢) السابق (٤/ ١٤٩).

(٣) الأسنى للقرطبي (١/ ٢٥٩)، والحديث صحيح : البخاري (٤٦٧) في الصلاة.

(٤) الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن (ص ٤٧٤).

• المَنَّان •

ورد به التنزيل فعلاً فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وقال جل ثناؤه : ﴿ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ ﴾ [الحجرات : ١٧] .

وفى حديث أنس : « المنان بديع السموات والأرض »[1] .

قال الحليمى : وهو العظيم المواهب ، فإنه أعطى الحياة والعقل ، والمنطق ، وصور فأحسن الصور ، وأنعم فأجزل ، وأسنى النعم ، وأكثر العطايا والمنح ، قال وقوله الحق : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾[2] [النحل : ١٨] .

وقال الخطابى : المن : هو العطاء لمن يستثيبه .

وقال الزجاجى : المنان ، فعال من قولك : مننت على فلان إذا اصطنعت عنده صنعة وأحسنت إليه ، فاللَّه - عز وجل - منان على عباده بإحسانه وإنعامه ورزقه إياهم[3] .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ، أى : تفضل على المؤمنين المصدقين ، والمنان : المتفضل .

※ من مظاهر منّ اللَّه تعالى فى خلقه :

(١) هو سبحانه الذى امتن على عباده بهذا الرسول ﷺ الذى أنقذهم اللَّه به من الضلال وعصمهم به من الهلاك ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ

---

(١) سبق تخريجه : وهو صحيح وفيه (اسم اللَّه الأعظم) .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٦٥) .

(٣) السابق نفسه ، والقرطبى فى الأسنى (١/ ٢٦٠) .

فصاحب شهود الأحوال منقطع عن رؤية منه خالقه وفضله ومشاهدة سبق الأولية للأسباب كلها، وغائب بمشاهدة عزة نفسه عن عزة مولاه، فينعكس هذا الأمر في حق هذا العبد الفقير وتشغله رؤية عزة ومولاه ومنته ومشاهدة سبقه بالأولية عن حال يعتز بها العبد أو يشرف بها[١].

❁ ❁ ❁

(١) طريق الهجرتين لابن القيم (ص ٥٠)، والأسنى للقرطبي (١/ ٢٢٩ - ٢٦١).

والقسم الثانى : وهو أن يمن الإنسان بالعطية، أى يذكرها ويكررها، فهو المذموم، ومنه قوله تعالى : ﴿ **لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى** ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، قال رسول الله ﷺ : « **ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : المُسْبِلُ ، وَالمَنَّانُ ، وَالمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الكَاذِبِ ، وَالمَنَّانُ : الذِى لاَ يُعْطِى شَيْئًا إِلاَّ مِنَّة** » . كذا جاء مفسرًا فى كتاب مسلم[1] .

وإن المنة هنا بالقول، وهو من مذموم نهى عنه الله تعالى فقال سبحانه : ﴿ **وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ** ⟨٦⟩ ﴾ [المدثر] . قال ابن كثير : « لا تمنن بعملك على ربك فتستكثره »[2] .

* ثمرة التعرف على هذا الاسم :

(١) فيجب على كل مسلم أن يعلم أن لا منان على الإطلاق إلا الله وحده الذى بدأ بالنوال قبل السؤال، ثم يعترف بالمنة لك وحده، كما روى أن النبى ﷺ لما جمع الأنصار فذكرهم وقال: « **أَلَمْ يَكُنْ أَمْرُكُم شَتِيتًا فَجَمَعَه اللَّهُ بِى ؟ أَلَمْ تَكُونُوا عَالَةً فَأَغْنَاكُم اللَّهُ بِى ؟ أَلَمْ تَكُونُوا خَائِفِين ، فَأَمَّنَكُم اللَّهُ بِى ؟ وَهُمْ فِى ذَلِكَ يَقُولُونَ لَهُ : اللَّهُ وَرَسُولُه أَمَنّ** » الحديث إلى آخره[3] . فاعترفوا لله ثم لرسوله بالنعمة، وولوا النعمة، لرب النعمة، والله أعلم، ثم إذا أعطى أحدًا من خلقه مما أنعم الله تعالى به عليه، فلا يمن به، بل يستصغره ويتناساه، ويرى الفضل لغيره فى قبول منه لا له .

(٢) فإذا وصل إلى القلب نور صفة المنة، وشهد معنى اسمه المنان، وتجلى سبحانه على قلب عبده بهذا الاسم مع اسمه الأول، ذهل القلب والنفس به وصار العبد فقيرًا إلى مولاه بمطالعة سبق فضله الأول، فصار مقطوعًا عن شهود أمر أو حال ينسبه إلى نفسه بحيث يكون بشهادته لحاله مفصومًا مقطوعًا عن رؤية عزة مولاه وملاحظة صفاته .

---

(١) **صحيح** : مسلم (١٠٦) فى الإيمان .

(٢) ابن كثير (٨/ ٤٤٢) ط/ دار الفجر للتراث . بتحقيقنا .

(٣) **صحيح** : بغير هذا اللفظ : البخارى (٤٣٣٠) فى المغازى، ومسلم (١٠٦١) فى الزكاة .

وقيل : هو من وحد نفسه لقوله تعالى : ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ** ﴾ [آل عمران : ١٨] .

والمهيمن فقد نطق به القرآن الكريم في آخر سورة الحشر : ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ** ﴾ [الحشر : ٢٣] .

قال الزجاجي والخطابي وغيرهما :**أصل مهيمن** : مؤيمن ، فقلبت الهمزة هاء ؛ لأنها أخف من الهمزة ، وقد تبدل في أرقت الماء فيقال (هرقت) لقرب مخرجيهما ، وهو على وزن مسيطر ومبيطر .

وقال الحليمي : ومعناه لا ينقص المطيعين يوم الحساب من طاعاتهم شيئًا فلا يثيبهم عليه لأن الثواب لا يعجزه ولا هو مستكره عليه فيضطر إلى كتمان بعض الأعمال أو جحدها ، وليس ببخيل فيحمله استكثار الثواب إذا كثرت الأعمال على كتمان بعضها ، ولا يلحقه نقص بما يثيب فيحبس بعضه ؛ لأنه ليس منتفعًا بملكه حتى إذا نفع غيره به زال انتفاعه بنفسه ، وكما لا ينقص المطيع من حسناته شيئًا لا يزيد العصاة على ما اجترحوه من السيئات شيئًا ، فيزيدهم عقابًا على ما استحقوه ؛ لأن واحدًا من الكذب والظلم غير جائز عليه ، وقد سمى عقوبة أهل النار جزاءً ، فما لم يكن ذنبًا لم يكن جزاءً ، ولم يكن وفاقًا ، فدل ذلك على أنه لا يفعله .

قلت[1] : وهذا الذي ذكره شرح قول أهل التفسير في المهيمن ، أنه الأمين . وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله : ﴿ **وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾ [المائدة : ٤٨] ، قال : مؤتمنًا عليه .

وقال أيضًا :**المهيمن** : الأمين ، قال : القرآن أمين على كل كتاب قبله ، وبنحوه عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ **وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾ [المائدة : ٤٨] ، قال : بمعنى مؤتمنًا على الكتب . وعنه أيضًا : **المهيمن** : الشاهد على ما قبله من الكتب .

---

(١) الكلام للبيهقي .

• المـؤمـن - المـهـيـمـن •

قال تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر : ٢٣] .

قال ابن عباس : المؤمن : هو من أمّن خلقه من أن يظلمهم .

وقال قتادة : أمن بقوله أنه حق .

وقال ابن زيد : صدق عباده المؤمنين فى إيمانهم .

وقال مجاهد : هو الذى وحد نفسه سبحانه .

ويوم القيامة يخرج المؤمنين من النار ، ويقول لهم : أنا المؤمن وأنتم المؤمنون .

وهو المصدق لرسله بإظهار معجزاته عليهم ، ومصدق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب ومصدق الكافرين ما أوعدهم به من العقاب ، وهو الذى أمّن أولياءه من عذابه وظلمه ، وهو الذى أمّن عباده من الخوف[1] .

وقال الخطابى : والإيمان فى اللغة أصله التصديق ، فالمؤمن المصدق ، ويحتمل ذلك رجوعًا :

أحدهما : أنه يصدق عباده وعده ويفى بما ضمنه لهم من رزق الدنيا وثواب على أعمالهم الحسنة فى الآخرة .

الآخر : أنه يصدق ظنون عباده المؤمنين ، ولا يخيب آمالهم كقول النبى ﷺ فيما يحكيه عن ربه عز وجل : « **أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء** »[2] .

---

(١) ابن كثير (٨/ ٣٤٣) ، والقرطبى (١٠/ ٦٧٦٩) فى التفسير .

(٢) **صحيح** : أحمد (٣/ ٤٩١) فى المسند .

(٢) خوفك من اللَّه وحياؤك من شهادته عليك إن عصيته، ورجاؤك شهادته لك إن أطعته .

(٣) أن تكون قوامًا بالشهادة فى كل ما نفع وضرّ، وساء وسر، ولو على نفسك والوالدين والأقربين[١] .

❁ ❁ ❁

(١) الشجرة (ص ٨٢ ، ٨٣) للعز .

قال أبو سليمان : فالله - عز وجل - : المهيمن أي الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول وفعل ، كقوله تعالى : ﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ﴾ [يونس : ٦١] ، قال : وقيل المهيمن : الرقيب على الشيء والحافظ له . قال : وقال بعض أهل اللغة : الهيمنة القيام على الشيء والرعاية له ، وأنشد :

ألا أن خير الناس بعد نبيه   مهيمنة التأليه في العرف والنكر

يريد القائم على الناس بعده بالرعاية [١] .

وقال ابن كثير : قال ابن عباس وغير واحد : هو الشاهد على خلقه بأعمالهم بمعنى رقيب عليهم كقوله تعالى : ﴿ والله على كل شيء شهيد ۝٩ ﴾ [البروج] ، وقوله : ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ [الرعد: ٣٣] [٢] .

وقال الرازي : المهيمن : هو المؤمن ، وإنما قلبت الهمزة هاءً ، لأن الهاء أخف من الهمزة ، وله نظائر في اللغة كقولنا : هيهات ، وأيهات ، وهياك ، وإياك ، وعلى هذا التقدير فالمهيمن هو المؤمن .

وقال الحسن البصري : المهيمن : هو المصدق .

وهذا قريب جدًا من معنى المؤمن والله أعلم [٣] .

* ثمرة التعرف على هذا الاسم :

(١) التصديق لله تعالى ، والإيمان بكل ما أنزله سبحانه وتعالى ، وتحقيق الأمن في القلب بذكره - عز وجل .

---

(١) البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٦٣) .

(٢) ابن كثير (٨/ ٣٤٣) في التفسير .

(٣) الرازي (ص ١٨٨) .

قال الحليمي : **في معنى المولى** : إنه المأمول منه النصر والمعونة لأنه هو المالك، ولا مفزع للمملوك إلا مالكه[(١)] .

وقال الله - عز وجل - : ﴿ **وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى] .

قال الحليمي : **الولي** : هو الوالي، ومعناه مالك التدبير ؛ ولهذا يقال للقيم على اليتيم : ولي اليتيم، وللأمير : الوالي .

قال الخطابي : **الولي** : أيضًا الناصر ينصر عباده المؤمنين .

قال الله - عز وجل - ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وقال جلا وعلا : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ** ﴾ [محمد : ١١]. المعنى : لا ناصر لهم[(٢)] .

* ثمرة التعرف على هذين الاسمين :

(١) قطع ولاية الكافرين كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ** ﴾ [آل عمران : ٢٨]. أي : فليس من حزب الله في شيء، ثم استثنى حال (التقية)، فقال : ﴿ **إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** ﴾ [آل عمران : ٢٨] ، وقال الحسن : التقية ماضية إلى يوم القيامة .

(٢) وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ** ﴾ [آل عمران : ١١٨]. أي : أولياء ودخلاء، وقال : ﴿ **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ** ﴾ [الكهف : ٥٠] ، وهذا كله متفق عليه والآي في هذا المعنى كثيرة .

(٣) ثم يجب على كل مؤمن أن يوالي من تولى، وأن ينصره قال ﷺ : « **الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا** »[(٣)] ، وذلك يوجب نصرة المؤمن ومحبته بعد ثبوت ولاية الدين .

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٦٨) . (٢) السابق (ص ٦٧) .

(٣) **صحيح** : متفق عليه : البخاري (٤٩٨) في الصلاة، ومسلم (٢٥٨٥) في البر والصلة .

• المولى - الولي •

قال الله - عز وجل - : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨) ﴾ [الحج] .

وعن البراء - رضي الله عنه - قال : استعمل رسول الله ﷺ على رماة الناس يوم أحد عبد الله بن جبير ، وكانوا خمسين رجلاً ، وقال لهم : « **كُونُوا مَكَانَكُمْ لاَ تَبْرَحُوا ، وَإِنْ رَأَيْتُم الطَّيْرَ تَخْطَفُنَا** » .

قال البراء - رضي الله عنه - : فأنا والله رأيت النساء باديات خلا خيلهن قد استرخت ثيابهن يصعدن الجبل - يعني حين انهزم الكفار - قال : فلما كان من الأمر ما كان والناس يغيرون مضوا ، فقال عبد الله بن جبير أميرهم : كيف تصنعون بقول رسول الله ﷺ ؟ فمضوا فكان الذي كان ، فلما كان الليل جاء أبو سفيان بن حرب ، فقال : أفيكم محمد ؟ فلم يجيبوه ، ثم قال : أفيكم محمد ؟ الثالثة ، فلم يجيبوه ، فقال : أفيكم ابن أبي قحافة ؟ فلم يجيبوه . قالها ثلاثًا . ثم قال : أفيكم ابن الخطاب ؟ قالها ثلاثًا فلم يجيبوه فقال : أما هؤلاء فقد كفيتموهم . فلم يملك عمر نفسه ، فقال : كذبت يا عدو الله ، ها هو ذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وأنا أحياء ، ولك منا يوم سوء . فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال . وقال : أعل هبل . فقال رسول الله ﷺ : « **أجيبوهُ** » ، قالوا : يا رسول الله ، وما نقول ؟ قال رسول الله ﷺ : « **قولوا : الله أعلى وأجلّ** » . فقال : لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله ﷺ : « **أجيبوه** » ، فقالوا : يا رسول الله ، وما نقول؟ قال ﷺ : « **قولوا : اللَّهُ مَوْلاَنَا وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ** » ، ثم قال أبو سفيان : إنكم سترون في القوم مثله لم آمر بها ، ثم قال : ولم تسؤني . أخرجه البخاري في الصحيح عن عمرو ابن خالد عن زهير بن معاوية [(١)] .

---

(١) صحيح : البخاري (٣٠٣٩) في الجهاد والسير .

• النَّصِيرُ •

قال اللَّه - عز وجل - : ﴿ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠) ﴾ [الأنفال] .

وله معان منها العون ، يقال : نصره اللَّه على عدوه ، ينصره نصراً فهو ناصر ، ونصير للمبالغة . والاسم : النصرة . والنصير الناصر ، والجمع : الأنصار مثل شريف وأشراف وجمع الناصر نصر مثل صاحب وصحب ، واستنصره على عدوه أى : سأله أن ينصره عليه ، وتناصروا : نصر بعضهم بعضًا . ونصر الغيث الأرض أى : غاثها . ونصرت الأرض فهى منصورة أى : مُطرت . ومن النصر الانتصار ؛ الامتناع من الظالم والاستظهار عليه كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) ﴾ [الشورى] ، وانتصر منه انتقم ، والنصر العطاء . قال رؤبة :

إنى وأسطار سطرن سطراً ... لقائل يا نصر نصراً نصراً

والنصر المنع ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴾ [هود : ٦٣] ، وقيل الإتيان والمجيء .

إذا دخل الشهر الحرام فودعى ... بلاد تميم وانصرى أرض عامر

فهذا الاسم فى معنى المولى والمغيث والمجيب على ما تقدم ، إلا أن النصر فى الأغلب لا يكون إلا على الأكفاء أو ما يكون فوق الأكفاء ، وفيما يحتاج فيه إلى الاستعداد والمناجزة بالمجاهدة والمرابطة والمصابرة ، وأما الغياث والغوث فعند الشدائد قال رسول اللَّه ﷺ : « واعْلَمْ أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَالفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا » (١) .

---

(١) صحيح جزء من حديث الترمذى (٢٥١٦) فى الدعوات .

(٤) وأما ولاية العبد لله فهى تصديقه به، وبكل ما جاء من عنده، ثم الإسلام بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ثم التفويض إليه، والتوكل عليه، والاستسلام لأمره فى سره وعلانيته، وشدته، ورخائه، وقوله الحق: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، فمحبة الله تعالى تبع لولايته.

وقول الحق: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ [آل عمران]، أولئك حزب الله و﴿ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾ [المائدة].

فقابلوا إنعامه سبحانه بالشكر والطاعة والتوحيد، يضمن لكم سبحانه الهداية والنصرة والمعرفة مما قد ضمنه لأوليائه سبحانه[(١)].

❊ ❊ ❊

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٣٠١ - ٣٠٣) بتصرف يسير.

* ثمرة معرفة هذا الاسم :

(١) فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن النصر على الإطلاق إنما هو للّه تعالى كما قال : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٦٠] .

وأن الخذلان منه ولكن لا يجوز أن يقال منه : خاذل؛ لأنه لم يرد به إذن . والنصر يستدعى ناصراً ومنصوراً ومنصوراً عليه . فتأييد اللّه أولياءه المؤمنين بالملائكة نصر لهم على أعدائهم كما نصر نبيه - عليه السلام - وصحبه يوم بدر بالملائكة، فيكون الملك على هذا منصوراً على أعداء المؤمنين . وأعداء المؤمنين أعداء للّه ولملائكته . وقد يكون نصر اللّه للملك عونه على عبادته وطاعته؛ إذ ليس له عدو فى مقابلته؛ لأنه نور كله فلا ظلمة تجاذبه فهذه هى النصرة لا تستدعى منصوراً عليه، والإنسان يتجاذبه عدوه إبليس والهوى، فإن نصره اللّه نصراً باطنًا فعلى هؤلاء ينصره، وإذا نصره نصراً ظاهراً فينصره على أعدائه الكافرين، وجميع الظالمين، فإن أصاب الظفر بالعدو الظاهر فهو المنصور، وإن ثبت على دين اللّه وصبر فكان للكافر الظفر، فالمؤمن أيضًا منصور؛ لأن صبره على قتال عدوه وثبات نفسه فى دفع الهوى الذى من طبعه الخذلان هو النصر، إلا أن هذا نصر باطن والثواب عليه قائم وقد حصل له النصر من اللّه على عدوه إبليس، الذى يروم - يقصد - خذلان الإنسان .

(٢) ثم يجب عليه إن كان له قوة ينصر بها ظالمًا أو مظلومًا فعل، قال رسول اللّه ﷺ : « انْصُرْ أخَاكَ ظَالمًا أوْ مَظْلُومًا » ، قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا، قال: « تَأخُذُ عَلَى يَدَيْه »[١] .

وقال الحليمى : **النصير** : هو الموثوق منه بأنه لا يُسلم وليه ولا يخذله[٢] .

* * *

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) الأسنى للقرطبي (١/ ٣١٩ ، ٣٢٠) .

وقال اللَّه تعالى : ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين (٤٦) ﴾ [الأنفال] ، أي : بالنصر ، والنصر : العون على ما تقدم ، وإليه يرجع معنى (نَ صَ رَ) كيفما تصرف . فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ﴾ [محمد : ٧] ، والنصر : هو العون ، واللَّه سبحانه لا يجوز عونه قولاً ولا يتصور فعلاً ؟ فالجواب من أوجه :

أحدها : إن تنصروا دين اللَّه بالجهاد عنه ينصركم ؟ .

الثاني : إن تنصروا أولياء اللَّه بالدعاء .

الثالث : إن تنصروا نبي اللَّه . وأضاف النصر إلى اللَّه تشريفًا للنبي ﷺ وأوليائه وللدين كما قال تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ، فأضاف القرض إليه تسلية للفقير . وجاء فعل النصر في مواضع كثيرة وهو من صفات الأفعال مضافًا إلى من خصه اللَّه بالنصرة وهم الملائكة والمؤمنون لا غير ، فإن حقيقة النصر المعونة بطريق التولي والمحبة ، والمعونة على الشر لا تسمى نصرًا ؛ ولذلك لا يقال في الكافر إذا ظفر بالمؤمن : إنه منصور عليه ، بل يقال : هو مسلط عليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ولو شاء الله لسلطهم عليكم ﴾ [النساء : ٩٠] ، وقوله - عليه السلام - : « إذا ذكر أئمة الجور في آخر الزمان » « وينصرون على ذلك » أراد أنهم ينصرون على الكافرين ، ويكون نصر اللَّه تعالى لدينه راجعًا له وإبقاء لكلمته كما قال - عليه السلام - : « إنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بالرجُلِ الفَاجِرِ »[1] . ولو وردت لفظة النصر للكافر لكان معناه التسليط والعون البشري . وإنما حقيقة النصر ما ذكرناه أولاً ، وقد يحمل قوله - عليه السلام - في أئمة الجور : «إنهم ينصرون» أي : يعطون الدنيا ويملى لهم فيها . يقال : نصره ينصره إذا أعطاه . ومن كلام بعض العرب : (انصروني نصركم اللَّه) أي : أعطوني أعطاكم اللَّه[2] .

وقال الحليمي : في معنى النصير : إنه الموثوق منه بألا يسلم وليه ولا يخذله[3] .

---

(١) صحيح : متفق عليه : البخاري (٣٠٦٢) في الجهاد والسير ، ومسلم (١١١) في الإيمان .

(٢) الأسنى للقرطبي (١/ ٣١٩ ، ٣٢٠) .

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٧٠) .

وقال الجنيد: **التوحيد**: معنى يضمحل فيه الرسوم، وتشوش فيه العلوم ويكون اللَّه كما لم يزل[(١)].

أما (الوتر): فقد قال النبي ﷺ: «**للَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مِائَةٌ إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ**»[(٢)].

لأنه إذا لم يكن قديم سواه لا إله، ولا غير إله، لم ينبغ شيء من الموجودات أن يقيم إليه فيعبد معه، فيكون المعبود معه شفعًا، لكنه واحد وتر[(٣)].

*** شهود العبد للواحدانية:**

وبه مشهد التوحيد والأمر، فيشهد انفراد الرب الخالق، ونفوذ مشيئته وتعلق الموجودات بأسرها به وجريان حكمه على الخليقة وانتهاءها إلى ما سبق لها من علمه وجرى به قلمه، ويشهد ذلك أمره ونهيه وثوابه وعقابه، وارتباط الجزاء بالأعمال وأقتضاءها له ارتباط المسببات بأسبابها التي جعلت أسبابًا مقتضية لها شرعًا وقدرًا وحكمة، فشهوده توحيد الرب وانفراده بالخلق ونفوذ مشيئته وجريان قضائه وقدره يفتح له باب الاستعاذة ودوام الالتجاء إليه والافتقار إليه، وذلك يدنيه من عتبة العبودية ويطرحه بالباب فقيرًا عاجزًا مسكينًا لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، وشهوده أمره تعالى ونهيه وثوابه وعقابه يوجب له الحمد والتشمير وبذل الوسع والقيام بالأمر والرجوع على نفسه باللوم والاعتراف بالتقصير فيكون سيره بين شهود العزة والحكمة والقدرة الكاملة والعلم السابق والمنة العظيمة، وبين شهود التقصير والإساءة منه وتطلب عيوب نفسه وأعمالها.

فهذا هو العبد الموفق المعان الملطوف به المصنوع له الذي أقيم مقام العبودية وضمن له التوفيق وهذا هو مشهد الرسل فهو مشهد أبيهم آدم إذ يقول: ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)** ﴾ [الأعراف]، ومشهد أول الرسل نوح إذ

---

(١) الرازي (ص ٣٠١ - ٣٠٣) بتصرف يسير.

(٢) صحيح: متفق عليه: البخاري (٦٤١٠) في الدعوات، ومسلم (٢٦٧٧) في الذكر والدعاء.

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ١٥).

• الـواحـد ـ الأحــد ـ الـوتــر •

قال تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [البقرة : ١٦٣] .

وقال : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ [الإخلاص] .

الواحد : هو الذى لا ينقسم ، ولا يكون عددًا ، ولا يصح فيه الوضع والرفع بخلاف قولك : إنسان واحد ، فإنك تقول : إنسان بلا يد ، ولا رجل ، فيصح رفع شيء منه والحق إحدى الذات .

والواحد الأحد سبحانه الذى ليس له فى الوجود موجود يساويه فى الوجوب الذاتى وفى العلم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها .

وقال الزجاج : **الأحد** : فى اللغة الواحد .

والواحد الأحد ، كالرحمن والرحيم ، (فالأحد) اختص به البارى سبحانه وتعالى كما اختص (بالرحمن) فصار (الأحد) نعتًا له على الخصوص فقال : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ۝١ ﴾ ، وذلك لأنه صار نعتًا للَّه عز وجل على الخصوص ، فصار معرفة ، واستغنى عن التعريف ، ولم يذكر فيه ألف ولام ، ولم يقل (الأحد) بل قال : (أحد) .

❋ من معانى الواحد الأحد :

وقد ذكر كونه تعالى (وحيدًا) عدة معان منها :

(١) أنه سبحانه كان وحده موجودًا في الأزل كقوله - عليه السلام - : « **كان اللَّه ولم يكن شيء معه** » .

(٢) أنه سبحانه متوحد بصفات الجلال ونعوت الكمال .

(٣) أنه سبحانه وحده مستقل بتدبير الملك ، فالملكوت لا يحتاج فى الإيجاد والتكوين إلى مادة ، ومدة ، وآله وعدة .

صَنَعْتَ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ»(١). فأقر بتوحيد الربوبية المتضمن لانفراده سبحانه بالخلق وعموم المشيئة ونفوذها، وتوحيد الإلهية - المتضمن لمحبته وعبادته.

وقال تعالى: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)** ﴾ [الأنبياء]، فإن قوام السموات والأرض والخليقة بأن تؤله الإله الحق، فلو كان فيهما إله آخر غير اللَّه لم يكن إلهًا حقًا، إذ الإله الحق لا شريك له ولا سمي له ولا مثل له، فلو تألهت غيره لفسدت كل الفساد بانتفاء ما به صلاحها، إذ صلاحها بتأله الإله الحق كما أنها لا توجد إلا باستنادها إلى الرب الواحد القهار ويستحيل أن تستند في وجودها إلى ربين متكافئين، فكذلك يستحيل أن تستند في بقائها وصلاحها إلى إلهين متساويين(٢).

* حاجة العبد إلى عبادة اللَّه وحده:

إذا عرفت هذا فاعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد اللَّه وحده لا يشرك به شيئًا في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه، وله، في العمل لا ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به، فإن حقيقة العبد روحه وقلبه ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا بذكره وهي كادحة إليه فملاقيته، ولابد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له ورضاه، وإكرامه لها، ولو حصل للعبد من اللذات والسرور بغير اللَّه ما حصل لم يدم له ذلك، بل يتنقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت ثم يُعذَّب ولابد في وقت آخر(٣).

وفي ذلك كله ثمار المعرفة والشهود لوحدانيته سبحانه وفرديته.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) طريق الهجرتين (١/ ٢٦٢) لابن القيم.

(٣) [illegible] (١/ ٥٥)

يقول : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) ﴾ [هود] ، ومشهد إمام الحنفاء وشيخ الأنبياء إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إذ يقول : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) ﴾ [الشعراء] ، وقال في دعائه : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) ﴾ [إبراهيم] ، فعلم ﷺ أن الذي يحول بين العبد وبين الشرك وعبادة الأصنام هو الله لا رب غيره فسأله أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام .

وهذا هو مشهد موسى إذ يقول في خطابه لربه : ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) ﴾ [الأعراف] ، أي : إن ذلك إلا امتحانك واختبارك ، كما يقال : فتنت الذهب إذا امتحنته واختبرته ، وليس من الفتنة التي هي الفعل المسيء كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [البروج : ١٠] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة : ١٩٣] ، فإن تلك فتنة المخلوق ، فإن موسى أعلم الله بأن يضيف إليه هذه الفتنة وإنما هي كالفتنة في قوله : ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ [طه : ٤٠] ، أي : ابتليناك واختبرناك وصرفناك في الأحوال التي قصها الله علينا من لدن ولادته إلى وقت خطابه له وإنزاله عليه كتابه .

والمقصود : أن موسى شهد توحيد الرب وانفراده بالخلق والحكم وفعل السفهاء ومباشرتهم الشرك ، فتضرع إليه بعزته وسلطانه وأضاف الذنب إلى فاعله وجانبه ، ومن هذا قوله : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [القصص : ١٦] ، قال تعالى : ﴿ فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) ﴾ [القصص] ، وهذا مشهد ذي النون إذ يقول : ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) ﴾ [الأنبياء] ، فوحد ربه ونزهه عن كل عيب وأضاف الظلم إلى نفسه وهذا مشهد صاحب الاستغفار إذ يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا

والهدى : الاهتداء ومعناها راجع إلى معنى الإرشاد والبيان كيفما تصرف .

قال أبو المعالي : وقد ترد الهداية والمراد بها إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجنان، والطرق المفضية إليها . من ذلك قوله تعالى في صفة المجاهدين : ﴿ **فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ** ﴾ [محمد]، ومنه قوله تعالى : ﴿ **فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣)** ﴾ [الصافات]، وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس - في قصة ضماد - فقال رسول الله ﷺ : « **إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له** »[١] . وذكر الحديث . وقال الله تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ** ﴾ [الجاثية : ٢٣]، وقال : ﴿ **وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧)** ﴾ [الكهف]، وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ** ﴾ [يس : ٦٦]، يقول : ولو نشاء لأضللناهم عن الهدى فكيف يهتدون .

وقال مرة أخرى : أعميناهم عن الهدى . وعنه في قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿ **وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا** ﴾ [المائدة : ٤١]، يقول : من يرد الله ضلالته فلن تغني عنه من الله شيئًا .

وروى عن سفيان الثوري عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر المدائني أنه سئل عن قول الله - عز وجل - : ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ** ﴾ [الأنعام : ١٢٥]، قال : نور يقذفه في الجوف ينشرح له الصدر وينفسح . قيل له : هل له أمارة يعرف بها ؟ قال : نعم الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل مجيء الموت وروى هذا المعنى عن النبي ﷺ بإسناد منقطع[٢] .

---

(١) صحيح : مسلم (٨٦٨) في الجمعة .

(٢) الأسنى للقرطبي (١/ ٣٧٩) .

• الهادى المضل •

ومعناها بين، ورد الهادى فى قوله : ﴿ وإنَّ اللَّه لهادِ الَّذين آمنوا ﴾ [الحج : ٥٤]، وقوله : ﴿ وكفى بربك هاديًا ونصيرا (٣١) ﴾ [الفرقان]، ورد فعله فى غير مكان، وكذلك فعل المضل، والآى فى معناهما كثير، قال اللَّه تعالى : ﴿ فمن يرد اللَّهُ أن يهديه يشرح صدرهُ للإسلام ومن يرد أن يضلَّهُ يجعل صدرهُ ضيقًا حرجًا كأنَّما يصَّعَّدُ فى السَّماء ﴾ [الأنعام : ١٢٥]، وقال : ﴿ ولو شاء اللَّهُ لجعلكم أمةً واحدةً ولكن يضلُّ من يشاءُ ويهدى من يشاء ولتُسألُنَّ عمَّا كنتم تعملون (٩٣) ﴾ [النحل]، وقوله : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلاَّ بلسان قومه ليُبيِّن لهم فيضلُّ اللَّهُ من يشاءُ ويهدى من يشاءُ ﴾ [إبراهيم : ٤].

وفى الموطأ عن عبد اللَّه بن الزبير أنه كان يقول : « إنَّ اللَّهَ هُوَ الهادى والفاتن »[1].

وقال ابن العربى : ذلك لتعلموا أن السلف كانوا يشتقون الأفعال من الأسماء، والأسماء من الأفعال، فاقتدوا بهم ترشدوا. قال علماؤنا رحمهم اللَّه : الهدى هديان : هدى دلالة وهو الذى يقدر عليه الرسل، قال اللَّه تعالى : ﴿ ولكلِّ قومٍ هادٍ (٧) ﴾ [الرعد]، وقال : ﴿ وإنَّك لتهدى إلى صراطٍ مستقيم (٥٢) ﴾ [الشورى]، فأثبت لهم الهدى الذى معناه الدلالة والدعوة والتنبيه.

وتفرد هو سبحانه بالهدى الذى معناه التأييد والتوفيق والعصمة، فقال لنبيه - عليه السلام - فى حق أبى طالب : ﴿ إنَّك لا تهدى من أحببت ولكنَّ اللَّه يهدى من يشاءُ ﴾ [القصص : ٥٦]، فالهدى على هذا يجيء بمعنى خلق الإيمان فى القلب، فيكون من صفات الفعل، ومنه قوله الحق : ﴿ أولئك على هُدًى مِّن ربِّهم ﴾ [البقرة : ٥]، لم يقل : من أنفسهم. خلافًا للمعتزلة وغيرهم تعالى اللَّه عن قولهم.

---

(١) صحيح : مالك (١٧٢٩) فى الموطأ.

• الـــــوارث •

قال اللّه – عز وجل – : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) ﴾ [الحجر] .

ومعناه : الباقي بعد ذهاب غيره ، وربنا – جل ثناؤه – بهذه الصفة ؛ لأنه يبقى بعد ذهاب الملاك الذين أمتعهم في هذه الدنيا بما آتاهم ؛ لأن وجودهم ووجود الأملاك كان به ، ووجوده ليس بغيره [١] .

وقـــال الرازي : واعلم أن مالك جميع الممكنات هو اللّه سبحانه وتعالى ، ولكنه بفضله جعل بعض الأشياء ملكًا لبعض عباده ، فالعباد إنما ماتوا وبقي الحق سبحانه وتعالى ، فالمراد بكونه وارثًا هو هذا ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) ﴾ [٢] [غافر] .

* * *

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ١٣) .

(٢) الرازي (ص ٣٣٧) .

※ ثمرة معرفة هذا الاسم :

يجب على كل مسلم أن يعلم أن الله هو الذى خلقه، وأنه هو الذى خلق فيه الهدى برحمته، وأضل من أضل بعدله، ثم يجب عليه الدعاء بدوام ذلك، وأن يميته على الإسلام، فإن فى التنزيل : ﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ [الأنفال : ٢٤]، وهذا موضع عظيم يخافه الرجل العليم .

ولذلك كان يقول الرسول ﷺ : « يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك »(١) .

ثم يعلم أن للأنبياء والعلماء والأولياء مدخلاً فى باب الهداية، وهو الدعاء إلى الله تعالى، كما قال : ﴿ ولكل قوم هاد (٧) ﴾ [الرعد]، أى : دليل، وقال : ﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾ [فصلت : ١٧]، أى : بينا لهم على لسان رسولهم .

وهذا كما فى الآية الأخرى : ﴿ إنما أنت نذير ﴾ [هود : ١٢]، ﴿ والله على كل شىء شهيد (٦) ﴾ [المجادلة]، ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ [الشورى : ٤٨]، فمن خلق الله فى قلبه الإيمان أجاب . وليس يقدر رسول ولا غيره على هذا، قال الله لنبيه ﷺ فى حق أبى طالب : ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين (٥٦) ﴾ [القصص]، هذا مذهب أهل السنة، والذى عليه الجماعة من أهل الملة فاعلمه .

فأما قوله سبحانه : ﴿ الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى (٥٠) ﴾ [طه]، فهذه هداية عامة عم بها جميع الحيوان، ولولا هى ما اهتدى الذكر للأنثى، ولا البهائم لطلب المراعى، ولا النحل لصنعته شكله المسدس، ولا العنكبوت لنسج بيته المشبك . وتفصيل هذا أكثر من أن يحصى وليس هو المطلوب فى شرح الأسماء(٢) .

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح : سبق تخريجه .

(٢) الأسنى للقرطبى (١/ ٣٨٠ - ٣٨٣) .

• الـــواقـــى •

ومعناه معنى الحفيظ وفى التنزيل : ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ﴾ [غافر : ٩]، وقال : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) ﴾ [البقرة] .

يقال : منه وقاه اللَّه وقاية أى : حفظه ، والوقاية أيضًا التى للنساء ، والوقاية بالفتح لغة ، والوِقاء والوَقاء ما وقيت به شيئًا ، قاله الجوهرى . فاللَّه سبحانه الواقى على الإطلاق يقى عباده المؤمنين ويحفظهم ويدفع عنهم ، فهو من صفات الأفعال : ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) ﴾ [الرعد]، ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٣٤) ﴾ [الرعد] ، أى : من دافع ، ومنه الحديث : « من عصى اللَّه لم تقه من اللَّه واقية » . وكل ما وقى شيئًا فهو واقية . ومنه قول علىّ - رضى اللَّه عنه - : كنا إذا أحمر البأس اتقينا بالنبى ﷺ أى : جعلناه واقية لنا من العدو ، والواقية : واحدة من الأواقى .

قال مهلهل :

ضربت صدرها إلىّ وقالت ... يا عدى لقد وقتك الأواقى

وأصله وواقى ؛ لأنه فواعل إلا أنهم كرهوا اجتماع الواوين فقلبوا الأولى ألفًا ، والواقى أيضًا الصُّرد مثال القاضى ويقال : الواق بكسر القاف بلا ياء ؛ لأنه سمى بذلك لحكاية صوته ، ويروى قول الشاعر :

ولست بهياب إذا شد رحله ... يقول عدانى اليوم واق وحاتم

هذا ليس بالحديث لكنه أثر عن بعض الصالحين .

• الـــواســـع •

وفى الكتاب : ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) ﴾ [البقرة] ، وفى غير موضع .

قال الحليمى : ومعناه الكثير مقدوراته ومعلوماته واعتراف له بأنه لا يعجزه شىء ولا يخفى عليه شىء ، ورحمته وسعت كل شىء .

وقال أبو سليمان : **الواسع** : الغنى الذى وسع غناه مفاقر عباده ، ووسع رزقه جميع خلقه[1] .

وهو سبحانه واسع الصفات ، والنعوت ، ومتعلقاتها ، بحيث لا يحصى أحدٌ ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه ، واسع العظمة ، والسلطان ، والملك ، واسع الفضل ، والإحسان عظيم الجود والكرم ، وهو سبحانه وسع وجوده جميع الأوقات ، بل قبل الأوقات ؛ لأنه موجودًا أزلاً وأبدًا ، ووسع علمه جميع المعلومات فلا يشغله معلوم عن معلوم ، ووسعت قدرته جميع المقدورات فلا يشغله مقدور عن مقدور ، ولا شأن عن شأن ، ووسع سمعه جميع المسموعات فلا يشغله دعاء عن دعاء ، ووسع إحسانه جميع الخلائق فلا يمنعه إغاثة ملهوف عن غيره[2] .

❊ ❊ ❊

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٤١) .

(٢) الرازى (ص ٢٦٩) .

• الـــــودود •

قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠) ﴾ [هود] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ﴾ [البروج] .

وللودود معنيان :

أحدهما : أنه بمعنى فاعل ، وهو الذي يحب أنبياءه ورسله وأولياءه وعباده المؤمنين .

والثاني : أنه بمعنى مودود ، وهو المحبوب الذي يستحق أن يحب الحب كله ، وأن يكون أحب إلى العبد من سمعه وبصره وجميع محبوباته[1] .

والود هنا قريب من الرحمة ، لكن الفرق بينهما أن الرحمة تستدعي مرحومًا ضعيفًا ، والود لا يستدعي ذلك بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود .

فهو سبحانه الودود الذي وصل إحسانه إلى عباده وأوليائه كما قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) ﴾ [مريم][2] .

وهو سبحانه الودود المتحبب إلى أوليائه بمعرفته ، وإلى المذنبين بعفوه ورحمته ، وإلى الخلق جميعًا برزقه وكفايته[3] .

✲ من مظاهر ود الله تعالى لعباده :

انظر إليه سبحانه تجده المحب المحبوب ، الواد المودود ، وهو الواد لأنبيائه ، وملائكته ، وعباده المؤمنين ، وهو المحبوب لهم ، بل لا شيء أحب إليهم منه ، ولا تعادل

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٢٨) لابن القيم .

(٢) الرازي (ص ٢٧٤) .

(٣) السابق نفسه .

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن اللّه سبحانه الواقي على الإطلاق ثم يسعى في الأواقي لنفسه ولغيرها امتثالاً لأمر ربه في قوله : ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ الآيـة [التحريم : ٦] ، وذلك بامتثال الطاعات واجتناب المنهيات ، وذلك لا يكون إلا عن تقوى من اللّه ، فمن اتقى المعاصي صغيرها وكبيرها وحذرها غيره وحمله على تركها فقد وقى نفسه وغيره ، وهو المتقي حقًا ، ومن انتهك حرمة من حرمات اللّه وخالف ما أمر به فلم يتق اللّه ولا جعل واقية ولا وقاية بينه وبين عذاب اللّه فقد أوبق نفسه [١] .

❁ ❁ ❁

---

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٣١٣ - ٣١٥) .

بمعنى نائم، ويشهد لهذا القول أن فعولاً في صفات اللَّه سبحانه وتعالى فاعل كغفور بمعنى غافر، وشكور بمعنى شاكر، وصبور بمعنى صابر، وقيل: بل هو بمعنى مودود وهو الحبيب. وبذلك فسره البخاري في صحيحه، فقال: الودود الحبيب، والأول أظهر لاقترانه بالغفور في قوله: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ﴾ [البروج]، وبالرحيم في قوله: ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠) ﴾ [هود]، وفيه سر لطيف وهو أنه يحب التوابين وأنه يحب عبده بعد المغفرة فيغفر له ويحبه كما قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) ﴾ [البقرة]، فالتائب حبيب اللَّه، فالود أصفى الحب وألطفه[١].

* ومن ثمار التعرف على هذا الاسم:

معاملة العباد بثمرات الوداد، ورجاء ود اللَّه تعالى بطاعته، ووداده سبحانه ورسله، والصالحين من عباده[٢].

* * *

(١) روضة المحبين (ص ٤٦).

(٢) الشجرة للعز (ص ٨٩).

محبة اللَّه من أصفيائه محبة أخرى، لا في أصلها، ولا في كيفيتها، ولا في متعلقاتها، وهذا هو الفرض.

والواجب: أن تكون محبة اللَّه في قلب العبد سابقة لكل محبة، غالبة لكل محبة، ويتعين أن تكون بغية المحاب تبعًا لها، ومحبة اللَّه روح الأعمال، وجميع العبودية الظاهرة والباطنة ناشئة عن محبة اللَّه، ومحبة العبد لربه فضل من اللَّه وإحسان، ليست بحول العبد ولا قوته فهو تعالى الذي أحبّ عبده فجعل المحبة في قلبه، ثم لما أحبه العبد بتوفيقه جازاه اللَّه بحب آخر، فهذا هو الإحسان المحض على الحقيقة، إذ منه السبب، ومنه المسبب، ليس المقصود منها المعاوضة، وإنما ذلك محبة منه تعالى للشاكرين من عباده ولشكرهم، فالمصلحة كلها عائدة على العبد، فتبارك الذي جعل وأودع المحبة في قلوب الأصفياء إلى حالة تتضاءل عندها جميع المحاب، وتسليهم عن الأحباب، وتهون عليهم المصائب، وتلذذ لهم مشقة الطاعات، وتثمر ما يشاءون من أصناف الكرامات التي أعلاها محبة اللَّه، والفوز برضاه والأنس بقربه.

فمحبة العبد لربه محفوفة بمحبتين من ربه:

محبة قبلها بها صار محبا لربه.

ومحبة بعدها شكرًا من اللَّه على محبة صار لها من أصفيائه المخلصين، وأعظم سبب يكتسب به العبد محبة ربه التي هي أعظم المطالب: الإكثار من ذكره، والثناء عليه، وكثرة الإنابة إليه، وقوة التوكل عليه، والتقرب إليه بالفرائض والنوافل، وتحقيق الإخلاص له في الأقوال والأفعال، ومتابعة النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا [1]، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

*** من لطائف معاني الود**:

قال ابن القيم: **الودود** من صفات اللَّه سبحانه وتعالى أصله من المودة، واختلف فيه على قولين: هو ودود بمعنى واد، كضروب بمعنى ضارب، وقتول بمعنى قاتل، ونئوم

---

(1) نقلاً عنه أسماء اللَّه الحسنى للقحطاني (ص ١٢١ - ١٢٣).

وألمح الإمام القرطبي إلى سؤال ذكي افترضه، فقال : إن قلت : إن الله سبحانه وتعالى قد توكل وتكفل بأرزاق عباده وإقامة خلقه فما بال من يموت جوعًا وعطشًا ؟ .

فالجواب : أن الله سبحانه لم يقبض أحدًا حتى يستوفي رزقه الذي ضمن له، وتوكل له به، وفي الحديث : « لَنْ يَمُوتَ عَبْدٌ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ »[١] . وهذا أبين من أن تحتاج إلى إكثار .

وإذا علمتم معنى الوكيل فلله في ذلك منزلته العلياء أحكام يختص بها أربعة :

(١) انفراده بحفظ الخلق .

(٢) انفراده بكفايتهم .

(٣) قدرته على ذلك .

(٤) أن جميع الأمر من خير وشر ونفع وضر كل ذلك حادث بيده، فخلق الشبع والري، كما خلق الهداية في القلوب[٢] .

* التوكل في القرآن والسنة ومنزلة المتوكلين :

قال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) ﴾ [المائدة]، وقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢) ﴾ [آل عمران]، وقال : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق : ٣]، وقال عن أوليائه : ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) ﴾ [الممتحنة]، وقال لرسوله : ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [الملك : ٢٩]، وقال لرسوله ﷺ : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩) ﴾ [النمل]، وقال له : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١) ﴾ [النساء]، وقال له : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ [الفرقان : ٥٨]، وقال له : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ

---

(١) صحيح : الحاكم (٢/ ٤) وصححه ووافقه الذهبي .
(٢) الأسنى للقرطبي (١/ ٥٠٧) .

• الـــوكيـــــل •

قال الله تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١) ﴾ [النساء] .

وقال تعالى : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) ﴾ [آل عمران] .

وقال سبحانه : ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا (٢) ﴾ [الإسراء] .

والوكيل : هو القائم المستقل بجميع ما يحتاج إليه الموكل ؛ ولذلك أقامه مقامه ، إما لعجزه أو لرفاهية فى نفسه ، فإذا قلت : وكلت فلانا ، فإنما معناه أقمته مقامى ولم يشعر ذلك بالعجز ، وإذا قلت : توكلت على فلان : أشعر ذلك بالاستسلام التام فى الحال ، وبما لا يبلغه علمك فى المآل ، فهو تفويض فى المحسوس والمعقول للوكيل الحق المستقل بجميع ما يحتاج إليه جميع الخلق من الكفاية والوقاية ، والغياث ، والنصرة ، والرزق ، والإقامة ، والحفظ ، والرعاية ، إلى غير ذلك من معانى التدبير[1] .

فالوكيل هو : الحفيظ ، والكفيل ، والمقسط ، والكافى .

وقال الحليمى : **الوكيل هو** : الموكول والمفوض إليه ، علمًا بأن الخلق له ، والأمر له لا يملك أحد من دونه شيئًا .

وقال الخطابى : ويقال : معناه الكفيل بأرزاق العباد والقائم عليهم بمصالحهم وحقيقته أنه يستقل بالأمر الموكول إليه ، ومن هذا قول المسلمين : حسبنا الله ونعم الوكيل ، أى : نعم الكفيل بأمورنا ، والقائم .

وأما قوله تعالى فى قصة موسى وشعيب - عليهما السلام - : ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨) ﴾ [القصص] . قال ابن جريج : يعنى شهيدًا[2] .

---

(١) الأسنى للقرطبى (١/ ٥٠٤ - ٥٠٦) .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٨٧) .

هُديتَ ووُقيتَ وكُفيتَ . فيقولُ الشَّيْطَانُ لشَيْطَانٍ آخَرَ : كَيْفَ لَكَ بِرجُلٍ قَدْ هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ ؟ »(١) .

التوكل نصف الدين . والنصف الثانى الإنابة فإن الدين استعانة وعبادة . فالتوكل هو الاستعانة ، والإنابة هى العبادة .

ومنزلته : أوسع المنازل وأجمعها . ولا تزال معمورة بالنازلين ، لسعة متعلق التوكل ، وكثرة حوائج العالمين ، وعموم التوكل ، ووقوعه من المؤمنين والكفار ، والأبرار ، والفجار والطير والوحش والبهائم . فأهل السموات والأرض - المكلفون وغيرهم - فى مقام التوكل ، وإن تباين متعلق توكلهم . فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه فى الإيمان ، ونصرة دينه ، وإعلاء كلمته ، وجهاد أعدائه ، وفى محابه وتنفيذ أوامره (٢) .

* ثمرة التعرف على هذا الاسم :

(١) أن يتبرأ العبد من الأمور ويفوضها إلى اللَّه تعالى ليحصل له حقيقة التوحيد ويرفع عن نفسه شغب مشقة الوجوب .

(٢) أن لا يستكثر ما يسأل ، فإن الوكيل غنى ؛ ولهذا قيل : من علامة التوحيد كثرة العيال على بساط التوكل .

(٣) وإذا علمت أن وكيلك غنى ، وفى ، ملى ، فأعرض عن دنياك ، وأقبل على عبادة مولاك ، فمن عرف اللَّه حق له أن يتوكل عليه فى جميع أموره ويفوض إليه جميع شؤونه (٣) . قال تعالى : ﴿ **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** (١٢٢) ﴾ [آل عمران] .

* * *

---

(١) صحيح : الترمذى (٣٤٢٦) فى الدعوات .

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٠٩) .

(٣) الأسنى للقرطبي (١/ ٥٠٨) .

اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)﴾ [آل عمران]، وقال عن أنبيائه ورسله: ﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ﴾ [إبراهيم: ١٢]، وقال عن أصحاب نبيه: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)﴾ [الأنفال].

والقرآن مملوء من ذلك.

وفي الصحيحين - في حديث السَّبعينَ ألْفًا الذينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغَيْرِ حِسَابٍ: «هُمُ الذينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوكَّلُونَ»[١].

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: حسبنا الله ونعم الوكيل. قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار. وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيل»[٢].

وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ. وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ. وَبِكَ خَاصَمْتُ. اللَّهُمَّ إِني أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي. أَنْتَ الحَيُّ الذي لاَ يَمُوتُ. وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»[٣].

وفي الترمذي عن عمر - رضي الله عنه - مرفوعًا: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتوكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»[٤].

وفي السنن عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ - يَعْني إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ - بِاسْمِ اللَّهِ. تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ. وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، يُقَالُ لَهُ:

---

(١) صحيح: متفق عليه: البخاري (٥٧٠٥) في الطب، ومسلم (٢٢٠) في الإيمان.

(٢) صحيح: البخاري (٤٥٦٣) في التفسير.

(٣) صحيح: مسلم (٢٧١٧) في الذكر والدعاء.

(٤) صحيح: الترمذي (٢٣٤٤) في الزهد.

قال الخطابي : لا يستحق أن يسمى وهابًا إلا من تصرفت مواهبه في أنواع العطاء؛ فكثرت نوافله ودامت. والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالاً ونوالاً في حال دون حال ولا يملكون أن يهبوا شفاءً لسقيم، ولا ولدًا لعقيم، ولا هدى لضال، ولا عافية لذي بلاء والله سبحانه يملك جميع ذلك. وسع الخلق جوده ورحمته، فدامت مواهبه، واتصلت مننه وعوائده.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي : ولا تكون الهبة منه سبحانه والعطاء إلا أن يتعلق بنوع ما يكون به منعمًا محسنًا، وذلك بما لا ألم فيه ولا ضرر. فإذا كان ما يخلق ضررًا وألمًا لم تكن هبة. وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ **وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** (٨) ﴾ [آل عمران]، فعلمهم وتعبدهم كيف يسألونه الإنعام والإحسان على وجه لا يكون فيه مكر ولا استدراج كما فعل بالكفار حين خلق لهم ومكنهم مما فيه ضررهم وهلكتهم. فالمطلوب منه هبة يكون مآلها كحالها، لا تنفصل، ولا تتغير، ولا يقترن بها ضرر ولا ألم[(١)].

وقال أبو سليمان : لا يستحق أن يسمى وهابًا إلا من تصرفت مواهبه في أنواع العطايا فكثرت نوافله، ودامت، والمخلوقان إنما يملكون أن يهبوا مالاً ونوالاً في حال دون حال، ولا يملكون أن يهبو شفاءً لسقيم ولا ولدًا لعقيم ولا هدى لضال، ولا عافية لذي بلاء .

والله الوهاب سبحانه يملك جميع ذلك، وسع الخلق جوده ورحمته فدامت مواهبه واتصلت مننه وعوائده[(٢)].

* ثمرة التعرف على هذا الاسم :

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه هو المنفرد بالهبات، وأنه الوهاب على الإطلاق، وأن ما وصل إلى العبد من أي وجه وصل وعلى أي حال كان من حلال أو حرام، أو بسبب أو بغير سبب، فإنما هو هبة الله سبحانه وعطيته ومنحته، وله سلبها

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٣٩٥، ٣٩٦).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٧٦).

• الــوَهَّــــــاب •

نطق به التنزيل فقال : ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۝ ﴾ [ص] ، وقال : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝ ﴾ [آل عمران] ، وقال مخبراً عن سليمان : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝ ﴾ [ص] .

والاسم الموهب والموهبة بكسر الهاء فيهما ، والإيهاب : قبول الهبة والاستيهاب : سؤال الهبة ، وتواهب القوم إذا وهب بعضهم لبعض . وقيل : هب زيداً منطلقاً ، بمعنى : أحسب ، يتعدى إلى مفعولين ، ولا يستعمل منه ماض ولا مستقبل فى هذا المعنى . ذكره الجوهرى .

وهذا الاسم فى حق اللَّه تعالى يدل على البذل الشامل ، والعطاء الدائم بغير تكلف ولا عرض ولا عوض . وكل من يعطى سواء فإنما يعطى بعوض أو عرض فى الدنيا أو فى الدين عاجل أو آجل ؛ فإذاً لا يتصور الهبة ولا يصح الوهاب إلا فى اللَّه وحده ؛ لأن الهبات تُدرّ منه سبحانه على عباده فى دنياهم وأخراهم دون انقطاع ولا نفاد ، بل فى نماء وازدياد ، مع الآباد . ويتضمن الفضل والكرم وسعة الملك والعدل إلى غير ذلك .

قال ابن العربى : واختلف علماؤنا : هل هو من صفات الذات أو من صفات الفعل ؟ فمن رده إلى صفة الذات رأى أن الهبة هى قول الواهب : أعطيتك أو وهبتك وقد قال : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] ، فرجع ذلك إلى القول ، وكان ذلك من صفات الذات . وهذا لا يصح ؛ لأن قول الواهب وهبتك إخبار عن الهبة أو أمر بها ، والهبة فى الحقيقة ما يصل إلى العبد أو ينتفع به . فالهبة فعل محض وحكمها فى وقوعها بأمر اللَّه كحكم سائر أفعاله التى يقول لها : كن فيكون . وهذا الاسم يشعر بهبة وموهوب له مفتقر إلى الهبة وإلى الوهاب سبحانه .

وإبقاؤها، ثم هو مندوب للاتصاف بهذا الوصف، وهذا الوصف داخل تحت قوله تعالى : ﴿ **وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج]. وكل ما وَدَّى العبد واجبًا فليس بهبة، وكل ما أولى من معروف لم يجب عليه يبتغى به وجه الله تعالى فهو هبة مندوب إليها. وقد قال ﷺ : « **يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلامَى مِنْ أَحَدِكُم صَدَقَة: فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَكْبِيرة صَدَقَة ، وَكُل تَهْلِيلَة صَدَقَة ، وأَمْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقةٌ ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهما مِنَ الضُّحَى** »(١). فعلى قدر الإكثار من هذا وشبهه يكون واهبًا ووهوبًا ووهابة، فهب ما وهبك الله، ولا تشح بما جعلك الله فيه مستخلفًا، فقد وعد منفقًا خلفًا، وممسكًا تلفًا. وإن كنت ممن وهبه الأعلاق النفيسة من العلوم الموصلة إلى الدرجات الرفيعة، فكن وهابًا للمحتاجين منها ما لا غنى لهم عنهم، ولا تكن من الكاتمين للأنوار فتلجم يوم القيامة بلجام من نار، ولا تهب أيضًا غوامض الأسرار لمن ليس لها بأهل فتزيده جهلاً على جهل؛ فوضع العلم فى غير أهله غاية الظلم، كما أن كتمانه من مستحقيه جور فى الحكم، فكن ذا نظر وثبات فيما تهبه من الهبات، فبهذا تكون متعرضًا للهبات العلية الدنيوية والأخروية.

وعليك بملازمة هذا الاسم العظيم تحظ بالمال الكثير الجسيم، يحكى أن الشبلى سأل بعض أصحاب أبى على الثقفى - رحمه الله - فقال : أى اسم من أسمائه يجرى على لسان أبى علىّ أكثر. فقال الرجال : اسمه « الوهاب ». فقال الشبلى : لذلك كثر ماله. ومن تحقق أنه الوهاب، لم يرفع حوائجه إلا إليه، ولم يتوكل على أحد إلا عليه، فربما ينال بحكم الخشوع والتذلل(٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

❊❊❊

---

(١) صحيح : مسلم (٧٢٠) فى صلاة المسافرين .

(٢) الأسنى للقرطبى (١/ ٣٩٨ - ٤٠٠)، والرازى (٢١٨ - ٢٢٠) .

فهرس الموضوعات